



وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية
ودورها في نشر الوعي الديني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسائل الاتصال

في الدولة الإسلامية

ودورها في نشر الوعي الديني

الأستاذ الدكتور

محمد موسى محمد أحمد البر



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الكتاب : وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية
ودورها في نشر الوعي الديني
المؤلف : الأستاذ الدكتور محمد موسى محمد أحمد البر

رقم الطبعة : الأولى
تاريخ الإصدار : ٢٠١٧ م
حقوق الطبع : محفوظة للناشر

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي
العنوان : ٨٢ شارع وادي النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢)
٠١٢٢/١٧٣٤٥٩٣

البريد الإلكتروني : m.academyfub@yahoo.com

رقم الإيداع : ٢٠١٦ / ١٧٢٠٨
الترقيم الدولي : 6 - 94 - 6149 - 977 - 978

تحذير :

حقوق النشر : لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته
بطريقة الاسترجاع أو نقله على أى نحو أو بأية طريقة سواء أكانت
إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابةً
ومقدماتاً.

مقدمة

لقد اخترنا لهذا الكتاب عنوان (وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية) وذلك لشعورنا بأن هذا النوع من الدراسات ليس مطروقا، وبدأنا به رغم الصعاب وقلة المراجع، وقسمناه إلى ستة أبواب :

الباب الأول عبارة عن الإطار المنهجي للدراسة، وتناولنا فيه تحديد المشكلة والتساؤلات التي يجيب عليها البحث والمنهج الذي استخدمناه فيه، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، واستعرضنا نماذج من هذه الدراسات ووضحنا كيف يمكننا الاستفادة منها في تعديل مسار الكتاب، ووضحنا التعريفات الإجرائية وحدود البحث وما يستتيره من بحوث والطريقة التي استخدمناها في الهوامش .

الباب الثاني خصصناه لأنواع الاتصال في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم :

الفصل الأول عن وسائل الاتصال في مكة .

والفصل الثاني عن وسائل الاتصال في المدينة .

والفصل الثالث عن وسائل الاتصال في كل من العهدين الأموي والعباسي:

١- الأول لوسائل الاتصال في العهد الأموي .

٢- والثاني لوسائل الاتصال في العهد العباسي.

وأبرزنا فيه أهمية وسائل الاتصال في العهدين .

أما الفصل الرابع فقد كان عن وسائل الاتصال في العصر الحديث، وقدمنا له بنماذج من الوسائل المقروءة (الصحافة) والوسائل المسموعة (الإذاعة) والوسائل المرئية (التلفزيون) كل في مبحث تعرضنا لكل وسيلة من حيث النشأة والأهمية والآثار.

وحيث أن الكتاب يهتم بوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، وأن هذه

الوسائل لا بد أن تخدم أهداف الدولة الإسلامية

جاء الفصل الخامس بعنوان (استخدام وسائل الاتصال في تحقيق أهداف

الدولة الإسلامية. وفيه ثلاثة مباحث:

- ١- دور وسائل الاتصال في التنمية الاقتصادية والبشرية .
 - ٢- دور وسائل الاتصال في الترويج .
 - ٣- دور وسائل الاتصال في تحقيق الأمن، وهي نماذج لأهداف الدولة الإسلامية المتعددة.
- وفي تلك المباحث آزرنا دور وسائل الاتصال وأهميتها في هذه المجالات الهامة في الدولة الإسلامية .
- ولأهمية وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية رأينا أن تكون هنالك أطر وضوابط لهذه الوسائل .
- ولذلك جاء الفصل السادس بعنوان (الأطر التي توجه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية)، وفي هذا الفصل كانت المباحث كالاتي:
- ١- إطار العقيدة .
 - ٢- إطار الشريعة .
 - ٣- إطار الأخلاق .
- وأوضحنا أن وسائل الاتصال لابد أن تضبط بهذه الأطر حتى يمكنها أن تحقق أهداف الدولة الإسلامية .
- في نهاية البحث أثبتنا النتائج والتوصيات .

أسأل الله أن أكون قد وفقت في طرح هذا الموضوع الهام للبحث والاجتهاد والبحث العلمي المرتبط بقيم الإسلام .

وأسأله تعالى أن يذخر لي هذا العمل يوم القيامة في ميزان حسناتي ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [سورة الشعراء].

الدكتور

محمد موسى محمد أحمد البر

الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة

مقدمة :

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ونصلي ونسلم على معلم البشرية الذي اتصل على كل الذين عاصروه بنفسه أو أناب عنه من يبلغ دعوة الله، والذي لم يترك وسيلة من شأنها أن تخدم الدعوة الإسلامية إلا سخرها لخدمة الدعوة وترسيخ دعائم المجتمع الإسلامي، ولما كانت وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحديث تؤدي دوراً بارزاً في توجيه الرأي العام وتقديم شتى الخدمات في المجالات الاجتماعية والتربوية والأدبية والإعلامية^(١) عمدنا لدراستها وكيفية استغلالها في نشر الوعي الديني ودعم القيم في ظل الدولة الإسلامية، فضلاً عن عملية التعارف التي حث الحق سبحانه وتعالى الناس على القيام بها حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾^(٢).

أولاً: الإحساس بمشكلة البحث:

يمثل الإحساس بمشكلة البث أهمية بالغة لأن البحث العلمي ينشأ عادة من إحساس الباحث بمشكلة معينة تدخل في مجال تخصصه العلمي واهتمامه الشخصي أو ممارسته العلمية، وقد عجزت الوسائل المتاحة لديه من الخبرة والمعلومات والتجارب الأمر الذي يدفعه إلى جمع المزيد من المعلومات ليتأكد أولاً من وجودها وبعد اقتناعه بوجودها يمكن تحديدها تحديداً علمياً موضوعياً. ولقد بحث كاتب هذه السطور من خلال ارتباطه بالعمل في مجال الإعلام والاتصال تدريجياً لبعض مواد ووسائله المختلفة أن وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية في حاجة إلى أن توجه التوجيه الذي يناسب أهداف الدولة الإسلامية .

(١) زيدان عبد الباقي، وسائل الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، ط ٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ٣٦.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

ثانياً: تحديد مشكلة البحث:

السمة الرئيسية التي تميز البحوث هي ان تكون ذات مشكلة محددة وفي حاجة إلى من يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة. واقتناعاً من الباحث بأن خطوة تحديد المشكلة في بحثه تمثل الدعامة الرئيسية له كما أنها في ذات الوقت تؤثر تأثيراً أساسياً في جميع الخطوات العلمية التي سيقوم بها أثناء إجراءات البحث .

إنطلاقاً من كل ذلك فقد حددنا مشكلة البحث في مدى فاعلية وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ودورها في ترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع .

ثالثاً: التساؤلات التي يسعى البحث للإجابة عليها:

درج بعض الباحثين أن يضعوا فروضاً ثم تجري الدراسة لكي تثبت صحة هذه الفروض أو نفيها ، والبعض يلجأ لوضع تساؤلات يسعى البحث للإجابة عليها ، وحيث أن البحث يجري في المجال الاجتماعي فإننا قد اخترنا وضع التساؤلات نجيب عليها من خلال الدراسة وهي كما يلي :

١- هل يمكن للدولة الإسلامية أن تطور أداءها من خلال وسائل الاتصال؟

٢- ما الأساليب والطرق التي تمكن الدولة الإسلامية من استغلال وسائل الاتصال الحديثة لترسيخ قواعدها مع طغيان العلمانية^(١) .

٣- هل يمكن أن يكون لوسائل الاتصال الإسهام في حل المشاكل الماثلة أمام التوجه الإسلامي مثال العلمانية ، الأثر الاستعماري ، الأثر الفكري الغربي ؟ .

٤- إلى أي مدى يمكن أن تكون وسائل الاتصال عاملاً فاعلاً في تجميع شتات الأمة حول الدولة الإسلامية ؟ .

٥- ما دور وسائل الاتصال في حل المشكلة الماثلة في الصورة الذهنية القائمة في أذهان الجماهير عن الدولة الإسلامية والواقع العلمي .

(١) النطق الصحيح لهذه الكلمة العلمانية يكون الالف بعد العين: العلمانية: لتدل بذلك على معناها وهو التزعة الدينيوية المرجع : محمد مجيبي، ورقة ثقافية في الرد على العلمانيين، ط١، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، ١٩٩٨م، ص١١ .

٦- هل يمكن أن تستفيد الدولة الإسلامية في العصر الحديث من وسائل الاتصال المتاحة بمثل ما استفادت منها في صدر الإسلام ؟ .

٧- إلى أي مدى يمكن استتباط قواعد وقوانين يمكن أن تضبط أداء وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ؟.

رابعاً: نوع البحث والمنهج المستخدم:

يتناول هذا الكتاب وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ووصف الممارسات المستخدمة، ولم يقف عند هذا الحد وإنما تجاوزته ووصف الأساليب الحديثة التي يجب أن تكون عليها الممارسة. فضلاً عن كيفية الاستخدام الأمثل الذي ينبغي أن تقوم به وسائل الاتصال لخدمة أهداف الدولة الإسلامية في مختلف المجالات. وعليه فإن هذا الكتاب يعد من نوع الكتب الوصفية التي تستهدف تصوير وتحليل وتقييم خصائص مجموعة معينة وموقف معين يغلب عليه صفه التجويد^(١).

أما من حيث المناهج المستخدمة فيه فقد استخدمنا أكثر من منهج:

١- منهج المسح:

يعتبر منهج المسح من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية، كما أنه من أهم المناهج التي يجب الاعتماد عليها في كتب الإعلام وذلك نسبة لحدثه في مجال الإعلام مقارنة ببعض العلوم الأخرى التي أحرزت تقدماً علمياً ملموساً. يقتضي منهج المسح التركيز على البحوث الوصفية التي تتيح للباحثين الإعلاميين كمية من المعلومات والبيانات الملائمة التي تعينهم على إجراء المزيد من الدراسات والبحوث الإعلامية. فقد تم استخدام هذا المنهج في مسح الاتصال ومسح أساليب الممارسة .

٢- المنهج المقارن:

وهو المنهج الذي يعتمد إلى عقد مقارنات لجوانب الاتفاق والاختلاف بين عدد من الظواهر بهدف التعرف على العوامل والمتغيرات المتكررة التي

(١) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، عالم الكتب، ١٩٧٦م، ص ١٢٥.

تصاحب أحداثاً أو ظروفاً معينة فقد استخدمنا منهج المقارنة لمقارنة مستوى الوعي فيها والثقافة العامة وتركيز القيم التي ساعدت وسائل الاتصال خلال فترتين من الزمن .

٣- المنهج التاريخي:

وهو المنهج الخاص لما يتناسب مع البشر من اجتهادات وأقوال وأفعال وتقريرات بشرية عادية ليست معصومة من الخطأ^(١).

فقد استخدمنا هذا المنهج في معالجة الوقائع التاريخية والأفكار والاستراتيجيات التي كونت وسائل الاتصال عبر الحقب التاريخية .

خامساً: الدراسات السابقة:

وتمثل البحوث عملية دائرية لا تنتهي عند حد وإنما يغذي بعضها البعض، وانطلاقاً من هذا المفهوم كان لا بد لأي باحث قبل أن يشرع في بحثه أن يقف على البحوث والدراسات السابقة التي أجريت في هذا المجال للاستفادة من نتائجها في تعديل مسار البحث. وعليه أجرينا دراسة مسحية في كثير من الجامعات ومعاهد البحوث ذات الصلة بهذا الموضوع؛ إلا أنه لم يقف على دراسة تناولت هذا الموضوع بعينه إلا أن هناك دراسات قريبة من هذه الدراسة. وعليه فإننا نستعرض بعضاً من هذه الدراسات فيما يلي :

الدراسة الأولى: النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات العامة^(٢):

أشار الباحث في مقدمة البحث إلى أهمية الإعلام وكيف يمكن أن يقوم بدور كبير في التغيير الاجتماعي، وأشار إلى أن علم الإعلام هو أحد فروع الاتصال وأنه وسيلة جديدة لتوسيع نطاق البلاغ المبين والصدع بالحق، وأن الأمة الإسلامية ليس لديها رجال متخصصون في مجال الإعلام الإسلامي بالقدر الكافي، وركز على أن التعامل مع الوسيلة ينبغي أن يكون للتسخير وليس للهدم ولا المقاطعة وخلص إلى عدة توصيات أهمها:

(١) سعيد اسماعيل صبي، قواعد أساسية في البحث العلمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م، ص ٦٥.
(٢) الندوة العالمية للشباب الاسلامي، زين العابدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات العامة، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٥هـ، ص ٢٦١-٢٣٥.

١- ضرورة إنشاء كليات وأقسام للإعلام الإسلامي تهتم بالإعلام إلى جانب العلوم الإسلامية .

٢- أهمية عقد دورات لدراسة الإعلام وذلك لأهمية هذا العلم في حياة الناس .

الدراسة الثانية: فن التحرير الصحفي الإسلامي وتطبيقاته العملية في مجلة الأمان في عامين ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ^(١):

هدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم واضح لفن التحرير الصحفي الإسلامي وبيان خصائص هذا الفن من خلال الدراسة النظرية والتطبيقات العملية في مجلة الأمان اللبنانية، وهي من الدراسات التي حاولت التأصيل للعلوم الإنسانية في المجتمع الإسلامي وأسهمت بقدر في حركة أسلمة المعارف المعاصرة .

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث منهج المسح الذي يعتبر جهداً علمياً منظماً للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة المراد دراستها. كما استخدم تحليل المضمون لدراسة الجوانب الشكلية التي تقوم بها مجلة الأمان الإعلامية من خلال طريقة كتابة عناوين ونوع الأبناط المستخدمة.

النتائج:

١. تؤثر أسس الفكر ومعايير الأخلاق في أي مجتمع على القواعد التحرير الصحفي .

٢. فن التحرير الصحفي الإسلامي يقوم على قواعد متميزة بخصائص أسس الفكر .

٣. يتميز أسلوب فن التحرير الصحفي الإسلامي بخاصية الأسلوب المبين قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢).

(١) سليمان عثمان محمد، فن التحرير الصحفي الإسلامي وتطبيقاته العلمية في مجلة الأمان في عامين ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤ .

٤. يستخدم فن التحرير الصحفي الإسلامي العنوان والصور الضوئية والألوان كوظائف إخراجية وجمالية تحقق أهداف الرسالة وفق معايير الأخلاق الإسلامية .

٥. مجلة الأمان اللبنانية تجرية ناجحة في مجال الصحافة الإسلامية تتفق قواعد تحريرها مع مفهوم فن التحرير الصحفي الإسلامي .
الدراسة الثالثة: وظيفة الإرشاد من خلال سورة المائدة^(١):

استهدفت الدراسة تقصي عناصر العملية الإرشادية من أصول المعارف عند المسلمين ومن المراجع المأمونة، وقامت وفق قواعد من التراث الإسلامي لتكون معياراً ينسب إليه أداء الإعلام في بلاد المسلمين ولتكون مرجعاً لدارسي الإعلام والباحثين فيه يسترشدون بالعبارة الإسلامية والمضمون الإسلامي، وقد اختار الباحث سورة المائدة مجالاً للتطبيق لاشتمالها على عناصر أخلاقية وسلوكية تتعلق بمصدر الرسالة في عملية الإرشاد وتفعيل دوره في التأثير بهدف ضبط حركة الإنسان الفكرية والسلوكية مع منهج الله، تحقيقاً من خلق الكون ودور الإنسان فيه .

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث منهج المسح؛ لمسح الآيات القرآنية التي تتناول أوصاف الظواهر محل البحث. كما استخدم المنهج التاريخي بقصد جمع البيانات والمعلومات الماضية المتاحة عن الإرشاد موضع الدراسة وتنظيمها وإعادة صياغتها بهدف الوصول إلى خلاصات جديدة تسهم في الارتقاء بأسلوب الإرشاد وزيادة فعاليته في الجماهير المستهدفة.

أهم النتائج:

- ١- الرشد غاية والإرشاد سبيله وله مراجعة من الناس أهل الفكر في كل فن الأمثل فالأمثل .
- ٢- ضرورة تدعيم المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم بمواد إرشادية .

(١) جمعة شعبان منصور، وظيفة الإرشاد من خلال سورة المائدة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الخرطوم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ١٩٩٨م.

- ٣- الاهتمام بعناصر الإرشاد في مجال الخدمات الأساسية حسب أنواعها .
- ٤- تركيز المضمون الإرشادي فيما يتعلق بفئات الخطاب القرآني وعدم التحول عنه .
- ٥- المحافظة على قوة الدفع الإرشادية لدى المرشدين مالياً حتى يكونوا في مستوى أوساط الناس فيعفيهم هذا عن سؤال الناس .

الدراسة الرابعة: الأساليب والضوابط الإعلامية في سورة يوسف عليه السلام دراسة وصفية تحليلية^(١).

هدفت الدراسة إلى تأصيل الإعلام من خلال القرآن الكريم واستخراج الأساليب الإعلامية من سورة يوسف ممثله في حسن الاستهلال، اختيار الألفاظ المؤثرة، المفاجآت وأسلوب الهدم والبناء النضج العقلي والجسمي إلى جانب الحصافة والتسامح .

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث المنهج الوصفي في وصف المرثيات التي عرضت لها سورة يوسف ومن خلاله استخدام تحليل المضمون حيث حلل به الآيات القرآنية التي اشتملت على الأساليب والضوابط الإعلامية في السورة الكريمة .

أهم النتائج:

- ١- أبانت الدراسة أهمية الإعلام النظيف لإخراج الأمة من النفق المظلم الذي تعيش فيه .
- ٢- أثبتت الدراسة أن الإعلام المضاد اعتمد في إفساد النفوس على خلخلة العقيدة في نفوس الأمة .
- ٣- ركزت الدراسة على ضرورة استخدام أسلوب المناجاة في جذب ولفت النفوس إلى الرسالة الإعلامية .

(١) أحمد ناجي مشرح، الأساليب والضوابط الإعلامية في سورة يوسف عليه السلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الإعلام، ١٩٨٨ م .

سادساً: التعريفات الإجرائية:

الدولة الإسلامية: يقصد الباحث بها الوحدة السياسية التي تتبنى تطبيق الإسلام في كافة أنواع الحياة وتحاول أن تطبق المبادئ الإسلامية من عقيدة وشريعة وأخلاق .

تحاول تطبيق الإسلام بهذا الفهم في مجالات الحياة التربوية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء تم تطبيق الإسلام كلياً أو جزئياً .
الوعي الديني: يقصد الباحث بالوعي الديني الوعي بدين الإسلام وتعاليمه الذي تتبناه الدولة الإسلامية أو تحاول نشره وترسيخه بين أفراد المجتمع الذي يكون الوحدة الإسلامية .

سابعاً: حدود البحث وما يثيره من بحوث جديدة:

يتناول هذا البحث وسائل الاتصال الجماهيري لأن هذا الموضوع واسع لا تحيط هذه الدراسة بكل جوانبه، وقد تطرق الباحث إلى أهم وسائل الاتصال ذات الأثر الفعال والواضح في خدمة أهداف الدولة الإسلامية موضوع البحث. ولم يتطرق البحث للعديد من وسائل الاتصال الحديثة وشبكات الاتصال والبريد المباشر مثل الإنترنت وغيرها. يرى الباحث أن هذا البحث يفتح المجال أمام الباحثين لإجراء المزيد من البحوث في هذا الموضوع الهام والبحث يفتح المجال واسعاً أمام الباحثين لمتابعة ما بدأه الباحث في موضوع الاتصال في الدولة الإسلامية بين يدي تجارب تحتاج للاتصال لخدمة أغراضها في كافة المجالات والاتصال وضع أثره في العصر الحديث أكثر مما مضى.

وقد قام الباحث بدراسة وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية وقدم لذلك نماذج وسائل الاتصال في عصر النبوة في كل من مكة والمدينة ووسائل الاتصال في الدولة الأموية والدولة العباسية وقدم كذلك دراسة لوسائل الاتصال في العصر الحديث وكيف يمكن أن تخدم أهداف الدولة الإسلامية من خلال ضوابط وأطر إسلامية .

والباحث يعتقد بتقديمه هذا الجهد المتواضع إنما يضع لبنة في سبيل دراسة وسائل الاتصال وتسخيرها لنشر الوعي الديني في الدولة الإسلامية

ويثق أن الباحثين من بعده سوف يكملوا المشوار الطويل الذي لا يمكن أن تغطيه دراسة واحدة وحسبي أني أشرت ولفت النظر إلى أهمية هذا الموضوع .

ثامناً: طرق كتابة الفهارس:

اتبع الباحث في تنظيم الفهارس في بداية البحث (أبجد) وفي نهاية قيد الفهارس بالحروف الهجائية على الطريقة المعروفة التي تبدأ بالألف. لم يستبعد الباحث كلمات أب وأم وابن، الأسماء التي بدأت بالوضعها في سياق الترتيب حسب الحروف وكذلك لم يستبعد الباحث الألقاب والكنى .

الفصل الثاني

أنواع الاتصال ووسائله في عهد الرسول ﷺ

مارس الرسول ﷺ جميع أنواع الاتصال المستخدمة وقتئذ كما استخدم كل وسيلة متاحة لنشر الدعوة وتبليغها للناس، فقد اتصل بالتجمعات وبالأفراد اتصالاً شخصياً مستفيداً من كل مميزات الاتصال الشخصي .
وعرض نفسه على القبائل العربية في المناسبات المختلفة ورحل وهاجر من أجل تبليغ الدعوة وتتبع مواطن اجتماع الناس ليبلغهم، وأرسل الرسل نيابة عنه لتبليغ الدعوة .

واستقدم الوفود ليأخذوا عنه ويرجعوا مبلغين وراسل الملوك والأمراء داعياً لهم إلى الله وكلف أصحابه أن يتعلموا ويعلموا .
وأمر جنده ألا يحاربوا قبل أن يدعوا إلى الإسلام، ثم حمل جميع المسلمين أمانة التبليغ والبلاغ ليبلغوا العالم دعوة الله، حتى لا يبقى أحد من البشر إلا وقد بلغ وقامت عليه الحجة^(١) .

من النص المتقدم يمكننا استخراج وسائل الاتصال التي استخدمها رسول الله صلي الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة، والتي تتمثل في الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي والاتصال بالقبائل أو ما يعرف في السيرة بعرض رسول الله ﷺ دعوته على القبائل، والهجرة وإرسال الوفود واستقبال من يفد إليه ﷺ .

ونستعرض فيما يلي جهودة ﷺ التي بذلها وأنواع الاتصال التي استخدمها في كل من مكة والمدينة .

(١) سعيد حوى، الرسول صلي الله عليه وسلم، ج١، ط٢، بيروت، دار الكتب، ١٩٧١م، ص ٨٥ .

وسائل الاتصال في مكة (عهد الرسول ﷺ)

يتناول هذا الفصل أنواع الاتصال ووسائله التي كانت مستخدمة في مكة كالالاتصال الشخصي، والجمعي المتمثل في ملاقات الوفود في المواسم، وغيرها من وسائل الاتصال التي كانت مستخدمة في العهد المكي .

- الاتصال الشخصي:

الاتصال الشخصي كما هو معروف يعتبر من أقوى أنواع الاتصال تأثيراً لأسباب عديدة منها: أن الإنسان في هذا الاتصال يتكلم مباشرة إلى الشخص الذي يريد مخاطبته مما يجعل الشخص المخاطب يثق في الذي يتكلم إليه. وهذا الاتصال يتم على أساس معرفة سابقة، يستطيع المرسل أن يعدل من رسالته حسب الانطباع الذي تتركه الرسالة على المستمع .

ويؤكد هذا المعنى الدكتور إبراهيم إمام حيث يري أن الاتصال الشخصي يتم بين الجماعات الصغيرة التي يعرف فيها الناس بعضهم بعضاً، فيتناقشون ويتحدثون ويتبادلون الرأي والمشورة ويدركون انطباعات أحاديثهم على بعضهم البعض^(١).

والمتتبع لأنماط الاتصال المستخدمة يجد أن رسول الله ﷺ قد جمع كل مميزات الاتصال الشخصي، ورتب الأولويات في الاتصال، وكان من الطبيعي أن يعرض الإسلام على ألقى الناس به، وآل بيته وأصدقائه فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن عرفهم ويعرفونه فأرشدهم إلى حب الخير والحق، وتحري الصدق والصلاح فأجابوه ولم تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول ﷺ ونبل مقصده وصدق خبره. وكان في مقدمة هؤلاء زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن ثابت بن شريحيل الكلبي، وابن عمه علي بن أبي طالب، وكان صبيياً في كفالة الرسول ﷺ وصديقه أبو بكر الصديق، أسلم هؤلاء في أول عهد الدعوة .

(١) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجمهير، ط٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ص ٢٨ .

وقد استخدم رسول الله ﷺ كل فنيات الاتصال الشخصي المؤثر المتمثل في لقائه مع زعيم قريش عتبة بن ربيعة، وحواره الطويل معه الذي رواه ابن اسحاق .

(روي ابن اسحاق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي، قال حدثني أن عتبة ابن ربيعة قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله جالس في المسجد وحده. قال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها إن شاء ويكف عنا ؟

قالوا بلي يا أبا الوليد قم إليه فكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى الرسول ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة، والمكانة في النسب وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها. فقال رسول الله ﷺ: قل (يا أبا الوليد أسمع) قال عتبة: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئتنا به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رثياً لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه. فلما فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم،

قال: فاسمع مني، قال عتبة: أفعل، فقرأ رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿حَم﴾ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)﴾ إلى قوله تعالى: لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) (١) ومضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، فسجد ثم قال رسول الله: قد

(١) سورة فصلت: الآيات ١-٤ .

سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك. ثم رجع عتبة إلى أصحابه في الوثنية والشرك، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأً فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانة، قال عتبة: هذا الرأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم^(١).

ونورد مثلاً آخرًا للاتصال الشخصي، وهو ما كان بين رسول الله ﷺ وسويد ابن الصامت إذ قدم مكة، وعلم رسول الله ﷺ بمقدمه فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي فقال رسول الله ﷺ: ما الذي معك. فقال سويد: مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله ﷺ بعد أن سمع من سويد ما عرضه عليه من حكمة لقمان قال ﷺ: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله عز وجل هدي ونور، وقرأ عليه القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فأحسن سويد الرد، ولم يبعد عن رسول الله ﷺ وقال: هذا قول حسن، ثم انصرف سويد عائداً إلى قومه في يثرب، قدم على قومه وفي نفسه ما فيها من تأثير بما سمع من القرآن الكريم، ومن سمعت رسول الله ﷺ وسمو أدبه ومكارم أخلاقه ومحاسن دعوته، وجلال الرسالة التي جاء بها^(٢).

هذان نموذجان للذين اتصل عليهم رسول الله ﷺ اتصالاً شخصياً، ولا شك أن اتصال رسول الله ﷺ قد ترك أثراً عظيماً فيهما، وكان لكل منهما تأثير بما سمع من رسول الله ﷺ، بل أن عتبة بن ربيعة تبني الدعوة وذهب يحاول

(١) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ، ج ٢، ط ١، بيروت، دار القلم، ١٩٨٥م، ص ١٨٩-١٨٧

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧٤.

إقناع قومه من الكفرة والمشركين، فما كان منهم إلا أن قالوا: سحرك بلسانه^(١).

وقد كان الرسول ﷺ دائم الاتصال بأصحاب العقول في ذلك الزمان، وكان يتخير منهم أصحاب الرجاحة والفهم، وهم الذين يطلق عليهم في الإعلام الحديث (قادة الرأي). ولقد اتصل بعدد من الرجال، وحصل منهم على ردود فعل إيجابية كانت في صالح الدعوة، بل آمن بعضهم بسبب هذا الاتصال الشخصي المباشر نذكر من هؤلاء:

١- سويد بن الصامت من أهل يثرب .

٢- إلياس بن معاذ .

٣- أبو ذر الغفاري وقد أسلم وأسلمت معه قبيلة غفار .

٤- الطفيل بن عمرو الدوسي الذي أسلم ونقل ذلك إلى قبيلته فأسلمت .

٥- ضماد الأزدي^(٢) .

- الاتصال الجمعي:

استخدم رسول الله ﷺ الاتصال الجمعي في لقاءه بأصحابه في دار الأرقم ابن أبي الأرقم وفي لقاء الوفود واتصاله على عدد من القبائل على النحو الذي نوردته فيما يلي :

١- لقاءه بأصحابه في دار الأرقم:

لقد اتخذ رسول الله ﷺ من دار الأرقم بمكة مركزا للدعوة إلى الإسلام وذلك في طور الدعوة السري، وكانت تسمى دار الإسلام يلتقي فيها المسلمون الأوائل وقد التف حوله هذا النفر يسمعون منه القرآن، ويتعلمون مبادئ الإسلام، ثم ما لبثت هذه الدار أن أصبحت محط أنظار المسلمين ومعهدهم^(٣).

(١) المرجع نفسه .

(٢) صفي عبد الرحمن المبار كفوري، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

(٣) محمد سيد محمد، المستولية الإعلامية في الإسلام، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٣م، ص ٨٢ .

٢- لقاء العقبة الأولى:

وهو من أشهر لقاءات رسول الله ﷺ باليثريين الخزرجيين فيبينما كان الرسول عند العقبة الأولى عقبة الجمرة، يدعو الناس إلى الإسلام، لقي رهطاً من يثرب من قبيلة الخزرج أراد الله لهم الهداية وسخر لهم الخير فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. فقال رسول الله ﷺ: من موالي يهود؟ أي حلفائهم قالوا: نعم. فقال: ألا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: من أنت؟ فانتسب لهم رسول الله ﷺ وأخبرهم خبره قالوا بلى: فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن^(١).

وكان لهذا الاتصال نتائج مثمرة وطيبة، وكان نقطة تحول لنشر الإسلام في المدينة، وبداية قيام دولة الإسلام الأولى في مقر هؤلاء الذين قابلوا رسول الله ﷺ عند جمرة العقبة الأولى، وعندما انصرف هذا النفر إلى المدينة، وأخبروا قومهم خبر رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، وإلى الله ورسوله فلم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ، وظهر الإسلام وانتشر، وتحدث به الناس حديثاً معلناً جهيراً بعد الهمس والإسرار^(٢). وبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وأمره أن يعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، ولم يبق من بيوت الأنصار بيتاً إلا دخله مصعب بن عمير معلماً للإسلام، وقام بالمهمة خير قيام وقد كان له اتصال شخصي وآخر جمعي.

٣- الاتصال على القبائل:

خرج رسول الله ﷺ في سبيل الدعوة يعرض نفسه، والدين الذي معه على القبائل، وكان أول ما بدأ به ثقيف في الطائف. خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، وأن يدخلوا في الإسلام وكان له صلة بأهل الطائف، وقد رضع في بني سعد وهم بالقرب من الطائف وفيهم مرضعه وحواضنه.

(١) محمد الصادق عرجون، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

وكانت الطائف مقر اللات الصنم الذي كان يعبد ويحج إليه ، والطائف تضارع مكة في هذا. وكانت مكة مقر هبل صنم قريش الأكبر^(١). إلا أن أهل الطائف لم يؤمنوا برسالته ﷺ ، بل آذوه وطرده حتى قال الدعاء المشهور (اللهم إليك أشكو ضعفي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله)^(٢).

وقد عرض رسول الله ﷺ الإسلام على كثير من القبائل ، نذكر منها بنو عامر بن صعصعة ، ومحارب بن خفصة ، وفزارة وغسان ومرة وحذيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث بن كعب والحضارمة فلم يستجيب منهم أحد^(٣).

٤ - الهجرة وإرسال الوفود إلى خارج مكة:

لقد بدأت فدائح البلاء تتوالى على أصحاب رسول الله ﷺ ورسالته ، من أحب الناس له ، وشعر صلي الله عليه وسلم بما ينال أصحابه من الأذى وقاصم البلاء ، ونظر إلى ما هو فيه من العافية لمكانته من الله ، وتسخير الله لأبي طالب لحمايته. وأنه ﷺ لا يستطيع أن يمنع أصحابه مما هم فيه من البلاء وهم صابرون ومحتسبون ، وليس لهم إذن برد الاعتداء لأنهم دعاة هداية وأصحاب رسالة. أرادوا تبليغها إلى كافة الناس في أرض الله ولن يستطيعوا تبليغ رسالة ربهم إذا زجوا بأنفسهم في مضايق الثارات والتدافع ، والتقاتل فليصبروا وليعضوا وليصفحوا وليغضوا الطرف عن سفاهة السفهاء ، وقسوة الآباء والأمهات حتى يقض الله بالفرج^(٤).

(١) ابو الحسن على الحسيني الندوي، السيرة النبوية، ط٣، جدة، دار الشروق، ١٩٨١م، ص ١٢٤.

(٢) ابو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت، ص ٤٨.

(٣) صفى الرحمن المبار كفوري، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٤) محمد الصادق عرجون، مرجع سابق، ص ١٠ - ١١.

وكان الفرج هو الهجرة إلى الحبشة حيث أرسل رسول الله أول وفد إلى خارج مكة وكان جعفر بن أبي طالب هو الذي يمثل القائم بالاتصال والمبلغ عن سول الله ﷺ عندما ساله النجاشي قائلاً: ما الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ قال جعفر رضي الله عنه: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف حسبه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعنا على ما جاءنا به من دين الله وحدة، فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك^(١).

لقد كانت رسالة جعفر بن أبي طالب رسالة إعلامية قوية ومؤثرة ومستوفية لشروط الرسالة التي وضعها علماء الاتصال في العصر الحديث . ويمكننا أن نوجز أهم العناصر التي تجعل الرسالة مؤثرة وهي متضمنة في رسالة جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والعناصر هي أن تهتم الرسالة أكبر عدد من الناس، ورسالة جعفر كانت موجهة لكل جماهير الحبشة آنذاك؛ لأنها كانت في حضرة القساوسة وهم علماء الأمة الحبشية، وألا تكون الرسالة متناقضة مع تقاليد المجتمع، وكذلك جعفر أطلق رسالته في مجتمع متدين تقاليد تشابه تقاليد رسول الله^(٢).

(١) صفى الدين البار كفوري، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) محي الدين عبد الحلیم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م، ص ٣٧.

مما دعا النجاشي لأن يقول بعد أن سمع تلاوة القرآن من جعفر: إن هذا
والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة^(١).

ما من وسيلة مشروعة في ذلك الزمان إلا استغلها رسول الله ﷺ لتبليغ
الدعوة ونشرها، وقد كان بلاغةً بلاغاً مبيناً بحق. وحري بالذي يدعون الى
الله ان يتبعوا خطى رسول الله ﷺ في هذا المجال، وأن يقدموا الإسلام في
أجمل أسلوب وأحسن وسيلة وأوضح بيان .

(١) ابو بكر الجزائري، هذا الحبيب، ط٤، جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٩٩٥م، ص١٢٤.

وسائل الاتصال في المدينة (عهد الرسول ﷺ)

يتناول هذا المبحث الاتصال بانواعه ووسائله المختلفة التي استخدمت في المدينة بعد أن أصبح للإسلام دولة ذات سيادة، وتوسعت مهام هذه الدولة، الأمر الذي أدى إلى زيادة الاهتمام بالاتصال ووسائله، وقد تمثل ذلك في عدد من المواقف والخطوات منها:

مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار:

وهو نمط من أنماط الاتصال الشخصي: إذ تأخوا في الله أخوين أخوين، أخذ رسول الله ﷺ بيد علي رضي الله عنه وقال هذا أخي، وكان عمه حمزة وزيد ابن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين في الله^(١).
وقد ذكرت كتب السيرة أسماء صحابة كثر تأخوا في الله، وصار بينهم اتصال شخصي قوي ومؤثر، وكان من نتائج هذا الإخاء قيام المجتمع المسلم، ومن ثم الدولة الإسلامية الأولى في المدينة.

إرسال الرسل خارج المدينة:

أرسل الرسول ﷺ بعض من أصحابه لنشر الدعوة، وكانوا من خيرة أصحابه ونورد نماذج من ذلك.

أ / بعث الرجيع: أقبل جماعة من قبيلة عضل والقارة، وأظهروا أمام رسول الله ﷺ أنهم قد أسلموا ورجوه أن يرسل معهم عدداً من الصحابة يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين فاستجاب لهم النبي ﷺ وأرسل معهم عدداً من الرجال، وسميت هذه البعثة النبوية (بعث الرجيع)^(٢).

وغدرت هذه القبائل برسول الله ﷺ وكان فيهم خبيب بن عدي رضي الله عنه، وقد قال في استشهاده بعض الأبيات من أشهرها قوله:

ولست أبالي حيث سأقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

ب / بعثة معاذ إلى اليمن: بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال له: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء، قال: أقض بكتاب الله، فقال: [إن لم يكن في كتاب الله؟] قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: [فإن لم يكن

(١) عبد العزيز شرف، السيرة النبوية والإعلام الإسلامي، القاهرة، مكتبة مصر، ص ١٧٣.

(٢) أحمد الشرباصي، موسوعة الفداء في الإسلام، ط ١، بيروت، دار الجليل، ١٤٠٢ هـ، ص ٥٨٥.

في سنة رسول الله، قال: أجتهد رأيي ولا ألوِي، فضرب رسول الله على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله، أخرجته أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي والبيهقي في المدخل، وابن سعد في الطبقات، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)^(١)، وفي رواية البخاري أن رسول الله بعث إلى اليمن معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري .

روى البخاري عن أبي بردة قال: بعث رسول الله أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخالف، واليمن مخالفان ثم قال: ليسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا] فانطلق كل واحد منهما إلى عمله^(٢).

الاتصال الشخصي:

وقد استمر رسول الله في الاتصال الشخصي؛ وذلك لأن الاتصال الشخصي وسيلة قوية من وسائل الاتصال، ومن أشهر اللقاءات في المدينة لقاء عبد الله بن سلام مع رسول الله .

روى ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال: (لما قدم رسول الله المدينة انجفل إليه الناس، وقيل قدم رسول الله فجلست في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله عرفت أن وجهه ليس بوجهه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: [أيها الناس افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام]^(٣).

الوفود التي جاءت إلى المدينة:

سمي عام تسع من الهجرة بعام الوفود لأن كثيراً من القبائل العربية وفدت إلى المدينة، أو أرسلت رسولاً ينوب عنها لرسول الله. ولقد كان لهذه الوفود أثر كبير في نشر الدعوة إلى الله خاصة بعد أن يسلم الوفد ويعلمه رسول الله القرآن، أو يرسل معهم من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، ويستعرض الباحث نماذج من هذه الوفود كما جاءت في كتب السيرة، وكتب التراجم فيما يلي :

(١) نقلا عن: أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٤٩.
(٢) سعيد حوى، الأساس في السنة، ج١، ط١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٩م، ص١٠٠٢.
(٣) المرجع نفسه: ص٤١٧.

أ / قدوم الأشعريين وأهل اليمن: روى أحمد والطبراني عن فيروز قال: أنهم أسلموا فبعثوا وفدهم إلى رسول الله ببيعتهم وإسلامهم، فقبل ذلك منهم فقالوا: يا رسول الله نحن من قد عرفت وجئنا من قد علمت، وأسلمنا فمن ولينا قال: [الله ورسوله] قالوا حسبنا ورضينا^(١).

ب / وفود نجران: ومن الوفود وفد نصاري نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة، وأردية الحرير، مختمين بالذهب، ومعهم بسط فيها تماثيل ومسموح^(٢) جاءوا بها هدبة للنبي ﷺ فلم يقبل البسط، وقبل المسوح، ولما جاء وقت صلاتهم صلوا مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا الصلاة دعاهم عليه السلام للإسلام، فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام: ليمنعكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً، قالوا: فمن مثل عيسى خلق من غير أب، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) ﴿٥٩﴾^(٤) وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٥) ﴿٦١﴾ فدعاهم رسول الله لذلك فامتنعوا، ورضوا بإعطاء الجزية، ثم قالوا: أرسل معنا أميناً فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح، وكان لذلك يسمي أمين هذه الأمة^(٥).

ج / وفود كندة: أرسلت كندة وفدها إلى رسول الله ﷺ وفيهم الأشعث ابن قيس، وكان وجيهاً مطاعاً في قومه. ولما دخلوا على رسول الله خبأوا له شيئاً، وقالوا: أخبرنا عما خبأناه لك فقال: سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن، والتكهن في النار ثم قال: إن الله بعثني بالحق، وأنزل علي كتاباً

(١) نقلاً عن: سعيد حوى، الأساس في السنة، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٠٠٨ - ١٠٠٩.

(٢) المسموح جمع مسح وهو الكساء من الشعر، وقيل هو ثوب الراهب، حسن عطية، المعجم الوسيط، ط ٢، القاهرة، مجمع اللغة، ١٩٧٢، مجلد ٢، ص ٨٦٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم ٥٩.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ٦١.

(٥) الشيخ محمد الحضري بك، نور اليقين في سيرة المرسلين، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه] فقالوا أسمعنا منه فتلا عليهم:
 ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ
 (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾^(١). ثم سكت وسكن
 ودموعه تجري على لحيته فقالوا: إنا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك
 تبكي؟ قال: [إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم في مثل
 حد السيف إن زغت عنه هلكت]، ثم تلا: ﴿وَلَمَّا سَأَلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَهْلًا
 لَهُمْ أَفْوَاجًا فَقَالَ ذَلِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُ يَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ
 أَلْفًا مِّمَّةً وَلَا حَسَابَ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ
 عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)﴾^(٢).

ثم قال لهم عليه السلام، [ألم تسلموا؟] قالوا: بلى، قال: لما بال هذا
 الحرير في أعناقكم؟ فعند ذلك شقوه وألقوه^(٣).
 وكان عدد القبائل التي وفدت على رسول الله كبيراً في هذا العام والذي
 سمي بعام الوفود، وقد كان لاتصال الرسول ﷺ بهم أثر عظيم حيث آمن
 منهم من آمن، وتعلموا من رسول الله عقائد الإسلام وشرائعه/ وانتشر
 الإسلام في جزيرة العرب.

نكتفي بهذه النماذج من خبر الوفود كواحدة من وسائل الاتصال على
 عهد رسول الله ﷺ ونذكر منها دون تفصيل وفود عبد القيس ووفود بني
 حنيفة، ووفود طيء، ووفود ملوك حمير، ووفود همدان، ووفود بني هزيم
 وغيرها من الوفود^(٤).

واتصال الرسول بهذه الوفود يعتبر اتصالاً جمعياً، وبعد الهجرة كان
 أكبر اتصال جمعي قام به رسول الله هو مخاطبة جموع المسلمين في حجة
 الوداع التي كانت يوم الحج الأكبر بعرفة. حيث أرسل رسول الله رسالة
 جامعة لها مضامين أساسية من دين الإسلام. فخطب رسول الله في جموع
 المسلمين من الصحابة قائلًا: لأيتها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا

(١) سورة الصافات، الآيات ١-٥.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٨٦ - ٨٧.

(٣) الشيخ الحضري بك، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٤٦.

ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وأنكم ستلقون ربكم فيحاسبكم على أعمالكم، وقد بلغت، فمن كان عنده أمانه فليؤدها إلى من أئتمنه عليها، وإن كان ربا موضوع إلى أن قال اللهم هل بلغت^(١).

مكاتبة الملوك والأمراء:

الكتابة وسيلة اتصال قديمة، كان لها أثر كبير في العصور، فما من حضارة إلا وكان لها لغة مكتوبة استطاعت عن طريقها التفاهم والانتشار. وهذه الوسيلة للاتصال اهتم بها رسول الله اهتماماً كبيراً حتى أنه جعل إطلاق سراح بعض أسرى بدر أن يعلموا أطفال المسلمين القراءة والكتابة، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال^(٢).

ويدل على أهمية الكتابة أن رسول الله اتخذ كتاباً للوحي من أجلاء أصحابه كعلي ومعاوية وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها حتى تظاهر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور^(٣).

لقد ساهمت الكتابة كوسيلة اتصال في نشر الإسلام، ومخاطبة الملوك والأمراء من خلال المراسلات التي تدعوهم للإسلام، وتشرح تعاليمه.

وهذه نماذج من تلك المكاتبات فيما يلي:

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك.

أ / الكتابة إلى النجاشي ملك الحبشة: كتب رسول الله إلى النجاشي الكتاب التالي: لبسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي

(١) عبد السلام هارون، فديب سيرة ابن هشام، ط٧، الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٨٠م، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٢) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ط٣، الكويت، دار القلم، ١٩٦٤م، ص ١١٣.

(٣) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط١٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص ١٢٣.

عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن. وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت منه بعيسى من روحه ونفخه. كما خلق آدم بيده. وإنني أدعوك إلى الله وحدة لا شريك له. والموالة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله وأني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت، فأقبل نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى^(١).

وقد أثر هذا الخطاب في النجاشي وكان سبباً في أن يستجيب لدعوة الإسلام، مما يدل على فاعلية الكتابة في ذلك الزمان، وإنها كانت وسيلة ناجحة لنشر الدعوة والاتصال والبلاغ.

ب / وكتب الى كل الملوك آنذاك: إذ كتب إلى المقوقس ملك مصر، وكتب إلى كسري ملك الفرس، وإلى قيصر الروم، وإلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، وإلى هودّة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وإلى ملك عمان، بهذه الكتب بلغ النبي ﷺ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض. فمنهم من آمن ومنهم من كفر^(٢).

في هذا الفصل استعرض الباحث على وجه الاختصار اتصال اتصال رسول الله صلي الله عليه وسلم سبيل تبليغ دعوة الاسلام ، واتضح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم استغل كل الوسائل المعروفة في زمانه لنشر الدعوة مما كان له اعظم الاثر في ان يصل صوت الاسلام الى الملوك والزعماء والقبائل والدول .

(١) صفى الرحمن المبار كفوري، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

(٢) صفى الرحمن المبار كفوري، مرجع سابق ص ٤٠٥

الفصل الثالث

وسائل الاتصال في العهدين الأموي والعباسي

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العهد الأموي والعباسي الأمر الذي جعل الحاجة إلى الاتصال بوسائله المختلفة تزداد يوماً بعد يوم، وعليه فإننا ركزنا في هذا الفصل على دراسة الاتصال ووسائله في العهدين المذكورين وذلك من خلال:

- وسائل الاتصال في العهد الأموي من سنة ٤٠هـ - ١٣٢هـ .
- وسائل الاتصال في العهد العباسي من ١٣٢هـ - ٦٥٦هـ .

أولاً: وسائل الاتصال في العهد الأموي من (٤١هـ - ١٣٢هـ)

بعد استتشاف الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٤٠هـ كانت الأمة في حاجة إلى صلح لجمع الشمل وحقق الدماء، وقد تم الصلح بين معاوية والحسن بن علي سنة ٤١هـ وتنازل الحسن بموجب هذا الصلح عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وبايعه في الكوفة عام ٤١هـ، واستبشر المسلمون بهذا الصلح الذي وضع حداً لسفك الدماء ودرء الفتن وسموا هذا العام عام الجماعة .

كانت هذه بداية الدولة الأموية التي امتدت من ٤١هـ - ١٣٢هـ وعاشت زهاء الواحد والتسعين عاماً، وانتهت بنهاية إمارة آخر خلفاء بني أمية؛ مروان ابن محمد بن مروان^(١).

ويؤكد هذا الأمر الشيخ محمد الخضير بك حيث يقول: إن الدولة الأموية التي بدأت بخلافة معاوية بن أبي سفيان عندما بايعه أهل العراق والشام عام ٤٠هـ الذي سمي فيما بعد بعام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد الفرقة؛ وعليه تكون بداية هذه الخلافة في ربيع الأول سنة ٤١هـ^(٢).

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأت مسيرة الدولة الأموية تتوسع حتى وصلت إلى السند شرقاً وإلى شمال أفريقيا غرباً وواصلت زحفها حتى تم لها فتح إسبانيا والبرتغال ووصل المسلمون إلى جبال البرانس في جنوب فرنسا^(٣).

(١) عبد الشافي محمد بن عبد اللطيف، العام الإسلامي في العصر الأموي، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١١٠.

(٢) الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩م، ص ١٥.

(٣) عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م، ص ١٢٨.

لقد احتاجت الدولة الأموية إلى وسائل اتصال عديدة لربط العالم الإسلامي المترامي الأطراف. ويتساءل الإنسان هنا عن وسائل الاتصال التي ربطت هذه الدولة وجعلت الأطراف المتباعدة مربوطة بالقلب - حاضرة الدولة - وجعلت هذه الدولة تعمر من سنة ٤١ هـ حتى سنة ١٣٢ هـ ويتعاقب على خلافتها أربعة عشر خليفة بين قوي مؤثر وضعيف أثره محدود .

نماذج من وسائل الاتصال في الدولة الأموية:

استخدم بنو أمية وسائل الاتصال التالية:

- ١- الخطابة.
- ٢- الكتابة.
- ٣- ديوان البريد.
- ٤- إرسال العمال إلى الأمصار.

الخطابة:

يورد الباحث خطبة معاوية رضي الله عنه في أهل الشام كنموذج للخطابة التي تمثل نوعاً من الاتصال الجمعي في دولة الخلافة الأموية .

خطب معاوية ذات مرة في أهل الشام واعتذر عن عدم سلوكه طريقة الخلفاء الراشدين قبله فقال: وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك ولكم فيه مؤاكلة حسنة ومشارب جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، ومهما تقدم قد علمتموه قد جعلته دبر أذني وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فأرضوا مني ببعضه.. وإياكم والفتنة فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال واستغفر الله لي ولكم^(١).

ومن الأمثلة كذلك خطبة معاوية رضي الله عنه في آخر عهده، إذ خطب قبل موته قائلاً: إني كزرع مستحصد وقد طالبت إمارتي حتى مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ولن يأتاكم من بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من كان قبلي خير مني، وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقاءي وبارك لي^(٢).

(١) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م، ص ٧٧.

ضربت مثلاً لخطبتين معاوية باعتباره مؤسس هذه الدولة وقد سلك من جاء بعده مسلكه خاصة في مخاطبة الرعية عند تولي الخلافة وفي المناسبات العديدة فقد كانت الخطابة إحدى وسائل الاتصال الشائعة والمهمة في دولة بني أمية ولهم خطب عديدة لا يتسع المجال لذكرها وحسبي أن أشرت إلى نموذج من هذه الخطب ذات الأثر في ربط الراعي بالرعية .

الكتابة :

لقد كانت الكتابة والمراسلات من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية وفيما يلي نستعرض بعض الأمثلة التي توضح أهمية الكتابة وكيف ساهمت في ربط الدولة فيما بينها والدولة بالمجتمع والمجتمع ببعضه البعض ، لقد كان أكثر الخلفاء استقلالاً للكتابة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، لقد نسب المؤرخون أعمالاً تميز الخلفاء الأمويين عن بعضهم البعض فمثلاً عبد الملك بن مروان قد وحد الدولة ، وفي عهد الوليد وسليمان توسعت الفتوحات العسكرية وانتظمت السياسة والإدارة وينسب إلى عمر بن عبد العزيز أنه قد اتجه إلى الشيء الأهم والأعظم والأبقى. حيث بذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض فكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن تبقى أملاكهم وإمارتهم بأيديهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم بلغت رسائل عمر ومذهبه في الحكم والحياة إلى هؤلاء فأسلموا وتسموا بأسماء عربية كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء الهند يدعوهم إلى الإسلام فاستجاب له كثير من الأهالي في تلك المناطق فأمر ببناء الحانات وهي أشبه ما تكون بالاستراحات الآن ، لكي يأوي إليها الغرباء وتكون محطات للمسافرين والمنقطعين. كما كتب إلى ليو الثالث إمبرطور الروم يدعوهم إلى الدخول في الاسلام^(١) .

لقد شاعت الكتابة وأصبح العلماء يكتبون إلى الخلفاء فقد كتب الحسن البصري رسالة إلى عمر بن عبد العزيز جاء فيها : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفه كل مظلوم ومفرح كل ملهوف ، والإمام

(١) عبد الحليم عويس، بنو أمية، ط١، القاهرة، دار الصحو، ١٩٨٧م، ص٢٩ - ٣٠.

العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المراعي ويزودها عن مواضع الهلكة ويحيمها من السباع ويكفيها عن أذى الحر والقر والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على أولاده يسعي لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وتقرح بعافيته وتقتم بشكايته^(١).

واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل فيها أجناس عديدون من فرس وغيرهم وكبرت مسؤولية الخليفة الذي لا يجد بداً من أن يستعين بالكتاب، ويلمع من كتاب الأمويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان وزيراً لمروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي قتل عام ١٣٢هـ^(٢).
لقد بلغت الكتابة كوسيلة اتصال في دولة بني أمية شأواً عظيماً على الرغم من غلاء الورق وندرته .

إرسال العمال إلى الأمصار:

يعد هذا من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية ولقد كان له أثر عظيم في تماسك الدولة، فقد حاول الخلفاء منذ قيام الدولة إرسال الرجال الأذكياء إلى الأمصار البعيدة لإدارتها وتصريف الأمور فيها، حتى يكون هذا العامل حلقة وصل بين الخليفة والرعية. وقد استمرت هذه الوسيلة تؤدي دورها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان عندما استقل بالخلافة عام الجماعة بعث بالعمال إلى الأمصار^(٣).

ديوان البريد:

ساهم البريد في إدارة الدولة الأموية وكان واحداً من وسائل الاتصال الحديثة في تلك الدولة وكان وسيلة فاعلة، والبريد في المصطلح هو أن تجعل خيلاً مضمراً في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى المكان الآخر وقد تعب فرسه ركب فرساً آخر مستريحاً، فإذا وصل إلى المكان

(١) مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، ط ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص ٢٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص ٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥.

الآخر ركب فارساً آخر وهكذا إلى أن يصل إلى المكان المطلوب، وله معنى في اللغة إذ ذكر بأنه مسافة معلومة قدرت بإثني عشر ميلاً، وقدره الفقهاء وعلماء المسالك بأربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال وقد كان يطلق على الرسول البريد واللفظ عربي وقيل أنه فارسي. وقد كانوا يضعون البريد في أماكن معينة لحفظ الأموال وسرعة وصول الأخبار. وأدخل نظام البريد في الإسلام في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم أدخل عليه عبد الملك ابن مروان عدة تحسينات وبذلك أصبح أداة هامة في إدارة شؤون الدولة، وبلغ من اهتمامه بالبريد أن أوصي أن لا يمنع عامل البريد من الدخول إليه ليلاً أو نهاراً لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة^(١).

لقد استطاعت إدارة الدولة الأموية أن تستفيد من وسائل الاتصال المتاحة آنذاك في ربط القمة بالقاعدة وفي إدارة شؤون الدولة الممتدة الأطراف والتي عاشت ردهاً من الزمن وسخر خلفاء الدولة وسائل الاتصال من اتصال شخصي وجمعي وأساليب خطابة والكتابة والمراسلات وبعث العمال والأمراء إلى الأمصار المختلفة أدخلوا نظام البريد السريع واختصار المسافات وقدروا أهمية ساعي البريد الذي سمح له أن يدخل إلى بعض الخلفاء ولا يمنع من ذلك ليلاً كان أو نهاراً .

ثانياً: وسائل الاتصال في العهد العباسي من سنة ١٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ

حكمت دولة بني العباس حوالي خمسة قرون من سنة ١٣٢ هـ السنة التي تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة إلى زوال هذه الدولة على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م، يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية: إن هذه الدولة من كبار الدول التي ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان اختيار الناس وصلحاءهم يطيعونها تدينياً والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة ثم مكثت فيها الخلافة والملك حدود ستمائة سنة^(٢).

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ١، ط ٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤ م، ص ٤٥٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ١، مرجع سابق، ص ٢١.

استخدمت الدولة العديد من وسائل الاتصال وكان أبرز هذه الوسائل الدعاة، الكتابة، المسجد، نشر العلم، الكتاب، التجارة والتجار، والبريد، ونتناول كل وسيلة من هذه الوسائل بشيء من التفاصيل فيما يلي :

إنتشار الدعاة:

لقد ضيق الأمويون على البيت العلوي والعباسي لأن هذين البيتين نافسا الدولة الأموية ويرى كل بيت أن له حقاً مغتصباً من قبل الدولة الأموية خاصة البيت العلوي، وكان العباسيون يشدون من أزر العلويين إلى أن تنازل زعيم العلويين للبيت العباسي. ومن ثم استخدم العباسيون كل وسائل الاتصال لبث فكرتهم ومن ذلك الدعاة والنقباء والمبشرين وذلك من أجل الدعوة للعباسيين والترويج لهم وبحقهم في الخلافة وظل الدعاة يدعون سرّاً لمدة طويلة وفي تنظيم دقيق .

وقد بدأ أسلوب الدعوة بعد قدوم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وذلك عندما قدم على سليمان بن عبد الملك عام ٩٨هـ فأعجب به وقضى حوائجة وصرفه وضم إليه من سمته فلما شارف الشراه أحس بذلك وقال لأصحابه ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو يقيم بكذا من الشراه من كور البلقاء من أرض دمشق. فلما صار إليه أخبره بأن الخلافة صائرة إلى ولده وأفشى إليه أسراره وعرفه بالدعاة وقال له إذا مضت المائة الأولى فوجه دعائك^(١).

يتبين من هذا النص أن الدعوة والدعاة قد انتقلوا من البيت العلوي الذي يمثله عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي يمثل البيت العباسي وأن الدعاة الذين كانوا يدعون إلى البيت العلوي أصبحوا دعائم الاتصال للدولة العباسية .

تم تنظيم الدعاة تنظيماً دقيقاً وكانت الدعوة للدولة العباسية تقوم على أساس ديني ومن الأمور التي ساعدت رجال الدعوة قيامها على أساس ديني وأنها إلى جانب ذلك نظمت تنظيماً حقيقياً واستغلت العصبية. وكانت بداية الدعوة مطلع القرن الثاني الهجري .

(١) على عبد الرحمن العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، القاهرة، مطابع الدجوي، ١٩٧٩م، ص ٩٥-٩٦

خرج رسل الدعوة العباسية سنة ١٠٠هـ من الحميمة مركز قائد الدعوة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهم: ميسرة العبدى ومحمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج وحيان العطار بعث أحدهم إلى العراق وثلاثة منهم إلى خراسان وقد أخفى محمد بن علي نفسه بأن تكون الدعوة إلى واحد من آل البيت واختار مراكز استراتيجية من هذه المراكز الحميمة مركزاً للدعوة وهي أول مركز للدعوة تقع في موقع صغير في طريق القوافل التجارية بعيداً عن المسرح السياسي، وقد اتخذت الكوفة مقراً للدعاة في العراق لأنها ذات ولاء لآل البيت وكانت نقطة اتصال حيث تصدر التعليمات من الحميمة مع الدعاة الوافدين من خراسان لعرض نتائج مساعيهم وجهودهم في سبيل الدعوة في مناطق خراسان ولتلقوا الأوامر، واختار خراسان مقراً لنشاط الدعوة. واختيارهم لهذه المنطقة يدل على عبقرية ورجاحة عقل، ذلك لأن الاتصال يصبح سالكاً بينه وبين دعائه^(١).

من الأقاليم التي كان للدعاة فيها أثر بليغ خراسان، حيث اتسعت الدعوة وتعمقت جذورها في سهول خراسان وجبالها ونشطت حركة الدعاة وأصبح لأبد للدعوة من رئيس على درجة كبيرة من الكفاءة والقدرة يشرف على شؤونها وينظم مسيرتها، وقد أوضح دعاة خراسان لإبراهيم الإمام الذي تسلم الدعوة بعد وفاة والده محمد ابن علي احتياج الدعوة في خراسان إلى قائد وزعيم يتولى مسئوليتها ويضع الخطط للتحركات التي يقوم بها رجال الدعوة ويعد العدة إلى إطلاق الشرارة في اليوم المنتظر، فاختار لهذا الأمر رجلاً فارسياً في مقتبل العمر ذا حزم وعلم وهو أبو مسلم الخراساني أرسله الإمام إبراهيم ليتولى رئاسة الدعاة في خراسان سنة ١٢٧هـ وأمر الشيعة بالسمع والطاعة له^(٢).

(١) على عبد الرحمن العمرو، مرجع سابق، ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٩.

قد كان الدعاة والنقباء يتصلون سراً لفترات طويلة وكان أمرهم في طي الكتمان واسمتر هذا النوع من الاتصال إلى أن أُطِيح بالدولة الأموية واتسع المجال أمام الخلافة العباسية^(١).

الكتابة والمراسلات:

كان كل خليفة من بني العباس يتولى الخلافة يستكتب أفضل كتابة في رسالة تقرأ على أنصار الخلافة وهي بمثابة منشور في عصرنا الحاضر، وهذه الرسالة تحدد أهداف الخليفة وتوضح هويته. وقد اختبرت بشكل خاص لكي توجه لها وإلى أهلها هذه الرسالة. الرسالة تعدد مآثر الخليفة الجديد وتذكر فضائله ويجتمع الناس من كل حذب وصبوب للاستماع لهذه الرسالة^(٢).

من أهم الرسائل كانت رسائل الخميس (الجيش) وقد كانت أخطر وأشهر رسائل الخميس جميعاً الرسالة التي كتبها أحمد بن يوسف للمأمون والسبب في ذلك أن المأمون تولى إمرة الدولة بعد فتنة دموية قتل فيها أخوه محمد الأمين وهو ولد الرشيد من زبيدة وهو عربي الأم والأب وكان الهدف من الرسالة تهدئة الناس ووضع القضايا أمامهم ولا يستطيع هذا إلا كاتب رسالة الخميس. ولهذا السبب كان خطر رسالة الخميس التي كتبها أحمد ابن يوسف والتي نعت بسببها أنه واحداً من ألمع كتاب العربية^(٣).

لقد كانت الكتابة من أهم وسائل الاتصال وبها يتم توثيق وتقييد الأمور الهامة فمثلاً عندما حضرت الوفاة أبا العباس السفاح كتب عهداً عهد فيه لأخيه أبي جعفر من بعده ثم إلى عيسى بن موسى وكتب هذا العهد وختمه بخاتمه وسلمه إلى عيسى بن موسى بن محمد العباس^(٤).

المسجد كوسيلة اتصال:

استمر المسجد يؤدي دوره كواحد من وسائل الاتصال في كل العصور منذ عصر النبوة حتى الخلافة الأموية، وقد استغل خلفاء دولة بني العباس

(١) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ١٥-١٦.

(٢) مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

(٤) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص ٢٨.

وعمالهم هذه المؤسسة في الاتصال وترسيخ قواعد دولتهم وتماسكها ، وقد كانت سنة واضحة سنها مؤسس الدولة الأول ، فعندما تولي أول خلفاء بني العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقف على المنبر وخطب الناس (الجماهير) وبين بعض سياسته في غضبه على بني أمية ونوه بفضل آل محمد ومدح أهل الكوفة وأهل العراق وقال: (أنا السفاح المبيح والثائر المبير)^(١) يعني أنه المهلك واستمر للمسجد مكانته في الاتصال طيلة عهد الدولة العباسية واستغله كل الولاة والحكام ، اشتهرت مساجد كبرى في العالم الاسلامي كانت تقوم بدور رائد كوسيلة اتصال منها مساجد بغداد حاضرة الخلافة العباسية والكوفة ودمشق والمسجد النبوي والحرم المكي وغيرها من المساجد في أنحاء الدولة الإسلامية .

العلم والتعليم :

العلم والتعليم والتربية من علوم الاتصال التي يعول عليه في تماسك المجتمع ووسيلة ناجحة من وسائل الاتصال الجماهيري^(٢) ، مما سهل الاتصال بين أفراد المجتمع في الخلافة العباسية نشر العلم الذي خلق جواً من الانسجام وتوحداً في المجتمع آنذاك .

عندما تولي العباسيون الخلافة أدركوا خطر ترك البناء الثقافي العام سائباً ، كما أدركوا مكانة علماء المدينة وقيمة ما عندهم من علوم. وكان لابد من تعليم الأمة حتى تتسجم في الدولة الجديدة وأن تتسجم مع الخط العام الذي تبناه علماء المدينة. يروي ابن عبد البر أن أبا العباس السفاح لما ولي الخلافة بعث إلى المدينة فأقدم عليه عامة من كان في المدينة من أهل العلم وأن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة المشهور درس على أولئك العلماء في بغداد. وتابع أبو جعفر المنصور هذه السياسة فحضر علماء المدينة على القدوم إلى بغداد ويسر لهم مكانة مرموقة ، وكان من بين قضاة بغداد عدد من أهل الحجاز منهم أبو يحيى بن سعيد الأنصاري وأبو عبد الله بن محمد الجمحي وسعيد ابن عبد الرحمن الجمحي ، كما رحب بمقدم بن اسحاق وهو الذي

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢) ابراهيم امام، الاعلام والاتصال الجماهيري، ط٣، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ١٣

وضع كتاب المغازي والسير، وأخبار المبتدأ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة. وكان أبو جعفر قد نظم في العلم وقرأ المذاهب والآراء، ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس وكثر علومهم، وتابع المهدي الاهتمام بعلوم الإسلام والعناية بعلماء المدينة فجلب سنة ١٦٠هـ عدداً من أهل المدينة وسكنهم بغداد وقربهم إليه وأغدق عليهم العطاء وأطلق عليهم اسم (الأنصار) وكانت لهم في بغداد قطيعة وقنطرة ومسجد ومقابر خاصة بهم، كما كان لهم نقيب خاص. عمل هؤلاء العلماء بتشجيع من الخلفاء العباسيين الأولين على نشر علوم القرآن والحديث والفقه وسيرة رسول الله ﷺ وأخبار العرب وشعرهم وهي علوم سبق وأن وضع العرب أسسها وتعهدها لأنها معبرة عن ميولهم واتجاهاتهم السابقة.

وقد كان لنشر العلوم أثر كبير في توحيد المجتمع وتماسكه حيث أصبح العلم والتعليم بمثابة وسيلة اتصال تحكمت في أن ينسجم المجتمع. وسرعان ما اتضحت معالم التعليم والتعلم وازدادت العناية به وتقديره، وأصبح العلماء في هذه العلوم لهم الحظوة الأولى كما أصبحت بغداد حاضرة الدولة العباسية المركز الأول والأكبر لهذه العلوم في الدولة الإسلامية ومن هذه المراكز تتدفق العلوم والمعلومات وينتشر العلماء القائمون بالاتصال حول سائر أمصار ونواحي الدولة العباسية^(١).

كما شاع التعليم الذي أسهم في الاتصال إلى جانب نشر العلم، وبذا أسهم التعليم في ربط الأجيال بعضها ببعض ونقل التراث من جيل إلى جيل ولذلك كان اهتمام الدولة العباسية به مما ساعد على ازدهاره في هذه الدولة حيث قامت معاهد ومؤسسات تبنت التعليم.

وأحب أن ألقى الضوء على هذه المؤسسات:

١/ مدارس الكتاب: وقد كانت هذه المدارس منتشرة وكان بها قدر من المعلمين، قال ابن قتيبة من المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة

(١) صالح أحمد العلي، العراق في التاريخ، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢م، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

كان يروي عن مالك بن أنس وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض.

ومات في خلافة أبي جعفر المنصور وبعض المعلمين كانوا يعلمون حسبة؛ أي لا يأخذون أجراً. وروى ابن قتيبة أن الضحاك ابن مزاحم وعبد الله ابن الحارث كانا يعلمان ولا يأخذان أجراً وبعضهم كان يأخذ أجراً من الصبيان^(١).

٢ / المسجد: لقد كان المسجد أكبر معاهد الدراسة في تلك العصور ولم تكن المساجد للعبادة وللخطابة والاتصال وحدها ولكن كانت تؤدي فيها أعمال عديدة ومفيدة. وقد كانت للعبادة وللخطابة والاتصال والذي يهمني هنا أن المسجد كان مكاناً للاتصال ونقل التراث من جيل إلى جيل^(٢).

كان المسجد أكبر معهد لنقل التراث وربط المجتمع بعضه البعض وربط الراعي بالرعية. أذكر من هذه المساجد التي كانت تقوم بدور التعليم والتربية، مسجد عمرو بن العاص ومسجد البصرة ومسجد الكوفة بالإضافة إلى الحرمين المكي والنبوي وغيرهما من المساجد التي كانت تقوم مقام المدارس والجامعات في العصر الحديث .

لقد كان المسجد مكاناً للتعليم والتعلم من عهد الرسول ﷺ وكان وسيلة اتصال بين المسلمين بل كان أهم وسائل الاتصال في ذلك العهد المبكر. واستمر مكاناً لتعليم القرآن والحديث وللقصاص يعظون فيه الفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموي. وعندما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت كذلك حلقات الدروس فنجد حلقات الشعر والأدب وغيرها من العلوم^(٣).

٣ / مجالس المناظرة: من أهم معاهد العلم التي أدت إلى انسجام المجتمع معاهد العلم ومجالس المناظرة في الدور والقصور وبين العلماء وفي حضرة الفقهاء وذلك بنشر علوم الفقه والنحو وغيرها من العلوم آنذاك وقد سجلت

(١) أحمد أمين، ضحي الإسلام، ج ٢، ط ١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٠.

كل المناظرات بين الفقهاء والعلماء وأصحاب المذاهب وحفلت بها كتب التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .

٤ / المكتبة: الى جانب المعاهد الأخرى التي أسهمت في التعليم وتعديل الرأي العام بل وتوجيهه كانت المكتبة. وأول مكتبة عامة أسهمت في الاتصال الثقافى والحضارى هي مكتبة (دار الحكمة) التي أنشأها المنصور في بغداد وجمع لها الكتب اليونانية من الإمبراطورية وترجمت إلى العربية. وكانت تحوي كل العلوم التي اشتغل بها العرب وقد ظلت تؤدي دورها إلى أن جاء التتار سنة ٦٥٦ - وجاسوا خلال الديار الإسلامية ودمروها تدميراً^(١).

٥ / الكتاب: لقد كان الكتاب وسيلة اتصال قوية وناجحة في الدولة العباسية، فمثلاً عندما إحتدم الخلاف بين الشعوبين والعرب كل ألف الكتب في مثال الآخر ومدح بالطبع نفسه. يروي لنا التاريخ أن سعيد ابن حميد البختكان قد ألف كتاباً أسماه (إنتصاف العجم من العرب) وكتاب (فضل العجم على العرب وإفتخارهم) وبعضهم وضع الكتب في تلك الحقبة لتكون إحدى الرسائل التي تساهم في الاتصال في ذلك العهد وكانت تقوم بوظائف المطبوع الذي يسهم في الاتصال والذي له كثير من المميزات، لقد أصبحت الكتب من وسائل الاتصال ذات الأثر القوي وكتبت الكتب ورد العلماء على بعضهم البعض حيث كتبت كتباً كثيرة في علم الكلام وشاعت الكتب والردود عليها^(٢).

٦ / حركة التجارة والتجار: لقد أسهم التجار في تحركاتهم التجارية .. أسهم هؤلاء في الاتصال وربط الدولة. وقد شجع الخلفاء التجارة، عندما حفروا الآبار وأقاموا المحطات على الطريق التجاري وعلى طرق القوافل كما أنشأوا المنابر على الثغور، وأدى وصول المسلمين الأوائل إلى سواحل أفريقيا الشرقية وسرنديب (سيلان) والملايو والصين وإلى كثير من الجهات أدى هذا إلى تنوع السلع وانتشار الإسلام حيث ما وصل قدم التجار المسلمين^(٣).

(١) المرجع نفسه، ص ٦٦ .

(٢) عبد الرحمن بدوي، مذهب الاسلاميين ج ١، ط ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص ٢٠٦

(٣) شوقي ابو خليل، الحضارة العربية والاسلامية، ط ١، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ١٩٨٧م، ص ٢٣٨

كان التجار من القائمين بالاتصال في الدولة العباسية وكانت التجارة صلة بين الشعوب الإسلامية وغيرها. وقد اتصلت الشعوب عن طريق التجارة وهو اتصال حضاري مشهود له في ربط الحضارات والثقافات ونقلها، والتجارة في العصر العباسي ازدهرت وبلغت أوجها والسبب اتساع رقعة الدولة وتنوع الأقاليم الأمر الذي أدى إلى تنوع المناخ في هذه الدولة .

٧ / البريد: لقد أصبح البريد في العهد العباسي محكماً جداً والخطابات كانت ترسل بالخيول وزيد عدد الخيل في المدن الرئيسية. وكانت هذه الخيول تقطع مسافة خمسة أيام في يوم واحد وعبر البريد حتى بلاد الهند وربطت مدن بغداد والبصرة والأهواز وشيراز ومنها إلى مدن نرماشير ومكران ثم إلى كير في بلاد الهند. وفي محطات في طريق البريد الصادر من بغداد إلى شرق الخلافة العباسية. إن النظام البريدي في الخلافة العباسية كان بالغ التنظيم وأدى إلى ربط أقاليم البلاد بحاضرة الخلافة في بغداد ربط القلب بالأطراف^(١).

لقد حاولنا أن نورد أهم وسائل الاتصال على عهد الخلافة العباسية إجمالاً من غير تفصيل وذلك خشية الإطالة، وحسبي أن فتح الباب أمام الباحثين للدراسة التفصيلية، هذا من ناحية ولأن مهمة هذا البحث واسعة لا تستقصى كل كبيرة وصغيرة ويكفي أن قدمنا سبعة وسائل الاتصال في الخلافة العباسية، كانت هذه الوسائل مجتمعة ذات أثر عظيم في تماسك الدولة وكانت تصل الراعي بالراعية وكذلك الرعاية ببعضها البعض. لقد بدأت الحديث عن الدعاة الذي كانوا يتصلون على بعضهم البعض سراً في أول الدعوة للخلافة العباسية والكتابة التي استغلها الخلفاء والمساجد والمعاهد والحركة العلمية التي ساعدت في إنسجام المجتمع. وغيرها من وسائل الاتصال كالتجارة والكتاب وأخيراً البريد الذي كان متطوراً في عهد الخلافة العباسية .

(١) محمد يوسف النجمي، العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص ٦٤

الفصل الرابع

وسائل الاتصال في العصر الحديث

يركز هذا الفصل على دراسة وسائل الاتصال الجماهيري الحديثة وإلقاء الضوء عليها من خلال ثلاث وسائل على النحو التالي:

- الوسائل المقروءة (الصحافة)
- الوسائل المسموعة (الإذاعة)
- الوسائل المرئية والمسموعة (التلفزيون)

أولاً: الوسائل المقروءة (الصحافة) :

تشمل هذه الوسائل الصحف والكتب والنشرات والكتيبات والملصقات، ونركز هنا على الصحف باعتبارها نموذجاً لوسائل الاتصال المقروءة وذلك لما للصحافة من دور هام في تكوين الرأي العام وفي التغيير الاجتماعي والثقافي كوسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري .

نشأة الصحافة:

ظهرت الصحافة في بدايتها في الصين حيث إن الصينيين هم أول من أصدر صحيفة في العالم، لقد سبق الصينيين العالم في إنشاء الصحافة وهم أول من أصدر صحيفة في العالم، إذ كانت صحيفة (كين يان) الصينية التي صدرت عام ٩٠٠ قبل الميلاد هي الصحيفة الرسمية لحكومة الصين^(١) ومن قبل الصينيين كانت هناك صحافة تصدر في المجتمع الروماني حوالي ٤٥٤ قبل الميلاد إذ صدرت أول صحيفة لتتشر أعمال مجلس التشريع عندهم ليعرف من يستطيع القراءة من الشعب الروماني ما يدور في المجلس التشريعي Roman senate وسميت هذه الصحيفة Acta Durna غير أن تقدم الصحافة المقروءة لم ير النور إلا بعد اختراع جوتنبرج سنة ١٤٥٠م للطباعة حيث ساعد على إنتشار الصحف وتقديمها في أوروبا ومن ثم بلاد أمريكا والشرق^(٢)، لقد كانت الطباعة أعظم منجزات العقل البشري في كل العصور، كان الناس قبل القرن الخامس ينسخون الكتاب في أوروبا عن طريق عمل مخطوطات تتم

(١) أديب مروة، الصحافة نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة ١٩٩١م، ص ٥٤.

(٢) إجلال خليفة، الوسائل الصحفية، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص ١٤-١٥.

كتابتها يومياً ، مع أن العديد من هذه الكتب يمثل تحفاً فنية رائعة إلا أن عملية النسخ اليدوي غالباً ما كانت عرضة لحدوث أخطاء .

في عام ١٩٢٨ طور العالم أوتو جروث otto groth مجموعة من أربعة مقاييس يعتبرها العلماء المحدثون معايير لتحديد الصحيفة الحقيقية .
المعيار الأول لجروث: هو أن تصدر الصحيفة دورياً مرة على الأقل في الأسبوع .

المعيار الثاني: هو ضرورة إستخدام الإستسناخ الآلي، ومن ثم فالمطبوعات الرومانية لا تنطبق عليها كلمة صحيفة .

المعيار الثالث: هو حق أي شخص يستطيع دفع الثمن في الحصول على المطبوعة، بمعنى آخر يجب أن تكون متوفرة لكل شخص وليس فقط مختارة، حق الحصول أو قراءة المطبوعة يجب أن لا يكون مقصوراً على أية مؤسسة .

المعيار الرابع: هو تحديد جروث محتويات المطبوعة بحيث تكون المطبوعة متنوعة المضمون وأن تحتوي على كل شيء يمس الإهتمامات العامة لكل فرد ، وليس فقط لجماعات صغيرة مختارة، أما العرب فقد عرفوا الصحافة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لأول مرة كانوا يطلقون عليها لفظ (الوقائع) حتى أنشأ خليل الخوري أول صحيفة عربية بالمفهوم الحديث عام ١٨٥٨م، وأطلق عليها (حديقة الأخبار) بينما كانت تسمى بالفرنسية (جورنال)^(١) واستمرت الصحافة في التطور إلى أن بلغت ما عليه في العصر الحديث، وهي الوسيلة الإعلامية الكتابية السائدة والمسيطرة حالياً وأهمية الصحافة تتبع من أنها اتصال يومي ومباشر بالجمهور، اتصال هدفة نقل الخبر والرأي والتحليل والصورة إلى القارئ، فعبّر الصحيفة اليومية أو المجلة الدورية (أسبوعية أو شهرية أو فصلية) يقوي الاتصال إلى درجة تصبح معها آراء الجمهور والجماعات هي حصيلة ما تضمنه صحيفة ما من آراء أو معلومات^(٢) .

(١) أديب مروة، مرجع سابق، ص ١٤ .

(٢) طلعت همام، مائة سؤال عن الإعلام، ط ١، بيروت، دار الفرقان، ١٩٨٣م، ص ١٠ .

والصحافة بهذا المفهوم تسهم في بناء الأمة، إذ أن الصحافة ليست تجارة خالصة ولا علماً خالصاً ولا مزاداً لبيع الكلام؛ ولكنها عملية بناء الفرد والأمة ومؤسسة قائمة على بينات من الفن والعلم والصناعة والريح المادي غير المستغل^(١).

والصحف تعتبر من أهم مصادر المعلومات الدورية لأن الصحيفة تقوم بالتسجيل السريع للأحداث والوقائع التي تقع في منطقتها أولاً ثم على إمتداد العالم كله بعد ذلك في أحيان كثيرة، والصحيفة هي مرآة العالم كله بعد ذلك وأداة من أهم الأدوات المعروفة للتعبير عن هذا الرأي ولذلك تعتبر الصحيفة أجندة التاريخ والسجل للنشاطات في جميع النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعاطفية والثقافية، وليست قيمة الصحيفة في أنها تتيح للناس أن يتابعوا يوماً بيوماً الأحداث والوقائع الجارية التي تقع حولهم فحسب ولكنها بمرور الوقت تعتبر مصدراً من مصادر المعلومات ومصدراً أصيلاً يرجع إليها الباحث أو الدارس طلباً للمعلومات المتعلقة بالفترة التي عاشتها الصحيفة وكانت شاهداً على ما حدث في هذه الفترة^(٢).

ولذلك تعد الصحافة مرجعاً تاريخياً وسجلاً للأحداث يرجع لها الدارسون لدراسة الحقب المختلفة وذلك في كافة مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الصعيد المحلي والعالمي .

وللصحافة وظائف تقوم بها نذكر منها بإختصار ما يلي :

- ١ / الوفاء بحق الجماهير في المعرفة .
- ٢ / إدارة المناقشة الحرة في المجتمع ونقلها إلى الجمهور .
- ٣ / الرقابة على مؤسسات المجتمع من الانحراف والفساد .
- ٤ / المساهمة في تحقيق ديمقراطية الاتصال .
- ٥ / المساهمة في تنمية المشاركة السياسية .
- ٦ / المساهمة في تحقيق التنمية الثقافية .
- ٧ / المساهمة في تحقيق تماسك المجتمع ووحدته .

(١) إجلال خليفة، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) محمد فتحي عبد الهادي، مركز المعلومات الصحفية، ط ١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م، ص ١٦١.

٨ / حماية الذاتية الثقافية^(١).

والصحافة لها مميزات تختص بها دون بقية وسائل الاتصال الجماهيري، وهي مميزات كثيرة نورد بعضها فيما يلي:

١ / قارئ الصحيفة يستطيع قراءتها أكثر من مرة إذا أراد، وهو في كل مرة يزداد تشبهاً من الفكرة ويتمكن من قلب وجوه الرأي فيها وهو ما لا يتاح للمستمع إلى مذياع أو خطيب أو مقدم حديث في أحد البرامج الإذاعية أو برامج التلفزيون.

٢ / الصحافة تمتاز عن وسائل الاتصال الأخرى لأنها تعطي القارئ حرية كاملة في اختيار الوقت المناسب لقراءتها وإذا سئم القارئ في وقت ما أو كان مشغول الذهن فيمكنه تركها ليقرأها في وقت آخر.

٣ / الناس يميلون إلى تصديق الكلمة المكتوبة، كذلك يتأثرون بمضمونها تأثيراً عميقاً.

٤ / لها ميزة اجتماعية لأنها تثير الحافز على تعلم القراءة والكتابة لدى الأميين كما تساعد على محو الأمية الثقافية لدى أنصاف المتعلمين بما تنشره من أفكار ودراسات.

٥ / الصحافة وسيلة تساعد على النقد فهي تتيح للقارئ تكرار المقروء والتفكير فيه جملة جملة ثم تخيل ما يمكن تخيلة وبعد ذلك يسهل للإنسان أن يقوم بنقد المقروء فيمدحه أو يذمه.

٦ / تستخدم المطبوعات خاصة الصحافة بنجاح أكبر مع الجماهير المتخصصة مثل جمهور العمال والفلاحين والمدرسين والأطباء والمهندسين والعسكريين إلى غير ذلك من أنواع الجماهير.

٧ / تتميز الصحافة بوضوح المقاصد والأهداف لأن الكلمة تتطلب هذا الوضوح.

٨ / قد تتعرض الجيوش للهزائم، أما الصحف فقلما تتعرض لذلك وقلما تستطيع الحكومات أن تؤثر في الصحافة إلا بطريق الإلغاء أو التعطيل.

(١) سليمان صالح، مقدمة في علم الصحافة، القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٩٩٤م، ص ٦٣ - ٧٥.

٩ / تمتاز الصحافة عن وسائل الاتصال الأخرى بالصورة والكاريكاتير فقد تغني الصورة عن ألف كلمة وهي سلاح قوي من أسلحة الصحافة المعاصرة تعتمد عليه في محاربة أعداءها والسخرية منهم والإستهزاء بهم^(١). هذه طائفة من مميزات الصحافة المطبوعة، وقد تتداخل مميزات الصحافة بعض المرات مع وظائفها ولكن تظل للصحافة مميزات ووظائف تتميز بها عن غيرها من وسائل الاتصال الجماهيري .

والصحافة وهي تقوم بدورها كإحدى وسائل الاتصال تتعرض لمشاكل عديدة ولا سيما في دول العالم الثالث، حيث تعاني بصورة عامة من مشكلات عديدة ينجم معظمها عن التخلف الثقافي والتقني والاقتصادي وعن الضوابط السياسية والاجتماعية المفروضة على الكلمة، وشمل الضعف الأطراف الثلاثة التي تدخل في العملية الصحفية وهي الكاتب الصحفي والقارئ والصحيفة نفسها .

فالكاتب لا يحصل على الحافز المادي والمعنوي اللازم للقيام بمهمته على الوجه الأكمل، والقارئ غير مثقف بما فيه الكفاية ولا يستطيع دائماً تحمل نفقات شراء الصحيفة، وأخيراً الصحيفة لا تملك الإمكانيات والتسهيلات المناسبة المالية منها والفنية والعلمية، ونتيجة لكل ذلك تنشأ صحافة غير قادرة على الإيفاء بصورة كاملة بمتطلبات التوعية والإعلام والتثقيف، ولكن هذا الحكم عام بالطبع ولا ينطبق على جميع دول العالم الثالث^(٢) كما تتأثر الصحف إنتاجاً وتوزيعاً بعدد من خصائص المجتمع الذي تصدر فيه كالتعليم واللغة والتحضر وأيضاً العوامل الجغرافية مثل حجم الدول وطبيعة الحدود في الداخل والخارج وموقع المدن الكبرى ذات الأهمية كل ذلك يؤثر في ظهور وانتشار الصحف القومية والمحلية بالإضافة إلى النظام السياسي والاقتصادي الذي يؤثر في عدد الصحف وتمويل صدورها .

لا تستطيع الصحافة أن تؤدي دورها في المجتمع وتقوم بوظائفها إلا إذا توفرت لها الحرية ولكن الحرية بالنسبة للصحافة تتفاوت من بلد إلى آخر

(١) مصطفى الدميري، الصحافة في ضوء الإسلام، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٨م، ص ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط ١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧م، ص ٤٦ .

وتحكم هذه الحرية المبادئ والقيم والقوانين وعقائد البلاد التي تصدر فيها الصحف، وقد جرت العادة أن يضع كل قطر ضوابط ولوائح للعمل الصحفي حتى تتمكن الصحافة من أداء دورها المطلوب فحرية الصحافة مثلاً في البلدان الغربية تختلف عن حريتها في البلدان الشرقية، لقد تعرضت الصحافة خلال المائة والخمسين عاماً الماضية لتطورات هائلة فبعد أن كان من الممكن ومن السهل لفرد في ظروف متواضعة أن يصدر صحيفته الخاصة مستعيناً بمطبعته الخاصة أيضاً ثم يوزع جريدته بأعداد تكفي عائداتها لبقاء الصحيفة... فإن هذه الحال القديمة لا تحمل أي نوع من التشابه بينها وبين صناعة النشر في وقتنا الحاضر، وذلك لأن إصدار صحيفة قابلة للحياة والاستمرار أصبح حالياً عملية تكلف مبالغ هائلة⁽¹⁾ لقد تعرضت الصحافة إلى منافسة بواسطة الراديو إذ أن ظهور الراديو أدى إلى إتساع نطاق الأخبار التي ينقلها وينشرها بين الجمهور.. وقد حاولت الصحافة تجاهل هذا المنافس في أول الأمر ثم حاربته ولكن الصحف انتهت من مرحلة الصراع والمنافسة إلى مرحلة الملاءمة مع الراديو وتقبل وجوده كأحد وسائل الاتصال الجماهيري .

ثم بدأت المنافسة بين الراديو والتلفزيون والصحف للحصول على أكبر عائد من الإعلانات وأكبر تغطية للأخبار، استمرت هذه المنافسة لفترة طويلة، وأدى ذلك إلى تعديل في محتوى الصحف ومصادرهما وطرق إخراجها، وعلى الرغم من التطور الذي حدث للصحافة إلا أن هناك سؤالاً ظل يطرح نفسه باستمرار وهو ماذا يريد الجمهور من الصحافة 5.

لقد أورد الدكتور أحمد بدر في كتابه الاتصال الجماهيري مطالب الجمهور من الصحافة، حيث قال: لا يستطيع أحد أن يحدد ما يطلبه الجمهور من الصحافة إلا الجمهور نفسه، فبعد دراسة لجنة حرية الصحافة التي تألفت من بعض أساتذة الجامعات المصرية إلى أن للجمهور مطالب مثالية يمكن مناقشتها كما يلي :

١/ تقرير شامل وحقوقي لأحداث اليوم كما يجب أن تقدم الحقائق بدقة دون كذب أو خداع وهنا تظهر مسئولية المخبر أو المراسل الصحفي باعتباره

(1) أحمد بدر، الاتصال الجماهيري بين الإعلام والتطويع والتنمية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص 31

الحلقة الأولى في عملية الاتصال إذ يجب عليه أن يعتمد بالدرجة الأولى على الملاحظة لا على الأشاعة ويجب أن يتدرب على الأسئلة التي يسألها والأشياء التي يجب ملاحظتها كما يجب أن يفرق بين الحقائق والآراء بقدر الإمكان .
٢ / ترك مساحة لتبادل النقد البناء والتعليق على الأحداث الهامة وذلك لأنه من غير المتوقع أن تنشر الصحافة مختلف الآراء المعبرة عن الجماعات المختلفة وعليها مسئولية خاصة في نشر الأفكار القيمة المناهضة للخط الذي تسير فيه وذلك حتى تكون الصحافة موضوعية على قدر الإمكان، وإذا لم يتحقق ذلك فإن الأسباب الرئيسية لمطالب الحرية الصحفية تختفي .

٣ / إقامة الفرص المتكافئة للمواطنين للإطلاع على المعلومات الكاملة^(١) لقد توصل الباحثون لهذه المطالب من قبل الجمهور ولكن في تقديري لم يحصلوا كل المطالب التي يريدها الجمهور من الصحافة .
والصحافة لكي تؤدي المهام والوظائف المناطة بها لا بد أن يضع القائمون عليها واعتبارهم الأشياء الآتية :

١ / كتابة الجوانب الأكثر أهمية في بداية القصة الإخبارية وذلك لأن كثيراً من القراء يقرؤون الفقرات الأولى من الخبر ثم لا يكملون القراءة .
٢ / استعمال كلمات معروفة عند معظم الناس وفي حالة الاضطرار إلى إيراد كلمات غير مفهومة يستحسن شرحها من قبل الصحفي .
٣ / الإكثار من الأمثلة والاستشهادات التوضيحية .
٤ / التركيز على استخدام الجمل القصيرة بدلاً من الجمل الطويلة .

فيما تقدم حاولنا أن نتكلم عن الصحافة كواحدة من وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحديث، وكيف أن وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى كالإذاعة والتلفزيون أثرت على الصحافة إلا أن الصحافة ستظل وسيلة هامة من وسائل الاتصال الجماهيري ووسيلة مؤثرة في المجتمع من النواحي السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية، وهي وسيلة هامة كما هو واضح تحتاج لها الدولة الإسلامية لنشر الوعي الديني وخدمة أهدافها في كل مجالات الحياة .

(١) أحمد بدر، الاتصال الجماهيري، مرجع سابق، ص ٢١ - ٤ .

ثانياً: الوسائل المسموعة (الإذاعة) :

تعددت الوسائل المسموعة وتطورت ، فمن قديم الزمان كانت هناك وسائل مسموعة مثل الخطبة و المحاضرة والندوة إلى أن تطورت في العصر الحديث وكانت الإذاعة القوية في عالمنا المعاصر والتسجيلات الصوتية وغيرها من الوسائل التي اعتمدت على الصوت .

والإذاعة كنموذج لوسائل الاتصال المسموعة في العصر الحديث تعتبر من أهم هذه الوسائل وأكثرها أثراً وأوسعها انتشاراً .

نشأة الراديو:

الراديو وسيلة اتصال جماهيرية الكترونية تم اختراعها على يد ماركوني الإيطالي عام ١٨٩٤م حيث تمكن من إرسال أول إشارة كهرومغناطيسية (لاسلكية) عبر المحيط الأطلسي من خلال جهاز لاسلكي، وكان أول إستخدام للراديو هو الاتصال بين السفن والموانئ ولا يزال يستخدم لنفس الغرض وأغراض أخرى كثيرة. فلاسلكي ماركوني الذي كان محدود الإستعمال بالأمس جعل الآن العالم قرية كونية^(١).

لقد كانت بريطانيا أولى دول العالم معرفة بالإذاعة فكان العالم (جاكسون) من أوائل من رسوا اللاسلكي مع ماركوني الايطالي، وقد جذبت تجارب ماركوني في مجال الراديو اهتمام سلطات البريد في بريطانيا، وإن كان هذا الاهتمام قد تركز على إستخدامه في الاتصال من نقطة إلى نقطة .

وقد أنشأت شركة ماركوني عدة محطات تجريبية حتى عام ١٩٩٢م عندما اتفقت وزارة البريد مع شركات أجهزة الاستقبال على إنشاء شركة الإذاعة وتأثيرها المباشر على المستقبلين^(٢).

فما إن بدأ الراديو نشاطه البرامجي المنتظم في بداية العشرينات من هذا القرن حتى أصبح في غضون سنوات قليلة أحد أهم قنوات التدفق الإخباري الدولي ومن ثم حظي باهتمام بالغ من كافة الجهات المعنية بالاتصال الدولي،

(١) ابراهيم عرقوب، الاتصال الإنساني، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) ماجي الحلواني، مدخل إلى الإذاعات الموجهة، ط ١، الكويت، دار الكتاب الحديث، ١٩٨٣م، ص ١٧.

لقد كان للراديو مكانة هامة في عالم الاتصال وذلك بسبب أن إشارات الراديو ذات قدرة على عبور الحدود البحرية وهي التي أعطت للراديو تلك المكانة الدولية الفريدة^(١).

لقد بدأ استخدام الإذاعة اللاسلكية للأغراض الشعبية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) وأدى الاستخدام العسكري اللاسلكي إلى تحسين معدات الإذاعة وتمت الإستعانة بأعداد كبيرة من العاملين وتدريب مئات الآلاف من الرجال على استخدام الإشارات اللاسلكية، وكان هؤلاء الرجال هم طليعة العمل الإذاعي بعد عودتهم إلى الحياة المدنية^(٢).

احتلت الإذاعة منذ نشأتها مركزاً هاماً بين وسائل الاتصال الجماهيرية، تجاوز نصف القرن واستطاعت أن تكون في المركز الأول بين غيرها من وسائل الاتصال الأخرى من قوة التأثير والثقافة والتوجيه، وأصبح جهاز الراديو جزءاً من حياة كل فرد تقريباً خاصة بعد انتشار الترانزستور بطريقة مذهلة ورخص سعرة؛ مما جعله في متناول كل إنسان، بالإضافة إلى عدم اعتماده على الكهرباء وأصبح الراديو أداة هائلة من أدوات التأثير على الملايين إذ يعتمد على الكلمة المذاعة التي لها سحرها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الخطير، فهي تدور حول العالم سبع مرات ونصف المرة في الثانية^(٣).

وفي العالم العربي يؤرخ لظهور أول برنامج باللغة العربية في ٣١ مايو ١٩٣٤م من خلال راديو القاهرة، ويحدد هذا التاريخ بداية محطة عربية رسمية للإذاعة في حين أن الإذاعة في شمال أفريقيا (دول المغرب) كانت قد بدأت في بث برامجها باللغة الفرنسية قبل ذلك بسنوات^(٤) وواضح من البث باللغة الفرنسية أن هذا الجزء من الوطن العربي قد تأثر بالاستعمار الفرنسي.

تعد الإذاعة من الأسلحة التي تستخدم في الحرب وقد وضح ذلك جلياً في الحرب العالمية الثانية، إذ أصبحت الإذاعة سلاحاً ذا فاعلية نادرة في يد الدول التي دخلت الحرب سواء كان على مستوي دورها الهجومي أو الدفاعي.

(١) هدي حسن، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ص ١.

(٢) حسن عمارة مكاي، إنتاج البرامج للراديو، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م، ص ٣١.

(٣) عبد الدائم عمر الحسن، الكتابة والإنتاج الإذاعي بالراديو، ط ١، إربد، دار الفرقان، ١٩٩٨م، ص ٧.

(٤) فؤاد بن حالة، الحرب الإذاعية، ترجمة إنشراح الشال، القاهرة، دار نهر النيل، ١٩٨٨م، ص ٣٧.

وقد قام المحاربون بتعبئة وحشد كل ما يرتبط بهذا المجال فأقاموا محطات إرسال قوية وبعيدة المدى واستعانوا بمختصين في كيفية استقطاب العقول واحتوائها ، وفي هذا المجال لم تكن الحرب العالمية الثانية فقط حرب نار وحديد في المعارك ولكنها كانت أيضاً حرب لا تهدف لاحتلال الأراضي فقط ولكن تسعى إلى تأليب البشر واحتوائهم^(١).

لقد تميزت الحرب العالمية الثانية بأنها أول حرب في التاريخ استخدمت فيها الإذاعة كسلاح في المعركة وعلى مستوى واسع مثلها مثل أي سلاح آخر وكانت الإذاعة تعتبر في بداية الأمر أداة من أدوات الترويج بالدرجة الأولى والإعلام بدرجة ثانوية .

أصبحت الإذاعة بالنسبة للحرب (قوة حيوية) وتحولت الإذاعة التي تبدو في بداية أمرها وكأنها لعبة قومية بالدرجة الأولى تحولت إلى سلاح له قيمة في ميزان العلاقات الدولية سلاح ذو حدين ، ويمكن استخدام هذا السلاح في إطار التعاون وعند المواجهة معاً^(٢) .

بعد أن استعرضنا نشأة الإذاعة وتطورها كواحدة من وسائل الاتصال الجماهيري يجدر بنا أن نشير إلى أهم مميزات الإذاعة في مجال الاتصال الجماهيري في العصر الحديث .

تعد الإذاعة بالراديو الوسيلة المثلى لمخاطبة الجماهير العريضة على اختلاف مستوياتها الثقافية والتعليمية (الأميين والمتعلمين) والكبار والصغار والنساء والرجال على حد سواء ، فضلاً عما تتمتع به من إمكانات وقدرات تيسر لها الوصول إلى هذه الجماهير العريضة المتنوعة في أماكن الأرض والبحر متخطية طول المسافات وحواجز الرقابة الأمنية في آن واحد ، إضافة إلى ما تتميز به من خاصية فريدة في اعتمادها على الصوت بكل ما ينتجه من تأثيرات عقلية ووجدانية سواء أن الصوت هو الصوت البشري (المتحدث والممثل والخطيب) أو هو صوت المؤثرات الصوتية وهي خاصية تميزت بها الإذاعة وتتميز بها تمييزاً عن الوسائل المطبوعة مهما كان شكلها ومهما كان

(١) المرجع نفسه، ص ٦٧ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٥ .

محتواها ناهيك عما أحدثته انتشار الترانزستور فيما يمكن أن نطلق عليه (ثورة الترانزستور) أو ثورة الاستماع حيث زادت قاعدة المستمعين واتسعت رقعة الاستماع بسبب انتشار ذلك الجهاز الصغير الذي يمكن حمله واصطحابه إلى كل مجلس وكل مكان، والذي يضع الدنيا بين أصابعك في كل لحظة دون أدنى أعباء مالية أو نقدية أو تقنية تذكر، فلا زال هو الأرخص تكلفة والأسهل استخداماً والأقرب إلى الوجدان والأسهل بين كافة وسائل الاتصال بلا منازع^(١).

والراديو كوسيلة اتصال جماهيرية له بعض السمات التي تحدد إلى حد كبير طبيعة تأثيره على الأفراد والجماعات، أول تلك السمات هو أسلوبه في التأثير الذي ينبع عن حقيقة هي أن الراديو يستعمل حاسة واحدة فقط من حواس الإنسان وهي الصوت وذلك للتأثير، إذ لا يستطيع الإنسان بعد الاستماع إليه أن يرى، أي: أنه لا يستخدم القدرة على الفهم من خلال الرؤية، علاوة على أن المتلقي مضطر إلى أن يستجيب مباشرة لأنه لا يستطيع أن يسترجم الرسالة مرة أخرى، نتيجة لهذا أجد الجانب العاطفي يلعب دوراً أساسياً في الإدراك ويحدد رد فعل الفرد المستهدف بالرسالة وذلك هو الأسلوب الذي يمارس بمقتضاه الراديو تأثيره كوسيلة اتصال جماهيرية^(٢).

يعد الراديو من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية خاصة في دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، حيث تزيد أجهزة الراديو في هذه الدول عن نسخ الصحف اليومية وأجهزة التلفزيون ومقاعد السينما، فهو مثل كل وسائل الاتصال له جوانب قوة وجوانب ضعف، ومن المهم فهم هذه الجوانب حتى يمكن استخدام هذه الوسيلة الاستخدام الأمثل^(٣).

ومعروف أن الراديو يخاطب جماهير عريضة من الناس وتلك الجماهير متباينة في السن والطبقة والمكانة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والاتجاهات المختلفة فضلاً عن الجوانب السيكولوجية التي

(١) كرم شلبي، الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، ط١، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩١م، ص ٦٢.

(٢) جيهان أحمد رشدي، الدعاية واستخدام الإذاعة في الحرب النفسية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ٣٠٦.

(٣) حسن عمار مكاي، إنتاج برامج الراديو، القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، ١٩٨٩م، ص ٣٥.

تتحكم في تصرفات الأفراد ولهذا مهمة الإذاعة شاقة وعسيرة في مخاطبتها لهذه الجماهير من خلال ما يربط بينهم من خصائص مشتركة إذ يصبح على الراديو إشعار كل فرد بهذه البرامج وتلك الرسالة^(١).

الإذاعة كوسيلة اتصال جماهيري لها مميزات أذكر منها ما يلي :

١ / الإذاعة هي وسيلة الاتصال الوحيدة التي لا يمكن إيقافها .

٢ / هي وسيلة الاتصال التي ليس لها حدود .

٣ / سرعة نقل الحدث عن طريق الإذاعة .

٤ / تناسب الإذاعة للمستويات الثقافية المنخفضة خاصة الأميين .

٥ / هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تصل إلى جميع أنحاء العالم في

نفس الوقت وتقل رسالة من دولة إلى أخرى^(٢).

ومما يدل على أهمية الإذاعة هذه الأرقام عن هيئة الإذاعة البريطانية التي

تعد من أهم الإذاعات الموجهة، كانت هيئة الإذاعة البريطانية تستخدم في

أوائل الثمانينات بالإضافة إلى اللغة الانجليزية ما يقرب من أربعين لغة في

إذاعتها الموجهة إلى الخارج وتبث سبعمائة وخمسين ساعة يومياً، أي أكثر

من مائة ساعة يومياً، وتوجه إذاعات بسبع عشر لغة إلى أوروبا واثنين وعشرين

لغة إلى الدول الأخرى^(٣).

وقد سادت العالم ثلاث أنظمة إذاعية :

النظام الأول ويشمل أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية وأستراليا ونيوزلندا

وإسرائيل واليابان، على الرغم من التباين الجغرافي بين هذه الدول إلا أنها

تشترك في فلسفات سياسية متشابهة نتج عنها أنظمة إذاعية متشابهة، ففي

هذه الدول رسخت الخدمات الإذاعية كما يتوفر في هذه الدول الإمكانيات

المادية والبشرية والتقنية، ومجتمعات هذه الدول لها أيديولوجية ثابتة .

وهذه المجموعة من الدول تعتبر الإعلام سلعة قابلة للبيع والشراء وتخضع

للعرض والطلب .

(١) عبد الدائم عمر الحسن، الكتابة والإنتاج الإذاعي بالراديو، مرجع سابق، ص ٤٦ .

(٢) ماجي الحلواني، مدخل إلى الإذاعات الموجهة، ط ١، الكويت، دار الكتاب الحديث، ١٩٨٣م، ص ١٧ .

(٣) جيهان أحمد رشدي، الدعاية واستخدام الإذاعة في الحرب النفسية، مرجع سابق، ١٩٨٥م، ص ٣٦٩ .

النظام الثاني: ويشمل دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، ودول المجموعة تعتبر الإذاعة لها مهمة سياسية لذا تقوم الحكومات بالسيطرة عليها.

النظام الثالث: وتمثلة الدول النامية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وعدد هذه الدول مائة وعشرون وتأخذ هذه الدول بسياسة عدم الانحياز، استوردت هذه الدول النظم الإذاعية من الدول الغربية الأكثر تقدماً. وقد تأثرت بالنماذج المستخدمة في كل من بريطانيا والولايات الأمريكية . أما الدول العربية فقد تأثرت في نظمها الإذاعية بنمط المستعمرات السابقة بالإضافة إلى تأثرها بثقافة الدين الإسلامي واللغة العربية^(١).

ولكي تؤدي الإذاعة مهمتها في التأثير على الجمهور دراسة تفصيلية فمن خلال الإذاعي الجيد، والبرنامج الإذاعي يتطلب دراسة الجمهور يمكن منتج البرنامج أن يستخدم أفضل الأساليب المناسبة للتأثير في هذا الجمهور، فقبل إعداد النص وبداية التدريب لابد أن يؤخذ في الاعتبار طبيعة المستمع الذي توجه إليه الرسالة ودراسة هذا المستمع من أجل إنتاج برنامج يحقق له المتعة والإقناع^(٢).

من أهم الاعتبارات التي يراعيها البرنامج الإذاعي إختيار الوقت المناسب للفئة التي يخاطبها والقناة الإذاعية المناسبة، وتوقيت إذاعة البرنامج يتطلب معرفة الجوانب التالية :

١ / أي الأيام فيها الجمهور المستهدف أكثر من غيرها .
٢ / أي فترة زمنية خلال اليوم يقضيها الجمهور المستهدف في الاستماع ؟
٣ / ما هي العوامل الموسمية التي تؤثر على عادات وأنماط الاستماع ؟ في الشتاء أم في الصيف ؟ كذلك موسم الحصاد بالنسبة للفلاحين وموسم الامتحانات بالنسبة للطلبة .

٤ / ما هي الخدمات الإذاعية المفضلة ومواعيد تقديمها ؟
فالإجابة على هذه التساؤلات السابقة تعد واحدة من أصعب المشكلات التي يواجهها القائمون بالاتصال بالراديو، تتيح بيانات قياس المستمعين التي

(١) حسن عمار مكاوي، مرجع سابق، ص ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٣ .

تجربتها الإذاعة أو تقوم بشرائها من جهات أخرى، الإجابة على هذه التساؤلات التي من شأنها أن تجعل البرنامج ناجحاً^(١).

ولما كان لكل وسيلة من وسائل الاتصال لغة خاصة بها فإن الإذاعة كواحدة من وسائل الاتصال لها لغتها وهي اللغة المسموعة الممثلة في الأصوات التي تصل عن طريق الأذن إلى عقول الناس وتؤثر في وجدانهم، فكما أن هناك لغة الكتابة التي تفهمها العين فإن اللغة المسموعة هي الأصوات التي تفهمها الأذن، لذلك تتم الكتابة للراديو باللغة التي يستعملها الناس .

ويكون الكلام تلقائياً بمعنى أن الكاتب الإذاعي يتوخى البساطة في كل ما يكتبه من خلال استخدام الكلمات البسيطة النطق الواضحة الألفاظ، المألوفة الاستعمال والكلمات التي لا تتحمل سوى معنى واحداً فقط وهو المعنى الذي يقصده الكاتب ويفهمه بدون عناء^(٢).

تبرز أهمية الإذاعة كواحدة من وسائل الاتصال الجماهيري ودورها إذا ما تم استغلالها وأنها سوف تخدم الوعي الديني في الدول الإسلامية وهي وسيلة اتصال حديثة لا شك تسهم في خدمة أهداف الدولة الإسلامية لما لها من مميزات تم استعراضها في هذا البحث على وجه الاختصار .

ثالثاً : الوسائل المرئية والمسموعة (التلفزيون) :

يعد جهاز التلفزيون من أشهر هذه الوسائل وأكثرها تأثيراً فهو ينقل الكلمة المذاعة لتصل إلى أنحاء العالم ومن قبل هذا الجهاز كانت السينما التي أدت دوراً هاماً يتفاوت من قطر لآخر فضلاً عن الفيديو والمسرح، نتناول هنا التلفزيون كنموذج لوسائل الاتصال المرئية المسموعة .

التلفزيون :

يحتل هذا الجهاز أهمية خاصة بين وسائل الاتصال الجماهيري، قد يقوم بنقل الكلمة والصورة مرئية ومسموعة، فضلاً عن أنه يخاطب الأميين والمتعلمين على اختلاف مستوياتهم التعليمية. ويعتبر التلفزيون في نظر الكثيرين وسيلة تسلية ترفيهية بينما ينظر إليه البعض على أنه جهاز له

(١) المرجع نفسه، ص ١٥١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٥١ .

إمكانيات إعلامية وسياسية وتعليمية واسعة كما يمكن أن يؤدي دوراً خطيراً في حياة الأمة، ويتميز التلفزيون عن وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى بأنه يعطي صورة حية أو صامتة مصحوبة بتعليق صوتي يتضمن في ثناياه معالجة فكرة ما ذلك هو ميدان اللقاء بين التلفزيون والجماهير، فمن أجل الصورة تسعى الجماهير لمشاهدته^(١).

شهد التلفزيون مسيرة طويلة من حيث النشأة والتطور، وقد ساهمت الأبحاث في تقديم التلفزيون في كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .

يذكر الدكتور خليل صابات أن تجارب اختراع التلفزيون في عام ١٩٢٤م وذلك بفضل عالم يدعى د. بيرد وبعد ذلك بثلاث سنوات بدأ المخترع تجاربه على التلفزيون الملون، أما البث التجريبي فقد بدأ في ٢٠ أكتوبر عام ١٩٢٨م بدأت أول إذاعة رسمية تلفزيونية قدمتها هيئة الإذاعة البريطانية في سبتمبر عام ١٩٢٩م^(٢).

وتشير د. ماجي الحلواني إلى أن إكتشاف التلفزيون وإختراعه كان على يد العديد من العلماء، فقد كان ثورة اتصالية عظيمة ومن هؤلاء جون ل. بيرد الذي كان له الفضل في إختراع هذه الوسيلة الجماهيرية ومن ثم نما التلفزيون بعد ذلك نمواً سريعاً وأصبح من أهم وسائل الاتصال الجماهيري وذلك لقدرته على سرعة إيصال الرسالة الإعلامية وتعددت الأدوار التي يقوم التلفزيون بخدمتها ولا سيما في المجال التعليمي والثقافي^(٣).

في الولايات المتحدة الأمريكية لم يتيسر في البدايات الأولى كما حدث للراديو اختراع أجهزة الاستقبال التلفزيوني، فعند فترة تقديم البرامج التجريبية في الولايات المتحدة كانت مدة الإرسال لا تتجاوز ميلاً واحداً وكان الاستقبال يتم بواسطة أجهزة موزعة في الميادين العامة في نيويورك وكان الناس يتكأوا على الجهاز لمشاهدة هذه المعجزة الجديدة بعد أن

(١) احمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطوع والتنمية، القاهرة، دار قباء للطباعة، ١٩٨٨م، ص ٧٩.

(٢) خليل صابات، وسائل الاتصال ونشأتها وتطورها، ط٧، القاهرة، دار النهضة، ١٩٩٦م، ص ٤٧٧.

(٣) ماجي الحلواني، التلفزيون وسيلة تعليمية، القاهرة، مكتبة نمضة الشرق، ١٩٨٥م، ص ٩.

وضعت الهوائيات على سطح أطول مبني في نيويورك ومن ثم نقلت البرامج إلى الناس .. وكان ذلك عام ١٩٣٧م، وفي عام ١٩٣٨م تم نقل المسرحيات من الاستوديوهات مباشرة وتمكن الجمهور من مشاهدتها عبر الأجهزة التلفزيونية في الأماكن العامة وفي نفس العام أعلن رايفيد سارتون في اجتماع لأهل الصناعة في نيويورك أن أجهزة استقبال التلفزيون ستكون جاهزة للبيع في معرض نيويورك عام ١٩٣٩م وتصادف أن زادت في نفس العام رقعة البث التلفزيوني ليمتد من ١٠٣ ميلاً^(١).

لقد أوقفت الحرب العالمية الثانية تطور التلفزيون باعتبار أن الأسبقية في المصانع ينبغي أن تكون لمتطلبات الحرب لذلك اتجهت الصناعات الالكترونية لتطوير ومضاعفة إنتاج الرادار وأجهزة اللاسلكي لتقوية شبكة المواصلات في ميادين الحرب، ولعل ظروف التلفزيون نفسها هي كونه في بداية الطريق ولم ينتشر بالدرجة التي تجعله وسيلة من الوسائل التي اعتاد عليها الناس ويتأثرون بفقدائها بسبب ظروف الحرب، وكونه لم يصل بعد إلى كثير من الدول في أوروبا وبقية أنحاء العالم ومواصفات الإنتاج ما زالت في البدايات وخاصة ظروف تطوير الأنابيب التي تلتقط الكترولونيا الصورة التلفزيونية مع ازدياد مشاكل الإضاءة المكثفة التي فرضها ضعف حساسية الأنبوب لالتقاط الصورة وما سببه ذلك من مضايقات المشتغلين في التلفزيون وعدم التمكن من إعداد القوانين ومشروعات القوانين المنظمة للعمل التلفزيوني في الولايات المتحدة وغيرها وغياب الأسس التي بمقتضاها يمنح الترخيص للمحطات وتحديد مستوى ونطاق رقعة البث، لكل هذه الأشياء جعلت وقف تطوير التلفزيون بسبب الحرب أمراً منطقياً ومناسباً ولم يترتب عليه حدوث أي مشاكل إجتماعية أو سياسية بالنسبة لعامة الناس^(٢).

لقد واصل التلفزيون تقدمه بعد الحرب العالمية الثانية إذ ركزت الصناعات الالكترونية في الولايات المتحدة وأوروبا على تطوير التلفزيون بخاصة الأنبوب الذي يلتقط الصورة الكترولونيا والذي يعود الفضل في تطويره

(١) على شمو، الاتصال الدولي، جدة، دار القومية العربية للثقافة والنشر، بدون تاريخ، ص ١٤٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

للعالم الروسي الأصل فلاديمير زاروكين، لقد أسهم اختراع الأنبوب الجديد وتطوره المزيد من الوضوح مع تقليل لمبات الإضاءة وغير ذلك من التحسينات الفنية، واستمر التطور السريع للتلفزيون في اتجاهات عديدة، وفي عام ١٩٦٧م توصل العلماء إلى نظامين للتلفزيون الملون^(١) حيث كانت بدايات التلفزيون الملون، ولا يزال جهاز التلفزيون في تطور مستمر حتى وصل به المطاف إلى الأقمار الصناعية .

لقد كان العالم يتطلع إلى اليوم الذي يستطيع فيه التلفزيون الوصول إلى كل شعوب العالم وأن ينقل الأحداث في نفس الساعة واللحظة التي تقع فيها كما يفعل الراديو، بل إن سكان أوروبا والولايات المتحدة الذي يفصل بينهم المحيط الأطلسي لم يتمكنوا من إبتداع الوسائل الهندسية والتعليمية التي تحقق الربط المباشر بينهم عبر وسيلة هامة كالتلفزيون، ذلك لأن الكوابل البحرية والمحورية تتأثر كثيراً بطول المسافة وهي بعرض المحيط فضلاً عن جودة الصورة والصوت بعد عناء ومشقة السفر الطويل بالإضافة إلى التكلفة الباهظة للمشروع ابتداء من التشغيل والصيانة المستمرة إضافة إلى أنها غير عملية كما قال فوستر، وفي عام ١٩٥٧م غزت روسيا الفضاء وكانت هذه أول انطلاقة للإنسان للسيطرة على الفضاء، وفي عام ١٩٦٠م غزت الولايات المتحدة الفضاء بإطلاق أقمار صناعية وسجلت بذلك تجارب ناجحة للبث التلفزيوني الحي بين أوروبا والولايات المتحدة بواسطة الأقمار الصناعية عبر المحيط، وكانت أول تجربة تلفزيونية دولية فتحت المجال أمام التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيري دولية في عام ١٩٦٢م، لقد أصبح التلفزيون وبفضل الأقمار الصناعية وسيلة دولية للاتصال في مقدورها القيام بوظائف مؤثرة في المجتمع الدولي من خلال ما يقدمه من برامج وأخبار ونقل مباشر للأحداث التي تقع في بقعة من العالم، واستمر تطور التلفزيون حتى وصل إلى البث المباشر وأصبحت أقمار البث المباشر تبث برامجها مباشرة من خلال قنوات قمرية إلى أجهزة الاستقبال في المنازل^(٢).

(١) المرجع نفسه، ص ١٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٢ - ١٦٣.

يعد التلفزيون من أقوى وسائل الاتصال التي ظهرت في القرن العشرين، وله مزايا عديدة يشارك فيها وسائل الاتصال، ويفرد دون هذه الوسائل بمزايا أخرى، حيث يقدم لمشاهديه المعارف والأفكار والخبرات في مشاهد متكاملة تعتمد على الصورة الحية المعبرة المقترنة بالصوت الدال على عمق المشاعر ومغزى الأصوات والوقائع وبلونها الطبيعي الذي يضيف عليها مزيداً من الواقعية، ويزيد من فعاليتها .

ويتفوق التلفزيون على كل وسائل الإعلام لأنه جمع كل إمكانياتها ومميزاتها، وعن طريقه يمكن تقديم المعلومات التي تسر نقلها عن طريق الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو الصورة إذا استعمل كل منها على حدة، ويقترب التلفزيون من الاتصال الشخصي الذي يتميز بفعاليتها في التأثير على الآراء والمواقف، وقد يتفوق التلفزيون على الاتصال الشخصي لما يتميز به من قدرة على تكبير الأشياء المتناهية الصغر وتقديم التفاصيل الدقيقة عن طريق استعمال اللقطات القريبة وتحريك الأشياء الثابتة بقدرة فائقة والتركيز على أهم المشاهد بصورة لا مثيل لها .

أما في العالم العربي تعود أول تجربة تلفزيونية في مصر إلى شهر مايو عام ١٩٥٠م، وهي أول دولة عرفت التلفزيون من دول العالم العربي^(١).

لقد بدأ التلفزيون في كل أنحاء العالم، إذ نجد البلاد الصناعية يوجد بها أكثر من شبكة تلفزيونية، كما نجد سكان المناطق الأهلة بالسكان في البلاد المتقدمة استطعوا أن يديروا أجهزتهم ليحصلوا على برامج خمس قنوات أو عشرة وقد يفوق عددها إلى أكثر من ذلك .

وأخذت النواحي الفنية في الإرسال التلفزيوني تتطور في إطار الموجات الكهربائية الأرضية وباستخدام الإرسال العالي الذبذبات، أخذ التلفزيون ينتشر أكثر فأكثر، وفي بعض البلاد تستخدم الموجات الكهربائية في إرسال البرامج^(٢).

(١) خليل صايات، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، ط ٢، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

لقد أصبح البعض يطلق على هذا العصر عصر التلفزيون إذ يعتبر التلفزيون وسيلة اتصال جماهيرية بصرية وسمعية تعتمد كما هو معروف على الصورة والصوت، والصورة تكون ملونة ومتحركة وتدعم استخدام الصوت والصورة الملونة للرسالة التلفزيونية أيا كانت إعلامية أو إعلانية أو تعليمية أو ترفيهية، فالرسالة التي يتلقاها الفرد عن طريق حاستين تثبت في الذهن أكثر من الرسالة التي يتلقاها عن طريق حاسة واحدة، حيث أكدت البحوث أن (٨٨٪) من المعلومات التي يتحصل عليها الفرد مستمدة عن طريق حاستي البصر (٧٥٪) والسمع (١٣٪) وتجعل هذه الخاصية الجمع بين الرؤية والصوت والحركة واللون، والتلفزيون أقرب إلى الاتصال المباشر، وقد يتفوق عليه حينما يقرب الأشياء الصغيرة الثابتة، وينقل صوراً متحركة للناس في أماكن إقامتهم فيكون إدراكاً حسيّاً للرأي العام، ولا تتطلب مشاهدة التلفزيون إستعدادات سابقة كالتردد على السينما؛ حيث أن التلفزيون ينقل المشاهد إلى المنازل فلا يتطلب الخروج منه بل بمجرد الضغط على جهاز الريموت كنترول يحصل على ما يطلب^(١).

إن الإرسال التلفزيوني إقتحم الجدار والأسوار وكل الموانع وتم عن طريقه الاتصال بالناس في بيوتهم؛ إذ تستطيع الأسرة أن تستمع إلى محاضرة أو تشهد فيلماً أو تتطلع على حدث عالمي أو تتابع مناظرة فكرية دون أن تنتقل من مكانها، وهذا تيسير ثقافي لم يحدث في التاريخ البشري المكتوب وغير المكتوب، وفي التيسير التلفزيوني توفير الوقت واختصاراً للمتعب والغاء للامتيازات التي كان الكهان والنبلاء يحتكرونها^(٢).

يعد التلفزيون وسيلة اتصال جماهيري دولية، لقد أصبح مشاهدو التلفزيون يقدرّون بمئات الملايين، لقد أصبح الناس على هذه الحقيقة التي لها أغوارها البعيدة سياسياً وإقتصادياً وثقافياً وللاتصال الدولي خطر وآثار على المدي القريب والبعيد^(٣).

(١) عاطف عدلي العبد، المدخل إلى الاتصال والرأي العام، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) نوال محمد عمر، دور الإعلام الديني في تغيير الأسرة الريفية والحضرية، القاهرة، المطبعة التجارية، بدون تاريخ، ص ١٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

إن العالم أصبح يعول كثيراً على ضرورة الاستفادة من التلفزيون لكي يصبح قوة حضارية دولية للبناء والتنمية والتفاهم وتوثيق عري الصداقة والتفاهم بين الدول^(١).

إن اختراع التلفزيون أدخل في حياة الناس ظاهرة جديدة تكاد تسيطر على الإنسان في جميع مجالات حياته المختلفة، وليس ذلك في بلد دون بلد، أو مكان دون آخر، ولكن أصبح ظاهرة عالمية نجد آثارها في كل مكان إذ يقول علماء الاجتماع الأمريكيون أن عقل الشعب الأمريكي يتشكل من خلال ما يعرضه التلفزيون الأمريكي، فهم يلبسون ويأكلون ويلهون بإيحاء من هذا الجهاز السحري، إنه ثورة غير متطورة صبغت الحياة الأمريكية في جميع أوجهها وصورها .

لقد أصبح الشخص الأمريكي مدمناً للشاشة الصغيرة، يجلس أمامها وقتاً طويلاً من الزمن دون أن يدرك مقدار تأثير التلفزيون على حياته وحياة أسرته ومجتمعه، ستون مليون أسرة وعائلة أمريكية تملك جهازاً واحداً أو أكثر ويكاد يشكل هذا العدد مجموع سكان الولايات المتحدة بأسرها^(٢). لقد حقق التلفزيون طفرات عديدة في زمن وجيز وذلك بفضل الجهود التي بذلتها صناعة التلفزيون لتجاوز القصور الذاتي الموجود في التلفزيون والعمل على زيادة الانتشار القومي أولاً، ثم الدولي وراء الحدود عبر الوسائل التكنولوجية الجديدة التي بدأت تطل من الأفق كالأقمار الصناعية والتي أثبتت التجارب الأولية أنها أصبحت العامل الأول في تدويل التلفزيون وتوسيع رقعة انتشاره والانفتاح على العوامل الأخرى بنفس الأسلوب الذي حقق به الراديو نجاحاته الأولى خرج عن نطاق المحلية إلى العالم الواسع بفضل تقانة الموجة القصيرة^(٣). أصبح التطور الذي حدث في مجال البرامج التعليمية التلفزيونية واضحاً حيث أسهم في إثراء العملية التعليمية وقد اعترف كثير من الخبراء والمختصين بمدى فاعليتها كما أوصوا بتوسيع استخدامها وزيادة وقتها على خريطة البرامج .

(١) إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) يحيى بسيوني مصطفى، التلفزيون الإسلامي ودوره في التنمية، جدة، دار عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ٣٠.

(٣) على شمو، الاتصال الدولي، مرجع سابق، ص ١٥٥.

يمكن استخدام التلفزيون في تحقيق جوانب عديدة تخدم الطالب والمعلم والجمهور بنقل المعلومات والمهارات ذات المعنى والتي تتسم بوضوح الأفكار وصحتها ودقتها، وتؤكد على اكتساب الطلاب أو الدارسين اتجاهات ومواقف إزاء المادة العلمية في مختلف المواد التعليمية المنهجية، وقد استفادت دول كثيرة من استخدام التلفزيون لعلاج بعض مشكلاتها التعليمية كنقص المعلمين اللازمين لمواجهة عمليات التوسع في مراحل التعليم المختلفة وافتقار كثير من المدارس إلى الأجهزة والمواد التعليمية التي يحتاج لها المدرس في عمله، وكذلك في حالة توافر الأساتذة في مواجهة العالم التقني الحديث . ويمكن للتلفزيون أن يسهم في تعليم كافة المواطنين وفي كل المستويات لذا يعد التلفزيون الوسيلة المثلى من بين وسائل الاتصال الجماهيري التي تخدم الأغراض التعليمية ^(١).

ومن مميزات التلفزيون أيضاً إن خدماته لا تحتاج إلى قدر كبير من التعليم أو الثقافة أو المعرفة، بل تتجه إلى كافة المستويات وتؤثر فيها بدرجات متفاوتة حتى يصبح الأميون وهم غالبية في البلاد النامية أكثر تأثراً واستهواءً للتلفزيون من غيرهم من فئات المجتمع الأخرى، ومجمل القول ظل التلفزيون يتربع بما له من خصائص ومميزات على عرش وسائل الاتصال الجماهيري وتأتي الإذاعة ثم الصحافة في هذا السلم على التوالي، إلا أنه يجب التذكر بأن هذه الوسائل تتبادل مواقفها إبان حدث معين أو زمن خاص ^(٢)، وقد ثبت أن التلفزيون جزء هام وأساسي في بيئة الطفل وهو يشاركه في شتى العمليات التربوية داخل المدرسة وخارجها ولا جدال أن التلفزيون له تأثيره البالغ ووقعه الشديد على الأطفال والمراهقين والشباب، ولم يعد يشك أحد في حقيقة التأثير وإنما يثار الجدل حول مداه وعمقه وشدته فحسب ^(٣).

أردنا أن نلقي الضوء على التلفزيون كواحد من وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحديث، وهي وسيلة سيكون لها أثر كبير في نشر

(١) يحيى بسيوني مصطفى، التلفزيون الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٣) إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

الوعي الديني وفي خدمة أهداف الدولة الإسلامية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في إطار الضوابط الإسلامية لوسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية .

الفصل الخامس

استخدام وسائل الاتصال في تحقيق أهداف الدولة الإسلامية

للدولة الإسلامية أهداف كثيرة ومتعددة لابد لوسائل الاتصال أن تسهم في هذه الأهداف، وقد اخترنا منها ثلاثة أهداف وذلك لأهميتها وتعد نماذج لأهداف الدولة الإسلامية وهي كما يلي :

أولاً: دور وسائل الاتصال في التنمية الاقتصادية والبشرية:

دور وسائل الاتصال في التنمية الاقتصادية والبشرية وكيف يمكن لوسائل الاتصال أن تساعد في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية، ونستعرض بداية ثلاثة تعريفات للتنمية الاقتصادية:

التعريف الأول:

تعرف التنمية كسياسة اقتصادية طويلة الأجل لتحقيق النمو الاقتصادي بأنها عملية يزداد بواسطتها الدخل القومي الحقيقي للاقتصاد من خلال فترة زمنية طويلة، وإذا كان معدل التنمية أكبر من معدل نمو السكان فإن متوسط دخل الفرد الحقيقي سيرتفع .

ويقصد بعبارة (عملية) هنا تفاعل مجموعة قوى معينة خلال فترة طويلة من الزمن، ينتج عنه حدوث تغيرات جوهرية في بعض متغيرات معينة في الاقتصاد القومي^(١).

التعريف الثاني:

التنمية الاقتصادية هي عملية رفع مستوى الدخل القومي الحقيقي بحيث يترتب على هذا ارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل على أساس أن التنمية تهدف في جوهرها إلى زيادة الطاقة الانتاجية للاقتصاد، وهي بهذا المعنى غاية تستهدفها المجتمعات المتقدمة والمتخلفة^(٢)، وهي كذلك هدف من أهداف الدولة الإسلامية ولا بد لوسائل الاتصال في الدولة أن تضرب فيه بسهم وافر .

(١) كامل بكري، مبادئ الاقتصاد، بيروت، الدار الجامعية، ١٩٨٧م، ص ٥٢٩.

(٢) حسن إبراهيم عيد، دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م.

التعريف الثالث:

التمتية الاقتصادية تشمل كافة المجالات الزراعية والصناعية والمالية والتجارية وغيرها، والتمتية الاقتصادية ليست مجرد زيادة في الدخل القومي ولا في متوسط نصيب الفرد منه وإنما تتضمن إلى جانب ذلك حدوث تغيير جذري في هيكل الانتاج وفي البيان الاقتصادي للمجتمع، أي إحداث تغيير في الأهمية النسبية لكل قطاع من قطاعات الاقتصاد القومي وتطوير وسائل وطرق الانتاج المستخدمة وتغيير أنواع السلع المنتجة وتغيير في هيكل العمالة، كما يتضمن أيضاً تغيير الهيكل الاجتماعي والثقافي للأفراد والسلوك الاقتصادي للمؤسسات الاقتصادية في المجتمع^(١).

لم يعرف الفكر الإسلامي تعريفاً للتمتية الاقتصادية بالمفهوم الحديث غير أنه حوى من المصطلحات ما يحتوي على مضمون التتمية وكان أقرب تعبير للعملية التتموية من هذه المصطلحات التمكين، الإحياء، العمارة . والتمكين هو اتخاذ قرار وموطن كما يفيد السيطرة على الحكم فتمكن من المكان، استقر فيه، وأمكنه من الشيء أي جعل له عليه سلطاناً وقدرة وسهل عليه وتيسر له .

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٢) ويرى علماء التفسير أن الآية تفيد كلا المعنيين فقد هيأ الله للإنسان وضع السيطرة على الطبيعة وطلب منه بتعبير آخر تحقيق التتمية الاقتصادية .

أما الإحياء أو إحياء الموات فيراد به بصفة خاصة استصلاح الأراضي وتميتها، حيث يتم إعداد الأرض التي لم يسبق زراعتها وتعميرها وجعلها صالحة للانتفاع بها في السكن والزرع ونحو ذلك .

والعمارة من أعمر، وأعمره أي جعله أهلاً، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٣) أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها، وجعلكم عمارها وعمر عليه أي أسكنكم والاستعمار طب العمارة، وفي التفسير أن السنين

(١) محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، ط ١، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٠.

(٣) سورة هود، الآية ٦١.

والتاء في قوله (استعمركم) تفيد الطلب، والطلب المطلق من الله تعالى دليل على الوجوب، ويعتبر مصطلح العمارة والتعمير من أصدق المصطلحات تعبيراً عن التنمية الاقتصادية، وقد يزيد عنه فهو نهوض في مختلف المجالات الخاصة بالحياة الإنسانية، وأن تناول جوانب التنمية الاقتصادية بمعناها المتعارف عليه والذي لا يخرج عن تنظيم عمليات الانتاج المختلفة، يؤكد ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لئنأبى في مصر: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استخراج الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة أخرج الأرض)^(١)، وقد جاء مصطلح عمارة البلاد أوسع نطاقاً من عمارة الأرض الذي هو تنمية القطاع الزراعي وهو أقرب تعبير عن مدلول التنمية الشاملة^(٢).

ولكلمة التنمية مرادفات كثيرة أولها التزكية قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^{(٤)(٥)}.

أما التنمية البشرية طبقاً لما جاء في تقارير التنمية البشرية الصادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بأنها توسع اختيارات الناس، وهذه الاختيارات نهائية بطبيعتها غير أنها تتحد من الناحية الواقعية بمحددات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون متاحاً من السلع وخدمات ومعارف لتلبية هذه الاختيارات التي يمتد مجالها من الحاجات إلى الطعام والشراب والسكن والتعليم والصحة والبيئة النظيفة^(٦).
إن أحداث التنمية الاقتصادية والبشرية لدى الدولة الإسلامية يتطلب أولاً وقبل كل شيء تطهير الحياة الاقتصادية من كافة أشكال الظلم وبالتالي

(١) الشريف الرضي، فحج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، مجلد ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ، ص ١١١

(٢) نعمت عبد اللطيف مشهور، الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتقريبي، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) سورة الشمس، الآيات من ٧ - ١٠.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(٥) جمال محمد أحمد عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، ط ١، عمان، دار الفرقان، ١٩٩٤م، ص ٣٠.

(٦) محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، ط ١، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٧٤.

تهيئة المناخ المناسب للإنسان لكي يتعامل إنمائياً فاعلاً مع الأشياء، فالإنسان هو المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي وهو بالطبع الكائن الحي المسئول عن مستوى الأداء والإنسان المقهور لا يقدر حقيقة على شيء^(١).
والدولة في الإسلام مسؤولة عن تحقيق التنمية وضمان معيشة أفراد المجتمع المسلم ضمناً كاملاً^(٢).

ولأهمية التنمية الاقتصادية والبشرية الواضحة وهي هدف من أهداف الدولة الإسلامية كان لابد لوسائل الاتصال أن تحقق هذا الهدف ولا بد أن تقوم وسائل الاتصال بدورها في التنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية، وهو الدور الذي يمكن أن تؤديه في تحويل المجتمع من التخلف إلى التقدم ومن مجتمع مستهلك إلى مجتمع منتج، وأن وسائل الاتصال الجماهيري يمكن أن تؤدي دوراً هاماً في الدولة الإسلامية وذلك في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية^(٣).

نجد أن التنمية صانعها الإنسان وهو في نفس الوقت هدف هذه التنمية إذ أن هدف خطط التنمية هو إعداد الإنسان وتلبية حاجاته المتزايدة على الدوام فإن ما كان من الكماليات أمس أصبح اليوم من الضرورات .

إن جوهر البعد البشري للتنمية يتلخص في وعي الناس بدورهم فيها، وستتبع ذلك تغيير الظروف للمعرفة والتنمية وأهدافها سواء في داخل الناس من أفكار وقيم ومعتقدات وسلوك أو في واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما شابه ذلك ويستتبع ذلك جهداً بشرياً سريعاً ومكثفاً لتدور عملية التنمية الشاملة بأقصى سرعة وهذا جهد تقوم به وسائل الاتصال مسخرة في ذلك كل فنون هذه الوسائل^(٤).

على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تغرس الأمل في النفوس وأن تدخل في قلوب أفراد المجتمع اليقين بأن التقدم والرخاء والتنمية الاقتصادية أمور يمكن أن تتحقق على هذه الأرض^(٥).

(١) عبد الحميد الغزالي، حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٩م، ص٦١.

(٢) عبد الحق الشكري، التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط١، قطر، مركز البحوث والمعلومات، ١٤٠٨هـ، ص٩٧.

(٣) محمد سيد محمد، الإعلام والتنمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨م، ص٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٥٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٤١٩.

يقول بعض علماء الاتصال بأن ضغط وسائل الاتصال هو الذي أدى إلى سقوط المجتمعات التقليدية. هذا القول يبين لنا أهمية وسائل الاتصال ودورها الذي يمكن أن تؤديه في مجال التنمية الاقتصادية في الدولة الإسلامية إذا تم استخدامها على أكمل وجه^(١).

يصبح لوسائل الإعلام دور هام خاصة في وظيفة الشرح والتفسير والإقناع وحشد الجهود وهي تعبر عن دور الاتصال في التنمية الاقتصادية والبشرية . والتنمية لها أضلاع ثلاثة اقتصادي واجتماعي وثقافي، وتستطيع وسائل الاتصال حشد الجهود وراء أي عمل من شأنه أن يدفع بالتنمية الاقتصادية إلى الأمام^(٢).

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية يمكنها أن تستخدم كل إمكانياتها في توضيح النظم العامة في الشريعة الإسلامية سواء كانت هذه التنمية اقتصادية أو بشرية والنظم هي النظام العبادي والاجتماعي والسياسي والقضائي، ونظام العقوبات والحرب والسلام والتربية والتعليم، كل هذه النظم تسهم في التنمية وتدفع بعجلتها إلى الأمام^(٣) والتنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية تلقي على القائمين على وسائل الاتصال مهام يمكن تلخيصها فيما يلي :

١- أن يجعلوا المواطن العادي يحس بمشكلة التنمية ليس على مستوى دولته فحسب وإنما على نطاق الوطن الإسلامي وأن يحس هذا المواطن بأن مشكلة التنمية الاقتصادية والبشرية لها علاقة بمشكلة العالم، وتؤثر وتتأثر بالأزمات العالمية لمشاكل الغذاء والطاقة والبطالة والنقد والتضخم .

٢- وأن يحاصروه بروح العصر بحيث يشعر أن روح العصر مربوطة بالمبادئ الإسلامية .

٣- أن يؤكد القائمون على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية على أهمية اشتراك رأس المال مع الطاقة البشرية ومع الثروة الطبيعية وأن يحارب

(١) المرجع نفسه، ص ٤٢٠ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢٠ .

(٣) محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، ط٣، جدة، الدار العالمية للكتاب العربي، ١٩٩٥م، ص ٣١-٦٢ .

القائمون على وسائل الاتصال أساليب الاستعمار التي تحاول أن تجذب بعض رؤوس الأموال الخاصة بالملمين للعمل في الخارج .

٤- القائمون على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد أن يتبنوا خطة شاملة للتنمية ويدعوا لها ويفسرونها ويخرجوها إلى التنفيذ ومن ثم يدافعوا عنها وينقدوها^(١) .

وفي هذا الإطار يجد القائمون على أداء وسائل الاتصال الجماهيري مادة كافية لأن الإسلام جاء منذ أربعة عشر قرناً رسالة عالمية خاتمة تعالج حياة البشر في مختلف نواحيها روحية كانت أو مادية فلم يكن الإسلام مجرد عقيدة دينية وإنما هو إلى جانب ذلك تنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي للبشرية كافة منقذاً ، وهذا ما يعبر عنه باصطلاح أن الإسلام دين ودولة وأنه عقيدة وشريعة^(٢) ، ومن هنا كان منشأ الاقتصاد الإسلامي حيث جاء الإسلام في المجال الاقتصادي بأصول جديدة تنطوي على سياسة اقتصادية متميزة وفي ضوء هذا ليس غريباً أن تهتم الدولة الإسلامية بالتنمية الاقتصادية وهي أصل الاقتصاد الإسلامي قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٣) أي كلفكم بعمارته وأنه تعالى جعل الإنسان خليفته في إرثه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) .

وأنة تعالى سخر له ما في السموات والأرض يستغلها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٦) . بل لقد بلغ حرص الإسلام على التنمية الاقتصادية والتعمير أن رسول الله ﷺ قال: إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يفرسها فليفعل^(٧) .

(١) المرجع نفسه، ص ٤٢١ .

(٢) محمد عبد الحكيم خيال، من دستور الوحدة العقائدية الفكرية لدعاة الإسلام، الاسكندرية، دار الدعوة، بدون تاريخ، ص ٧٠ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٩ .

(٥) سورة الجاثية، الآية ١٣ .

(٦) سورة الجمعة، الآية ١٠ .

(٧) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، م ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، ص ٩١ .

وحتى تتحقق التنمية في الدولة الإسلامية تستطيع وسائل الاتصال أن تعلي من شأن العمل مذكرة في ذلك بالآيات والأحاديث الداعية للضرب في الأرض سعياً في طلب الرزق وقد عادله الخالق تبارك وتعالى بالجهد في سبيله .
قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١).

ويؤكد الرسول ﷺ المعنى نفسه بقوله: [الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله]^(٢).

ويتم هذا السعي من خلال العمل الصالح الدائب الدائم للكسب آخذاً بالأسباب في حدود الاستطاعة وتأكيداً لإيجابيات العزم والتوكل من ناحية وتحقيقاً لكرامة الإنسان واحترام آدميته من ناحية أخرى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وفي الحديث: [ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يدهما]^(٥).

والنصوص في هذا المجال كثيرة يمكن أن يتناولها القارئون على وسائل الاتصال ويمكن أن تصاغ في كل وسيلة بالصياغة المناسبة للوسيلة والمؤثرة على المشاهد والسماع والقارئ^(٦).

والإنسان الذي يقوم بالعمل هو عماد التنمية إذ أن عملية التنمية كي تتحقق على الواقع لا بد أن تبدأ من الأصل أو من القاعدة أي منه وتنتهي في كل مرحلة من مراحلها المستمرة والمتصاعدة بالإنسان وللإنسان، فالإنسان وفقاً للمنهج الرياني هو أهم وأسمى من أي شيء في الكون وهذا الوجود،

(١) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٢) عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، التدوين في أخبار قزوين، ج ١، بيروت، دار الكتب، ١٩٨٧م، ص ٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٤) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٥) نقلاً عن عز الدين بليق، مناهج الصالحين في أحاديث وسنة خاتم الأنبياء المسلمين، ط ١، بيروت، دار الفتح ١٩٧٧م ص ٢٠٩.

(٦) عبد الحميد الغزالي، حول المنهج الإسلامي في التنمية، مرجع سابق، ص ٦٨ - ٦٩.

ومن ثم هو بحث الوسلة الرئيسية لعملية التنمية قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (١).

إذا شبهنا النشاط الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات بالدورة الدموية في جسم الإنسان فإننا نشبه الاتصال بالدورة الدموية في جسم المجتمع والذي يقوم به الاتصال في الدولة الإسلامية هو تفجير الطاقات داخل الإنسان وشحذها مستفيداً من المفاهيم الإسلامية القوية التي تدفع الإنسان دفعا قويا لأحداث التنمية الاقتصادية في الدولة الإسلامية ومن ثم تستطيع وسائل الاتصال القيام بالبناء المعنوي للإنسان في الدولة الإسلامية (٢).

إن وسائل الاتصال تؤدي دوراً هاماً في الدولة الإسلامية وتحقق هدف التنمية الاقتصادية والبشرية وكذلك تعمل على تغيير المجتمع إلى أحسن، وقد أولى أساتذة الإعلام نسيجاً للمجتمع الإنساني برمته، وكلما تدفق بين شرايين هذا النسيج زادت فاعلية المجتمع وقدرته على التنمية، وأكد آخرون أن عملية الاتصال لدى المواطن ترسخ شعوره بالانتماء إلى وطنه وقوميته وأن استغلال هذا الشعور في التنمية ضرورة من الضرورات لنجاحها إلى جانب أن وسائل الاتصال تنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل.

واهتم آخرون بالمعلومات والأقمار التي تحملها وسائل الاتصال، والتي تعد العامل الأساسي في زيادة مجالات المعرفة لدى الجماهير وتوسيع آفاقهم وازدياد قدرة أفرادهم على التقمص الوجداني وتقبلهم للتغيير واشتراكهم في التنمية، هذه المهام المتقدمة تقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية حتى تستطيع الدولة الإسلامية أن تؤدي دورها في مجال التنمية الاقتصادية (٣)، والتنمية الاقتصادية المقصودة في الدولة الإسلامية هي أكبر من مجرد زيادة دخل الفرد في المتوسط وهو المعين الذي يفسر به عادة مصطلح النمو (٤).

ومن أهداف الدولة الإسلامية بجانب التنمية الاقتصادية التنمية البشرية أي صياغة الإنسان المسلم من جديد قبل بناء العمارات وإنشاء المصانع وتعبيد

(١) سورة هود، الآية ٦١.

(٢) محمد سيد محمد، الإعلام والتنمية، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

(٣) محمد سيد محمد، الإعلام والتنمية، مرجع سابق، ص ٣٤٢.

(٤) رفعت السيد العوض، في الاقتصاد الإسلامي، ط ١، قطر، رئاسة محاكم الشرعية والشئون الدينية، بدون تاريخ، ص ٩٧.

الطرق وتنظيم الحياة المادية أو معها على الأقل حتى يستطيع هذا الإنسان الإسهام في التنمية الاقتصادية، وصياغة الإنسان إنما هي تنمية بشرية لا بد أن تسبق التنمية الاقتصادية أو ترافقها وهي مهمه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية^(١).

لا تقوم التنمية الاقتصادية في الدولة الإسلامية على الممارسات الحرام التي تضر بالتنمية الاقتصادية ويقع على عائق وسائل الاتصال توضيح ما هو حلال وما هو حرام وتدعو الناس إلى ممارسة النشاط الحلال وتحذرهم من ممارسة النشاط الاقتصادي الحرام الذي يضر بالتنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية مثل الربا والأدلة على تحريم الربا من الكتاب والسنة واضحة جلية وقد حرم الله الربا بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢).

وأمر بترك الربا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فمن مقتضيات الإيمان ترك الربا إذ أن الربا والإيمان لا يجتمعان والربا يمحق التنمية الاقتصادية في الدولة الإسلامية^(٤).

تستطيع وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تعرض أضرار الربا على التنمية الاقتصادية والبشرية تجعل المجتمع في هذه الدولة يتجنب التعامل بالربا ويمكن أن يستدل القائمون على وسائل الاتصال بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البيع عمل وحركة وأبواب رزق للناس ودفع لجمهور الأمة، أما الربا فهو تلبد وكسل وكسب بغير عمل مال بلا جهد، يقول اللورد كينزوهو من ألمع الاقتصاديين الرأسماليين المعاصرين في كتابه (النظرية العامة) أن ارتفاع سعر الفائدة يعوق الانتاج لأنه يغري صاحب المال بالادخار للحصول على عائد مضمون دون تعريض أمواله للمخاطرة في حالة الاستثمار في المشروعات الصناعية او التجارية، كما أنه من ناحية أخرى لا يساعد رجل الأعمال على التوسع في أعماله لأنه يرى أن العائد من التوسع مع ما فيه من مخاطر يعادل الفائدة التي سيدفعها للمقرض سواء كان الاقتراض عن طريق

(١) محسن عبد الحميد، المذهب الإسلامية، الأولى، قطر، رئاسة الحاكم الشرعية، ١٤٠٤هـ، ص ٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٨.

(٤) فضل إلهي ظهير، التدابير الواقية من الربا في الإسلام، ط ١، باكستان، ترجمان الإسلام، ١٩٨٦م، ص ٤٨.

المصرف أو بموجب سندات، وعلى ذلك فكل نقض في سعر الفائدة سيؤدي إلى زيادة الانتاج وبالتالي في العمالة وإيجاد فرص لتشغيل المزيد من الناس . ويقول الاقتصادي الألماني سيلفيو جيزل أن نمو رأس المال يعوقه معدل فائدة النقود ولو أن هذه الفرمة أزيلت لتضاعف نمو رأس المال في العصر الحديث بدرجة تبرر خفض سعر الفائدة إلى صفر في فترة زمينة وجيزة وينصف في نفس الوقت بفرض رسوم على المال المعطل أسوة بأجور تخزين البضائع، ولكن أساطين الرأسمالية يأبون الاستماع إلى دعاة الإصلاح في نظامهم. فالغاء الربا رحمة تنزل على أفراد المجتمع كلهم، وبإلغاء الربا تشهد الدولة في مجال التنمية انتعاشاً وتقدماً^(١).

إن الربا آفة قد أصابت الاقتصاد فإنها تنتشر فيه انتشاراً كالسرطان في جسم الإنسان، فإن المفكرين ورجال السياسة عجزوا عن علاج البلايا الربوية ومن العجيب أن بعض الناس ظنوا أن الربا يحدث خيراً للناس ومثلهم في ذلك مثل الذين يظنون أن التورم في بعض الأجسام الناشيء عن المرض صحة وعافية فليس كل تضخم في الجسم صلاحاً، إن السرطان إنما هو مدمر لحياته وقاتك به، وكذلك ما يولد الربا ليس صلاحاً للاقتصاد، والمشكلة أن بلايا الربا لا تظهر مرة واحدة في كيان المجتمع وكيان الاقتصاد، يقول الرازي: إن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة^(٢) وهذا مستفاد من النص القرآني: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾^(٣).

فالحق نقصان الشيء حالاً بعد أخرى، فالذين يتعاملون بالربا يظنون أن فيه كسباً والحقيقة التي أخبر بها العليم الخبير والتي كشف عنها واقع البشر الذي دمره السرطان الربوي أن الربا ممحقة للكسب مدمر للاقتصاد ذلك لأنه يصيبه بعلل خبيثة يعي الطبيب النطاس علاجها، الربا ليس بركة ورخاء بل هو بالتالي مسألة سالبة للتنمية الاقتصادية^(٤).

(١) عبد السميع المصري، لماذا حرم الله الربا، ط١، القاهرة، دار الوثائق النموذجية، ١٩٨٧م، ص١٦ - ٢٠.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج٢، ص٢٦٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٦.

(٤) عمر الأشقر، الربا وأثره في المجتمع الإنساني، ط٣، الكويت، دار الفانس، ١٩٩٠م، ص٣٢.

يمكن لوسائل الاتصال أن تقدم شرحاً للآفات التي تصيب التنمية الاقتصادية من جراء الربا وهي كثيرة أشهرها ما يلي :

١- تعطيل الطاقات البشرية .

٢- تعطيل المال .

٣- إيجاد التضخم .

٤- الكساد والعطالة .

٥- توجية الاقتصاد وجهة منحرفة .

٦- التشجيع على المغامرة والإسراف .

٧- وضع مال المسلمين بين يدي خصوم الإسلام^(١) .

وأى واحدة من الآفات المتقدمة كفيلة بأن تحطم التنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية .

تهدف الدولة الإسلامية إلى التنمية في كافة المجالات ونجد من هذه المجالات المجال الزراعي، تستطيع وسائل الاتصال أن تسهم إسهاماً واضحاً في مجال الانتاج الزراعي، ويقترن بالانتاج الزراعي الانتاج الحيواني، يمكن لوسائل الاتصال بث البرامج التي عن طريقها يتحسن الانتاج الزراعي والحيواني وذلك من خلال التلفزيون والإذاعة ووسائل النشر المطبوعة كالمحافة وغيرها، إذ يمكن لوسائل الاتصال تناول الآيات القرآنية التي تؤكد على أهمية الزراعة وتنويع محاصيلها وعدم الاختصار على محصول واحد وأهمية توافر الماء وخصوبة الأرض وغيرها من الجوانب التي تعتمد عليها الزراعة كقوله تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾^(٢) .

ويمكن لوسائل الاتصال أن تقوم بالشرح والتعليق للأحاديث ذات العلاقة بالزراعة وتحث المزارعين من المسلمين كقوله ﷺ: أما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرر غرساً فتأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٤ وما بعدها

(٢) سورة عبس الايات ٢٥ - ٣٢

(٣) الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري، مجلد ١٠، دمشق، مكتبة الغزالي، بدون تاريخ، ص ٤٣٨ .

وكما تهتم الدولة الإسلامية بالتنمية في المجال الزراعي فإنها تهتم كذلك بالقطاع الصناعي في المجتمع الإسلامي سواء كانت صناعات استهلاكية أو صناعات إنتاجية كصناعة الملابس وصناعات التعدين وصناعات السفن وصناعات الغذاء وغيرها، ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾^(١).

وغیرها من الآيات في هذا المعنى قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾^(٢). ففي آيات وكلمات معدودة يوجهنا الحق سبحانه وتعالى إلى الصناعات العديدة التي يمكن أن تقوم على جلود الأنعام فقط من صناعة أثاث أو متاع أو ثياب (سراويل) وخيام (وهي بيوت البدو) .

وبذلك يلفت الحق سبحانه وتعالى نظر عباده إلى ضرورة تصنيع ما يرزقهم الله به من مواد طبيعية زراعية كانت أم حيوانية .

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾^(٣) وتوضح هذه الآية عن أسرار عظمة اكتشافها العلماء المحدثون عن فوائد الحديد واستخداماته العديدة سواء في الحرب أو في السلم ومكانته كأساس يرتكز عليه في قيام القطاع الصناعي كما تكشف عن أهمية الترابط الاقتصادي بين مختلف القطاعات وداخل القطاع الصناعي^(٤).

إن التنمية الاقتصادية في الدولة الإسلامية مربوطة بالتنمية البشرية وهذه الأخيرة لا بد لها من بواعث تعينها وتحركها وهي العقيدة، وكذلك تستطيع وسائل الاتصال أن تبرز أهمية العقيدة الإسلامية في التنمية وهذا ما يتميز به الإسلام على سائر العقائد الدينية من استيعاب تعاليمه للشئون المادية للحياة إلى جانب الشئون الروحية وهو بذلك يعتبر أصلح العقائد الدينية لتحقيق

(١) سورة النحل، الآية ٨٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٨١.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٤) نعمت عبد اللطيف مشهور، مرجع سابق، ص ١١٨ - ١١٩.

التقدم الإنساني المنشودة نظراً لتوافق عقيدته مع نظرة الإنسان وتطلعاته الأصلية واتفاقها مع الحقائق الكونية والاجتماعية، فالتممية في الإسلام فرض ديني .

إن اعتناق عقيدة الإسلام يفرض على المسلم الاضطلاع بواجب التتمية الذي استخلف فيه كما يفرض على الجماعة الإسلامية القيام بهذا الواجب الديني الذي يضمن لها أن تظل خير الأمم^(١). وفي الدولة الإسلامية تلعب وسائل الاتصال دوراً هاماً في تعليم المجموعات البشرية إذ أن للتعليم أهمية اقتصادية واجتماعية كبرى تربو على أهمية العوامل الاجتماعية الأخرى ذلك أن نشر التعليم يعتبر المضاعف في النهوض بكل العوامل وتوجيهها إلى تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي المنشود في الدولة الإسلامية^(٢).

لقد جعل الله سبحانه وتعالى في الدولة الإسلامية الإيمان القوي والعمل سبيلاً للتتمية الاقتصادية والبشرية ومناطق الكفاية وأساس الصلاح والإصلاح الاجتماعي والسياسي .

والإسلام حقق بذلك التلازم وأعاد التوازن المفقود بين القيم الروحية الإيمانية وبين القيم الاجتماعية الاقتصادية الاستهلاكية منها والإنتاجية وحل المعادلة الصعبة وخلص الإنسان من التبعضر والانشطار وعالج مشكلة القلق على الرزق والخوف من المصير وبذلك وفر جهد الإنسان وحمى طاقاته من الهدر والتبديد والضياع وصرفه وجهتها إلى الموقع المجدي المنتج ضمن مقدور الإنسان واستطاعته حتى لا يدع ما يملكه من الإرادة والحرية والفاعلية والقدرة إلى ما لا يملكه ويستطيعه فيعيش حياة الضنك والقلق والبؤس والإحباط واليأس والضياع قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣) وغيرها من الآيات التي تربط التتمية بالإيمان^(٤).

(١) المرجع نفسه، ص ١٣١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٤ .

(٣) سورة الاعراف الاية ٩٦

(٤) الحسيني سليمان جار، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٩٦، ص ٩.

والعمل في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية ومن خلال وسائل الاتصال الجماهيرية عبادة فأى إنسان يتحرك في أي اتجاه لتحقيق أية مصلحة اجتماعية يعد عابداً لله مطيعاً له في تحقيق هدف من أهداف الخلافة في الأرض، فالعامل الذي يعمل بجد وإخلاص لزيادة الإنتاج الصناعي وهو يعتقد أن خالقه قد أمره بذلك هو عابد لله تعالى، والفلاح الذي يزرع الأرض كي يكثر المحصول وينعم به أبناء مجتمعة عابد، والمهندس الذي تأتمنه الدولة وتعهد إليه بالإشراف على بناية تكلفه ملايين الدنانير فيخلص في إشرافه ويقطع دابر خيانة العاملين فيها عابد لله .

وهكذا الأستاذ والطبيب وأهل المهن والحرف إذا آمنوا بالله وعبدوه وأخلصوا في أعمالهم بقصد إفادة المجتمع هم في الحقيقة مطيعون لله تعالى بتحقيق قانون من قوانينه، هذه سمات نظام الإسلام العبادي يدفع التنمية الاقتصادية والبشرية إلى الأمام .

إن تربية الأمة الإسلامية برمتها على النظام العبادي في الإسلام من خلال المؤسسات الاجتماعية ومؤسسات الاتصال بصفة خاصة ستضع الأمة ونواتها الدولة الإسلامية ستضعها على طريق الوحدة العقيدية والمسئولية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي والتضامن والتعاون على أعمال الخير والبناء للنظام الأخلاقي الذي يحدد سلوك الأفراد والجماعة بما يعود على الحضارة بخير عظيم ويقود إلى تنمية سريعة وهادفة وشاملة^(١).

عليه نجد أن وسائل الاتصال الجماهيري لها دور هام تقوم به في خدمة أهداف الدولة الإسلامية، وقد ناقشنا ما ينبغي أن تقوم به وسائل الاتصال الجماهيري وكيف أن الصلة القوية بين وسائل الاتصال الجماهيري والتنمية الاقتصادية والبشرية في الدولة الإسلامية إذا ما أحسنت الدولة الإسلامية استغلال وسائل الاتصال في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية، وبتطور وسائل الاتصال تتطور التنمية الاقتصادية والبشرية، إذ لم يعد الإنسان بمقتدر على أن يعيش بمعزل عن الاتصال بالعالم المحيط به ومعرفة ما يدور حوله في مجتمعة الإقليمي بل والعالمي بعد أن تطورت عمليات الاتصال والمواصلات أي

(١) محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، ط٣، مرجع سابق، ص ٦٩ - ٧٦.

نقل المعلومات والأنباء والأفكار والخبرات من فرد لفرد ونقل الإنسان من مكان لآخر .

هذا شأن وسائل الاتصال مع الإنسان فرداً كان أو جماعة وهي بالتالي ذات أثر بليغ في مجال التنمية سلباً أو إيجاباً، والدولة الإسلامية لا بد لها لكي تحقق أهدافها في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية من أن توجه وسائل الاتصال لخدمة هذا الهدف الهام، وهو هدف يترتب عليه الأمن الغذائي وتقاس به قوة الدولة الاقتصادية وبالتالي تكون للدولة هيبتها الاقتصادية التي صنعتها وسائل الاتصال الجماهيري، وتسهم وسائل الاتصال الجماهيري في التنمية الاقتصادية والبشرية كما هو واضح في العرض المتقدم .

ثانياً: دور وسائل الاتصال في الترويح :

إن مسألة الترويح من المسائل الهامة التي لم يهتم بها بل اهتم بها ووضع لها الضوابط التي تحكمها حتى لا تخرج عن الهدف المراد منها وغاية الإسلام في ذلك أن يخرج بالنفس الإنسانية من السأم والكآبة والملل حتى لا تنزوي وتعجز عن أداء دورها في المجتمع، وقد حث رسول الله ﷺ على ذلك حيث قال: لروحوا عن القلوب ساعة فساعة فإن القلوب إذا كلت عميتاً^(١). تسعى الدولة الإسلامية لتحقيق الترويح لمواطنيها عبر وسائل الاتصال المختلفة، لأن المجتمع الإسلامي عرف الترويح من خلال السيرة النبوية وممارسة وبشروط معينة، فكلمة ترويح في اللغة العربية معناها السعة والانبساط وإزالة التعب وإرجاع النشاط إلى الإنسان وإدخال السرور على النفس بعد العناء، يقال رجل أريحي أي واسع الخلق منبسط وأراح الرجل أي رجعت إليه نفسه بعد عناء^(٢).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ليا بلال أقم الصلاة أرحنا بها^(٣). من أهداف الدولة الإسلامية التي تسعى لتحقيقها عن طريق وسائل الاتصال هدف التسلية والامتع أو ما يسمى بالترفيه أو الترويح، ومن أمثلة

(١) علاء الدين علي المنقي بن حسام الدين الهندي، كثر العمال، م٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م، ص٣٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بدون تاريخ، ص٤٥٥.

(٣) الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث، م٥، ط٢، اسطنبول، دار سحنون، ١٩٩٦م، ص٢٦٣.

ذلك الطرائف والنوادر والهدف يمتد من وسائل الاتصال التقليدية والبسيطة إلى وسائل الاتصال الالكترونية الحديثة ، ولكل مجتمع طريقته في الترفيه والتسلية ، ولكل ظرف من ظروف الزمان والتحضر المستوي المناسب له من مستويات الترفية والتسلية ف (الأراجوز) و (شاعر الرابطة) و (صندوق الدنيا) حلت محلها الروايات الفكاهية والمسلسلات التلفزيونية وعروض السيرك والحفلات وما شابه ذلك^(١) ، هذا وتتعدد تعريفات المختصين وتباين باختلاف نظرة من يقوم بتعريفه ومن هذه التعريفات ما يلي :

- ١- هو إعادة إنعاش الروح وإحياء القوة بعد تعب .
- ٢- إدخال السرور على النفس.
- ٣- هو نشاط ذو فائدة ما يمارس اختياراً أثناء وقت الفراغ بدافع ذاتي من الرضا الشخصي الذي ينتج عنه .
- ٤- هو النشاط الذي يختاره الفرد ليمارسه في أوقات الفراغ بهدف إدخال السرور على النفس بدون انتظار مكافأة^(٢) .

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية عندما تتعرض للترويج تتعرض له لأنه في الرؤية الإسلامية بنائية^(٣) تشحن الفاعلية وتنشط العقل وتثير الهمة ، وتوقظ الروح ، وتثير المنافسة والاستباق في الخيرات وتدريب على العمل الجماعي وإشاعة روح الفريق واجتثاث معاني العداوة والحقد والصراع ، وتشكل ميداناً لتصعيد الغرائز ، وتعالج الأثرة والتركيز على الذات وتدريب على تأسيس وتأسيس المعاني النفسية كالحب والإيثار والعفو ، والرحمة والعدل ، والإحسان والاحتساب ، والاستشعار لعزوبة تلك المبادئ والمعاني وحلاوتها وممارستها بشكل عملي بعيداً عن أساليب الوعظ والرتابة والتوتر والصرامة^(٤) .

والترويج الذي تمارسه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية هو وسيلة تربوية بل لعله من أكثر الوسائل التربوية فاعلية لأنه يتم بعيداً عن التوتر

(١) محمد سيد محمد، المسؤولية في الإسلام، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٣ م .

(٢) عطيات خطاب، أوقات الفراغ والترويج، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص٣٠ .

(٣) ياسر عثمان جاد الله، وسائل الترفية ما يحل منها وما يحرم، ط١، الاسكندرية، دار الدعوة للطباعة، ١٩٨٥م، ص١٩ .

(٤) عبد الله بن ناصر السدحان، الترويج وعوامل الانحراف رؤية شرعية، ط١، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٠م، ص٢٤٠ .

والقلق والتكليف على أوضاع معينة .. إنه التربية والتعليم الذاتي من خلال اغتنام مجالات الراحة الجسمية والرضي النفسي وأعلى درجات القابلية للاختيار^(١).

الترويح في الإسلام من الأمور التي عالجتها الشريعة الإسلامية ولا سيما إذا كان هذا الترويح منضبطاً بالضوابط الشرعية وفق الكتاب والسنة ذلك لأن الإسلام دين يتماشى مع الفطرة، والإسلام عندما أجاز الترويح قصد منه إعانة الفرد على تحمل أعباء الحياة الكثيرة التي ربما أوقعته في الكآبة .

ويمكننا أن ندلل على مشروعية الترويح من ممارسة رسول الله ﷺ ومن أقواله الصحيحة، كما يمكننا أن نؤصل للترويح بحديثه المشهور الذي يقول فيه: القيني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى وكأنها رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر الصديق حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة رسول الله، نكن عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي المدينة لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات^(٢) والرسول ﷺ شرع ألواناً كثيرة من اللهو وفنوننا من اللعب شرعها رسول الله ﷺ للمسلمين ترفيهاً عنهم وترويحاً لهم وهي في الوقت نفسه تهيب نفوسهم للإقبال على العبادات والواجبات الأخرى أكثر نشاطاً وأشد عزيمة وهي في ذلك كثير منها رياضات تدريبهم على القوة وتعددهم للجهاد في سبيل الله^(٣).

(١) عبد الله بن ناصر السدحان، الترويح وعوامل الانحراف، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، م ٩، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ص ٢٦.

(٣) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ط ١٤، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٠م، ص ٢٤٢.

فوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ينبغي عليها أن تعالج أهداف الدولة من فهم الدين الإسلامي وواقعية المنهج الإسلامي إذ أن الإسلام دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع ولا يتعامل مع الناس كأنهم ملائكة أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم باعتبارهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ولذلك لم يفرض على الناس ولم يفترض فيهم أن يكون كلامهم كله ذكراً وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم الله تعالى يفرحون ويمرحون ويضحكون كما خلقهم سبحانه يأكلون ويشربون^(١).

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لابد لها من إشباع رغبات جماهير الدولة الإسلامية بما يتماشى والفهم والمنهج الإسلامي، وقد كانت حياة رسول الله ﷺ مثلاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة فهو في خلوته يصلي ويطيل الخشوع والبكاء حتى تتورم قدماه، هو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله ولكنه مع الحياة والناس بشر سوي يحب الطيبات ويبش وبيتسم ويداعب ويمزح ولا يقول إلا حقاً .

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه ويكره الحزن وما يدفع إليه من ديون ومتاعب ويستعد بالله من شره ويقول: **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن**^(٢). والترويح يمكن أن يكون بالسمع وباللعب والممارسة وبالمشاهدة وكلها مواضيع مشروعة مورست على عهد رسول الله ﷺ. وعن طريق وسائل الاتصال يمكننا توسيع دائرة كل من السماع والمشاهدة والقراءة . ويمكننا أن نوسع دائرة السماع عن طريق الراديو والمشاهدة عن طريق التلفزيون والسينما والفيديو، وغيرها من الأجهزة المسموعة والمرئية .

وحقيقة الترويح في الإسلام أنه دين وميدان للثواب والصدقة وليس خروجاً على القيم ورفضاً للضوابط وتكسيراً للموازين وانتهاكاً للحرمان،

(١) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٢) علاء الدين علي النقي بن حسام الدين الهندي، كثر العمال، م ٢، مرجع سابق، ص ١٩٠.

وممارسة الرسول ﷺ وشهوده وإقراره والدعوة إليه دليل على مشروعيتها وضرورته، إضافة إلى أنه يشكل نافذة على النموذج الذي لا بد من امتداده واستلهامه مع التطور بعيداً عن التجمد عند حدود الزمان والمكان ومحاصرة حدود الإسلام والحجز على امتداده، إن قصور الفقه والفكر الإسلامي عن الامتداد بأوعية الترويح والإبداع فيها وإدراك أهميتها وضرورتها وخطورتها أحدث فراغاً سمح للآخرين بالامتداد في حياتنا ليستغرق كل جوانبها إنتاجاً واستهلاكاً وترويحاً^(١).

وكلمة سمح (للآخرين) بالامتداد في حياتنا تدل على أننا أصبحنا في كثير من المجالات نقتلد الآخرين لا سيما في مجال الترويح فنحن دائماً مشدودين ومشدوهين أمام ما يفد إلينا من بلدان غاية ما ترجوه من إنتاجها الترويحي الذي ترسله إلينا أن نكون تابعين لها، والترويح الوافد يعد سلاحاً من أسلحة الغزو الفكري وعن طريق الفكر الترويحي الوافد بواسطة وسائل الاتصال الجماهيري يمكن التحكم في ذوق المجتمع الإسلامي مما يضر بهدف الدولة الإسلامية التي تريد أن تضبط الترفيه بضوابط إسلامية وتعمل على إشاعة الترويح، ولا سيما أن السنة القولية والفعلية (العملية) دلت على إباحة الترويح بالإضافة لما له من فوائد، وحقيقة أن الترويح له أهمية التأمل في النماذج أو الأوعية الترويحية التي أباحها الرسول ﷺ وبالصورة التي مارسها المجتمع المسلم الأول يدرك أهدافها العظيمة في النفس والمجتمع كما يبصر آثارها الإيجابية في استمرار عملية البناء والإنتاج^(٢).

كل الناس في الدولة الإسلامية وغيرها من المجتمعات في حاجة إلى واحات في طريقهم تخفف عنهم بعض عناء رحلة الحياة، وكان لابد من أشياء يروحون بها عن أنفسهم، حتى يضحكوا ويفرحوا ويمرحوا ولا يغلب عليهم الغم والحزن والنكد فينقص عليهم عيشهم ويكدر عليهم صفوهم، ومن هذه الفكاهة والمرح وكل ما يستخرج الضحك من الإنسان ويطارد الحزن من قلبه والعبوس من جهة والكآبة من حياته.

(١) عبد الله بن ناصر السدحان، الترويح وعوامل الانحراف، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.

(٢) عبد الله بن ناصر السدحان، الترويح وعوامل الانحراف، مرجع سابق، ص ٣٧.

فهل يرحب الدين بالفن الكوميدي أو يضييق به ؟

يقول يوسف القرضاوي وهو من العلماء المشهود لهم بالعلم في هذا العصر يقول: قد سئلت عن موقف الدين (المقصود الدين الإسلامي) من الضحك والمرح والفكاهة، نظراً لما يبدو على بعض المتدينين من العبوس والتجهم فيكادون لا يضحكون ولا يمزحون حتى حسب الناس أن هذه طبيعة الإسلام والدين والتدين، وكان جوابه: إن الضحك من خصائص الإنسان فالحيوان لا يضحك لأن الضحك يأتي بعد فهم ومعرفة لقول يسمعه أو موقف يراه فيضحك منه لهذا قيل: الإنسان حيوان ضاحك ويصدق القول هذا إن أضحك إذا أنا إنسان، والإسلام بوصفه دين الفطرة لا يتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطري إلى الضحك والانبساط، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمه طيبة ويحب للمسلم أن تكون شخصيته باشة ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة التي لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار قاتم أسود. وأسوة للمسلمين هو الرسول ﷺ فقد كان على الرغم من همومه الكثيرة والمتنوعة يمزح ولا يقول إلا حقاً ويحيا من أصحابه حياة فطرية عادية، يشاركونهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم وأحزانهم ومصائبهم^(١).

إذن الترويح في المجتمع المسلم والدولة الإسلامية أمر مشروع لذا ينبغي على وسائل الاتصال والمؤسسات العاملة في حقل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية القيام بهذا الدور .

فإن هذا الضرب من اللهو والترفيه يقوم بمهمة التنشيط للنفس، حتى تستطيع مواصلة السير والمضي في طريق العمل الطويل كما يريح الإنسان خاصة في السفر، فمشروعية الضحك والمرح والمزاح (الترويح) لاشك فيها في الأصل ولكنها مقيدة بقيود وشروط لا بد أن تراعى ومن هذه الشروط ما يلي: أولاً: ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس، كما يفعل بعض الناس في أول أبريل (نيسان) فيما يسمونه (كذبة أبريل) .

(١) يوسف القرضاوي، الإسلام والفن، ط١، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص١٢١-١٢٥.

ولها قال رسول الله ﷺ: لويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له، ويل له، ويل له^(١)، وقد كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً .

ثانياً: ألا يشمل على تحقير لإنسان آخر أو استهزاء به وسخرية منه، إلا إذا أذن بذلك ورضي قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

ثالثاً: ألا يترتب عليه تفريع وترويع مسلم، فقد روي أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ في سير فخفق رجل على راحلته (أي نعس) فأخذ رجل سهماً من كنانته فانتبه الرجل ففرغ، فقال سول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً^(٣) والسياق يدل على أن الذي فعل ذلك كان يمازحه. قال ﷺ: لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً^(٤). رواه الترمذي وحسنه .

رابعاً: ألا يهزل في موضع الجد ولا يضحك في مجال يستوجب البكاء ولكل شيء أوانه ولكل أمر مكانه ولكل مقام مقال والحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب .

وقد عاب الله تعالى على المشركين أنهم كانوا يضحكون عند سماع القرآن وكان أولى بهم أن يبكوا فقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١)﴾^(٥).

خامساً: أن يكون ذلك بقدر معقول وفي حدود الاعتدال والتوازن الذي تقبله الفطرة السليمة ويرضاه العقل الرشيد، ويلائم المجتمع الإيجابي العامل، والإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شيء، ولو في العبادة

(١) الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، م، ٥، ط، ١، حصص، دار الحديث، ١٩٧٤م، ص ٢٦٤

(٢) سورة الحجرات الآية ١١١

(٣) الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، م، ٥، ط، ١، حصص، دار الحديث،

١٩٧٤م) ص ٢٧٤

(٤) علاء الدين علي المنفي بن حسام الدين الهندي، كثر العمال مجلد ١٠، مرجع سابق ٢٢٧

(٥) سورة النجم الايات ٥٩ - ٦١

فكيف باللهو والمرح ولذا كان التوجيه النبوي: **لا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**^(١) فالمنهي عنه هو الإكثار والمبالغة وخير الأمور هو الوسط دائماً، وهو نهج الإسلام وخصيسته الكبرى ومناطق فضل أمته على غيرها .

هذه الشروط التي ينبغي أن تكون ضوابط لأنواع الترفيه (الترويح) عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية في الدولة الإسلامية كما وضحتها يوسف القرضاوي من علماء العصر، وأهل الفتوى حتى يمكن للدولة الإسلامية أن تحقق هدف الترويح عن مواطنيها وتخرجهم من الكآبة والسأم إلى تجديد النشاط والانبساط والترويح المنضبط بالضوابط الشرعية سابقة الذكر يمكن أن يأتي بنتائج من شأنها أن تساهم في تقدم الدولة الإسلامية إذ أن هناك الكثير من الآثار الإيجابية المصاحبة للعملية الترويحية بشتي صورها وأشكالها إلا أننا نجد أن لكل شكل من الأشكال ولكل منشط من المناشط الترويحية المختلفة التي يمارسها الإنسان فوائد محددة ومن ذلك:

١- إشباع الحاجات الجسمية للفرد ويتم ذلك بممارسة الرياضة البدنية وليست بمشاهدتها فقط كما يحدث بين نسبة كبيرة من أفراد المجتمع حيث تؤدي ممارسة الرياضة البدنية بشتي أنواعها غالباً إلى إزالة التوترات العضلية وتنشيط الدورة الدموية وتحسين أداء الأجهزة الرئيسية في الجسم كالجهاز التنفسي والهضمي إضافة إلى اكتساب قوام معتدل .

٢- إشباع الحاجات الاجتماعية للفرد، من المعلوم أن معظم الأنشطة الترويحية تتم بشكل جماعي، وهذا يساعد الفرد حين ممارستها على اكتساب الروح الجماعية والتعاون والانسجام والقدرة على التكيف مع الآخرين، وهذا يؤدي إلى تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين تؤدي إلى نمو اجتماعي متوازن .

٣- إشباع الحاجات العلمية العقلية للفرد، وهذا يأتي من خلال الأنشطة الترويحية الابتكارية التي يمارسها الفرد في حياته اليومية، فهذه الأنشطة

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري يشرح صحيح البخاري، م ١٠٠، بيروت، مؤسسة مناهل الفرقان، بدون تاريخ، ص ٥٠٦.

تؤدي في الغالب إلى تنمية القدرات العقلية والتفاعل الإيجابي مع المواقف المختلفة كما تساعد هذه الأنشطة الترويحية الابتكارية على تطوير القدرة الإدراكية الاستيعابية للمواقف المختلفة .

٤- قد تكون الأنشطة الترويحية عاملاً مساعداً في رسم مهنة المستقبل للفرد من خلال تنمية مهاراته وقدراته التي غالباً ما تبدو بهواية يمارسها الفرد في حياته اليومية ثم ينميها ويطورها حتى تنتهي بمهنة يحترفها في المستقبل .

٥- تساعد الأنشطة الترويحية على اكتشاف العديد من السجايا والأخلاق والطباع التي يحملها الأفراد إذ غالباً ما يكون الفرد على سجيته دون تصنع أو تكلف في أثناء ممارسة الترويح .

٦- الأنشطة الترويحية قد تكون منشطة للحركة الاقتصادية في المجتمع من خلال جعل الأنشطة والبرامج الترويحية مورداً استثمارية وبخاصة إذا تم التعامل معها وفقاً للنظرة الشرعية للترويح وإلا أصبحت ذات آثار سلبية .

٧- تساعد الأنشطة الترويحية على إحداث مزيد من الترابط الأسري بين أفراد العائلة إيجابية تفاعلية أما إذا كانت بشكل جماعي سلبية أو استباقية محضة مثل مشاهدة التلفزيون فقط فهذه الممارسات الترويحية قد تؤدي إلى عكس النتائج الإيجابية المتوقعة فكما ارتفعت نسبة المشاركين من أفراد الأسرة في الأنشطة الترويحية أدى ذلك إلى مزيد من التماسك .

٨- تؤدي الأنشطة الترويحية إذا أحسن الإنسان استثمارها وممارستها بشكل إيجابي إلى زيادة الانتاجية لديه إذ تعد هذه الأوقات فرصة لالتقاط الأنفاس والترويح فيها مما ينعكس بأثرة الإيجابي على فاعلية الفرد ونشاطه وحيويته حال عودته إلى العمل^(١) .

سقت في السطور السابقة فوائد الترويح العملي لنخرج بمؤشر واضح وهو أن الجماهير التي تقود حالياً مهمة العملية الترويحية بإمكانية ضخمة وتطور مضطرد ، ولا تقف أمامه حدود الزمان والمكان ، فالترويح في الدولة الإسلامية يمكن أن يكون واحداً من الصيغ التي عن طريقها يمكن أن تحل الدولة الإسلامية بعض مشاكلها لا سيما في ملء أوقات الفراغ ، فلم يعد الترويح عبثاً

(١) عبد الله بن ناصر السدحان ، الترويح وعوامل الانحراف ، مرجع سابق ، ص ٥٧-٦٠

كما هو في مفهوم بعض الذين يجهلون فوائد هذا الضرب من البرامج، ولا يمكن أن يبيح الإسلام عملاً لا فائدة منه للإنسان، إذ أن التشريع الإسلامي مضبوط بمصالح الناس، والمطلوب من وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقوم بواجبها في الترويح عن المواطن وفق الضوابط الشرعية حتى تجني الدولة الإسلامية الفوائد المرجوة من وراء العملية الترويحية وذلك كله يكون وفق الرؤية الشرعية .

هذا وتصلح كل وسائل الاتصال الجماهيري لتأدية الدور الترويحي إلى جانب الأدوار الأخرى ومن أهداف الدولة الإسلامية أن المجتمع الإسلامي مجتمع يروح ويرفه على عكس من يتصورون أنه مجتمع عبادة ونسك ومجتمع جد وعمل فقط، فلا مجال فيه لمن يلهو ويلعب أو يضحك ويمرح أو يشدو ويطرب، ولا يجوز للشفة فيه أن تبسم، ولا للسن أن تضحك، ولا لقلب أن يفرح، ولا بهجة أن ترتسم على وجوه الناس، وربما ساعدهم على ذلك سلوك بعض المتدينين، الذين لا تري أحدهم إلا عابس الوجه، مقطب الجبين وهو يبرر ذلك السلوك المهيب باسم الدين أي أنه فرض طبيعته المتوجسة على الدين والدين برئ من ذلك وإنما يعود ذلك إلى الفهم الخاطئ للدين .

وعلى العكس من هؤلاء هناك أناس أطلقوا العنان لشهوات أنفسهم فجعلوا الحياة كلها لهواً ولعباً وأزالوا الحواجز بين المشروع والممنوع وبين المفروض والمرفوض، وبين الحلال والحرام .

فتراهم يدعون إلى الانحلال ويروجون إلى الإباحية، ويشبعون الفواحش ما ظهر منها وما بطن باسم الفن أو الترويح ونسوا أن العبرة بالمسميات والمضامين لا بالأسماء والعناوين والأمور بمقاصدها .

إن الإسلام دين واقعي فهو يتعامل مع الإنسان كله جسمه وروحه وعقله ووجدانه، ويطلبه أن يغذيها جميعاً بما يشبع حاجاتها في حدود الاعتدال الذي هو صفة (عباد الرحمن) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

وليس هذا خلقهم في أمر المال فقط بل هو خلق أساسي عام في كل الأمور هو المنهج الوسط للأمة الوسط^(١) .
على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم للمواطن شيئاً من فن الفكاهة والمرح (الكوميديا) وذلك تحقيقاً لهدف الترويح الواقع على عاتق الدولة الإسلامية .

كما ذكرت سابقاً فإن الترفيه (الترويح) يمكن أن يكون بالمشاهدة والسمع والقراءة وفقاً لوسيلة الاتصال الجماهيري المستخدمة التي تعرض المادة موضوع الترويح فالصحافة من وظائفها التسلية والإمتاع (الترويح) إلى جانب وظائفها وأهدافها الهامة في مجال المجتمع في الدولة الإسلامية، وتستطيع الصحافة أن تجذب أكبر عدد من القراء بما تثيره من مواد لها جاذبة ولذلك يمكن أن يقبل الجمهور على الصحيفة بسبب ما تقدمه من روايات تدخل التسلية والترويح على الجمهور القارئ للصحيفة لا سيما الروايات المسلسلة التي تستهدف تسلية الجمهور، والصحف في الدولة الإسلامية ينبغي أن تتنافس في تقديم ألوان مختلفة من الفنون الصحفية التي تستهدف تسلية القراء وإمتاعهم بالإضافة إلى القصص فضلاً عن أبواب الحظ والكلمات المتقاطعة والمسابقات والألغاز والطرائف والملح والأحاديث والتحقيقات الصحفية الخفيفة مع كبار الشعراء والأدباء والفنانين والشخصيات الاجتماعية البارزة بالإضافة إلى نشر الصور الطريفة التي تدخل السرور والفرح على القارئ وتذهب عنه الكآبة والملل كما نجد رسوم الكاريكاتير الضاحكة^(٢) .

وفي مجال وسائل الاتصال المقروءة يمكن أن تخصص صحف بأكملها بهدف الترويح دون غيره من المواضيع الأخرى وذلك لأهمية الترويح في الدولة الإسلامية ولما له من فوائد تعود على مجتمع الدولة المسلمة، ويمكن أن تشارك في هذا الأمر المجالات والكتب بالمادة المكتوبة التي من شأنها أن تدخل السرور والفرح على أفراد الدولة الإسلامية في مجال تحقيق هدف الترويح .

(١) يوسف القرضاوي، الإسلام والفن، مرجع سابق، ص ١٤ .
(٢) فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٦ م.

وكما يمكننا أن نروح عن أنفسنا عن طريق القراءة يمكننا كذلك أن نمارس الترويج عن طريق أشهر وسائل الاتصال في مجال السماع عن طريق الإذاعة، فالإذاعة تعد من أهم قنوات الاتصال الجماهيري لما لها من مميزات، تتمتع الإذاعة بمكانة عظيمة في دنيا الاتصال فقد استطاعت هذه الوسيلة أن تستغل موجات الأثير لتوثيق صلتها بملايين البشر في كل أنحاء المعمورة ولتزودهم بالخبر والرأي وأحدث ما وصل إلى الفكر الإسلامي الذي انطلق سعياً وراء الحقيقة في آفاق العلوم والفنون والآداب، كما تزودهم بالتسلية والترفيه (الترويج) ثم تتقل لهم كل ذلك أينما كانوا في المنزل أو الحقل أو الفياض أو الجبال بأسلوب يقرب كل بعيد ويعرضه في قالب مستساغ يجذب الملايين في أركان الأرض الأربعة^(١).

للإذاعة المسموعة آثارها الاتصالية إذ أنها تصل إلى جماهير عريضة للغاية بصرف النظر عن الناحية العلمية التي يكون عليها المستمع وبصرف النظر عن صغر السن أو كبره، ومثل هذه الجماهير تزداد قابليتها للاستهواء، فالمادة الإذاعية تصاغ في عبارات بسيطة يدرك معانيها المثقف وغير المثقف فضلاً عن إحاطتها ببعض الألحان الموسيقية أو تطعيمها بعض الأغاني الخفيفة مما يدفع المستمع إلى الإصرار على الاستماع إليها، إذا كان من الميسور منع مواد الاتصال المطبوعة من دخول أي دولة فإن مادة الاتصال الإذاعية المسموعة لا تقف عند حد على الرغم مما قد تتعرض له من أساليب التشويش، والإذاعة بهذه الصورة من أسرع وسائل النشر وتستمر البرامج الإذاعية من الصباح حتى المساء حيث تتضمن برامج السهرة على موضوعات اتصالية تتميز بالترفيه والإمتاع (الترويج) مما يخلق جواً يساعد على الاسترخاء والاستسلام للنوم استعداد ليوم جديد^(٢).

ويمكن للإذاعة أن تقدم برامج ترويج أثناء ساعات النهار وفي العطلات وهذا دور يمكن أن تقوم به الإذاعات وهو من واجباتها وأهدافها في الدولة الإسلامية .

(١) والتر. ك. كينجسون، ترجمة نبيل بدر، الإذاعة بالراديو والتلفزيون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥م، ص ٥
(٢) زيدان عبد الباقي، وسائل الاتصال وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، ط ٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

وعن طريق الإذاعة يمكننا أن نروح عن طريق برامج المنوعات الترفيهية
العديدة :

١/ برامج التسلية :

وهذه تتكون من عدة قنوات متنوعة تشمل الألغاز والأحاجي والمسابقات
الذهنية والأدائية، مثل تقليد الأصوات أو إظهار المهارات المختلفة مثل القدرة
على تذكر بعض العبارات أو إجراء عمليات حسابية معقدة دون استخدام
الكتابة أو الحاسب وكذلك الأسئلة والرد عليها، وبرامج التسلية تقوم على
المنافسة وسرعة البديهة وحوار الذهن وما يجده المستمع من لذة وسرور، لا
يرجع لمعرفته الحل فقط بل إلى المرح المحب الذي يظهر به المشتركون وإلى
سعيهم المتصل إلى الإجابة الصحيحة خلال إجاباته وتعليقاته .

٢/ البرامج الفكاهية :

وهي البرامج ذات الطابع الكوميدي Comedy والتي يكون هدفها الأول
الإضحاك، مع توافر الجوانب الانتقادية الهادفة وقد يكون الهدف الوحيد هو
الإضحاك مثل ما هو الحال في المسرحيات الهزلية التي لا هدف لها سوي
الإضحاك^(١).

كما يمكن تقديم الإذاعة الترفيهية (الترويح) من خلال التمثيلية
الفكاهية، وهي التي تهدف بالدرجة الأولى إلى الترفيه، ولكنها طبقاً
للمفهوم الصحيح لفن الكوميديا تمثيلية انتقادية تجعلنا نضحك من أخطائنا
والسليبات القائمة في مجتمعنا وحياتنا من أجل أن نغير ذلك الواقع الذي نسخر
منه، وتعتمد التمثيلية الفكاهية على غرابة الموقف والتضاد بين الشخصيات
والمفارقات الطريفة، والمأزق الذي تقع فيها الشخصيات نتيجة الجهل أو عدم
الخبرة أو الغرور أو السذاجة أو الدهاء والخبث^(٢).

وبهذا يكون الترفيه (الترويح) ضرورة من ضرورات الحياة تقوم بها
الإذاعة وتخدم هدف الترويح، والإنسان ميّزة الله عن غيره بأنه ضاحك لأن
المخلوقات الأخرى لا تضحك ولا تعرف الترويح والأديان السماوية توجه الإنسان
إلى الترويح قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣).

(١) عبد الحميد شكري، الفن الإذاعي، ط١، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) عبد الحميد شكري، الفن الإذاعي، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٣) سورة القصص، الآية ٧٧.

والترويح من خلال الإذاعة في الدولة الإسلامية يكون بعدة مواضع منها الغناء المنضبط بالضوابط الإسلامية والمستدل على جوازها بأدلة المبيحة لها من نصوص الإسلام وقواعده، فيها الكفاية كل الكفاية ولو لم يقل بموجبها قائل ولم يذهب إلى ذلك فقيهه، فكيف وقد قال بموجبها الكثيرون من الصحابة وتابع التابعين والفقهاء .

هناك شروط لا بد منها ولا بد من مراعاتها عند سماع غناء بهدف الترويح:

١- ليس كل غناء مباح فلا بد أن يكون موضوعه متفقاً مع أدب الإسلام

وتعاليمه .

٢- ثم إن طريقة الأداء لها أهميتها فقد يكون الموضوع لا بأس به ولا غبار عليه، ولكن طريقة الغناء أو المغنية في أدائها بالتكسر بالقول وتعمد الإثارة والقصد إلى إيذاء الغرائز الهاجعة وإغراء القلوب المريضة، ينقل الأغنية من دائرة الإباحة إلى دائرة الحرمة أو الشبهة أو الكراهة، من ما يذاع على الناس ويطلبه المستمعون والمستمعات من الأغاني التي تلح على جانب واحد وهو جانب الغرائز الجنسية وما يتصل بها من الحب والغرام وإشغالها بكل أساليب الإثارة والتهييج وخصوصاً لدى الشباب، والقرآن يخاطب نساء النبي ﷺ فيقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(١)، كيف إذا كان مع الخضوع بالقول والوزن والنغم والتطريب والتأثير .

٣- ومن ناحية ثالثة يجب ألا يقترن الغناء بشيء محرم كشراب الخمر أو التبرج أو الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء بلا قيود ولا حدود، وهذا هو المؤلف في مجالس غناء الجوارى والنساء، وهذا يدل عليه الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره: **لليشرين أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**^(٢) .

٤- الغناء ككل المباحات يجب أن يقدم بعدم الإسراف فيه، وبخاصة الغناء العاطفي الذي يتحدث عن الحب والشوق، والإنسان ليس عاطفة فحسب والعاطفة ليست حبا فقط .

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٢ .

(٢) الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، م ٤، مرجع سابق، ص ٩٣ .

٥- وبعد هذا الإيضاح تبقى هناك أشياء يكون كل مستمع فيها فقيه نفسه ومفتيها فإذا كان الغناء نوع خاص منه يثير غريزته بالفته ويسبح به في شطحات الخيال ويطغى فيه الجانب الحيواني على الجانب الروحاني فعليه أن يجتنبه حينئذ ويسد الباب الذي تهب منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخلقه^(١).

إذا التزم الغناء الضوابط المتقدمة جاز لنا أن نروح على أنفسنا من خلال السماع لهذه الإذاعة وتكون وسيلة اتصال جماهيري تؤدي خدمتها لواحد من أهداف الدولة الإسلامية وتقدم برامج غنائية تروحية .

إن من أهداف الإذاعة إشاعة روح الضحك والمرح والفرح وسط جماهير الدولة الإسلامية باعتبار أن الترويح واحداً من أهدافها التي نحاول خدمتها من خلال وسائل الاتصال الجماهيري، وقد تكلمنا عن الإذاعة كنموذج لوسائل الاتصال المسموعة في الدولة الإسلامية، وسوف نتناول التلفزيون كواحد من وسائل الاتصال الجماهيرية، وبما له من مميزات وإمكانيات يستطيع من خلالها أن يقدم العديد من البرامج الترويحية وأن يخدم هدف الدولة الإسلامية بهدف الترويح كما يمكنه أن يدخل السرور والضحك على أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية وذلك كله وفق الرؤية الشرعية والضوابط الإسلامية .

إن البرامج التي تخدم الترويح في التلفزيون الموجه من الدولة الإسلامية منها برامج الدراما، إذ دراما التلفزيون أساس إلى الترفيه (الترويح) والتوجيه الاجتماعي بتقديم الفعل والحوار الذين ينمان عما تطرب به نفوس المشاهدين فهي تروح عن النفس، ويستريح لها قلب المشاهد وعقله أو كلاهما معاً، وتساعدنا على فهم أنفسنا ويرى كثير من علماء النفس أن التمثيل من أهم الوسائل لتحقيق الشفاء النفسي، وقيام الفرد بمشاهدة الأعمال المدرسية أو تمثيل أحد أدوارها يؤديان عادة إلى تقليل التوتر النفسي كما يخفف من حدة الانفعالات المكونة، وذلك عندما يندفع المشاهد في مشاهدة التمثيلية أو يتقمص دوراً معيناً^(٢).

(١) يوسف القرضاوي، الإسلام والفن، مرجع سابق، ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٠.

(٢) محمد معوض، المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ١٨٦.

والدراما التي يمكن عن طريقها أن يقدم عمل تروحي ما هي إلا تمثيلية بأي شكل من أشكاله، وفي أي وسيلة من وسائل الاتصال التي توصله كالدراما التلفزيونية والدراما الإذاعية والدراما السينمائية^(١).

واحد من البرامج التي تسهم في الترويج التمثيلية التي تعد من أهم ما يربط المشاهدين بالشاشة الصغيرة لأنها العماد الرئيسي في التسلية والترويح المنزلية الميسورة، كما أنها مادة محببة للمشاهدين، كما أدرك المسئولين بالتلفزيون فاستعانوا بها لملء عدد ساعات الإرسال التلفزيوني الطويلة وعن طريق هذه التمثيليات يتحقق الترويح ولكن لا بد أن نصطحب معنا في تقديم هذه التمثيليات الترويحية الضوابط الإسلامية^(٢).

والناس حين يشاهدون الأعمال الدرامية من خلال التلفزيون إنما هم يتسلون بمشاهدة أنفسهم ومشكلاتهم وحياتهم وواقعهم الذي غالباً ما تتعرض له تلك التمثيليات التلفزيونية بصورة تتحقق فيها المتعة والإثارة وجذب الانتباه في وقت مملوء بالمرح أو الانفعال المشحون بالرتاء أو الحزن أو الحنق، والتأثير أو الضيق من موقف معين أو الكره لشخص معين، وفي كل هذه الأحوال يحدث للإنسان نوع من التخفيف النفسي من أعباء النفس والحياة^(٣).

إن عملية الترويح من خلال التلفزيون لا بد أن تقدم البديل للبرامج الحالية ولا سيما أن الترويح هدف من أهداف الدولة الإسلامية ولا بد من خدمة هذا الهدف عن طريق التلفزيون كواحد من وسائل الاتصال الجماهيري .
ولكن لا بد من مراعاة ما يلي في تقديم برامج الترويح من خلال التلفزيون في الدولة الإسلامية:

١- عن عملية تقديم برامج ترويحية من خلال التلفزيون في الدولة الإسلامية هي عملية تبديل وتغيير وتأسيس وتحتاج إلى إعلاميين لهم عزم شديد وأن يكونوا قد تحصنوا ضد الأفكار والآراء والنظريات غير الإسلامية الوافدة على المسلمين من الشرق الملحد أو الغرب المتباعد عن الدين .

(١) انظر: يحيى بسيوني، التلفزيون الإسلامي ودورته في التنمية، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص ٢٦٦.

(٢) محمد كامل عبد الصمد، التلفزيون بين الهدم والبناء، ط ٢، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٩٩٢م، ص ١٤٩.

(٣) انظر: يحيى بسيوني، التلفزيون الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

٢- ألا نفضل جهد البشرية الطويل الذي تم في مجالات وميادين الإنتاج التلفزيوني وميدان التأليف وكتابة البرامج الترويحية، فلا بد أن نعي ذلك وأن نكون على مستوى العصر، ولا نحقر نظريات الترويج وأن الحكمة لا بد من أخذها والعمل بها من أي جهة كانت ولا بد في ذلك أن نبطل الباطل من هذه النظريات ونحق الحق منها، ولا بد أن تكون العقلية الإسلامية عقلية مفتوحة على العالم ونظرياته بشرط أن تعرف نفسها وتثق في ذاتها وتثبت على الحق وتدعو له، والبرامج لا بد أن تكون مسلية تبعد الهموم والأحزان وتدعو إلى التبسم والطلاقة والارتياح وهي في نفس الوقت تحمل معاني الخير والحب والجمال وتزرع العفاف وتترفع عن التدني والفحش بالقول أو الحركة أو الفعل وتتسرب من خلالها قواعد التنمية الشاملة وتتطلق من رحابها بطرق غير مباشرة كل عظة بناءة راشدة .

٣- أن يكون البرنامج الترويحي في إطار الإسلام مهما كان البرنامج مضحكاً أو مغرماً في الترويج، لا بد أن يقود الإسلام المؤلف والمعد والكتاب حيث تصبح البرامج الترويحية مصبوغة بالصبغة الإسلامية في الشكل والمضمون^(١).

البرامج التلفزيونية التي تبث بهدف الترويج لا بد لها من منهج تلتزم به ويمكن أن يكون لها إطار عام تتحرك من خلاله حتى تؤدي دورها وتخدم أهداف الدولة الإسلامية في مجال الترويج وهو المطلوب من كل وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية ويمكن أن يسري في هذا الإطار والمنهج في كل وسائل الاتصال الجماهيري .

أولاً: لا بد من الالتزام بحدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
ثانياً: لا بد من الالتزام بفكرة تكوين الإنسان الصالح والتماشى في ذلك مع الرأي الفاضل الذي يمنع الفاحشة ويمحق الباءة ويجلب المصلحة^(٢) .
البرامج الترويحية من خلال التلفزيون في الدولة الإسلامية لا بد أن تحقق أهدافها إلى جانب تحقيق هدف الترويج وتكون هذه البرامج مصبوغة

(١) انظر: يحيى بسيوني، التلفزيون الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

بالصبغة الإسلامية وأن تساهم في أهداف المجتمع الإسلامي ونذكر من هذه الأهداف :

- ١- إحياء المعاني الإلهية في تثبيت عقيدة التوحيد الكامل .
- ٢- تربية الأمة على معاني التقوى لله والإخلاص له .
- ٣- تثبيت القيم الأخلاقية الإسلامية ونشرها .
- ٤- الاعتراز برسالة الإسلام كعقيدة وشريعة وحضارة ونظام حياة شامل .
- ٥- المحافظة على شعائر الإسلام وتقاليده ومظهر أبنائه .
- ٦- الالتزام بالرأي العام الفاضل .
- ٧- إبراز القدوة الحسنة من التاريخ والحاضر ومن آمال المستقبل .
- ٨- مقاومة البدع والخرافات والتهمك من السلوك المنحرف أو المعوج لمحاربة الأفات الخلقية والسخرية من الشاذين أو المقلدين للغرب أو المتشبهين بأعداء الإسلام .

إذا التزمت البرامج الترويحية في التلفزيون الأطر المتقدمة وحققت الأهداف المتقدمة كذلك فلا حرج بل هناك دعوة في أن يقدم القائمون على التلفزيون في الدولة الإسلامية ما يشاعون من البرامج الترويحية كنقل البرامج الرياضية والمباريات العالمية وشتي صور الرياضة البدنية إذ أن الإسلام أباح النشاط الرياضي للترويح عن النفس، وذلك بممارسته وهذا هو الأفضل الذي دعا رسول الله ﷺ إليه ومارسه ودعا له أصحابه ومارسوه، إذ لا مانع في نظر الإسلام من مشاهدة ضروب الرياضة بكل أنواعها طالما أنها تدخل الترويح على أفراد المجتمع المسلم، ولا مانع أن تنقل وسائل الاتصال الجماهيري أنواع الرياضة حتى تخدم هدف الدولة الإسلامية في الترويح .

من خصائص منهج الإسلام في الترويح أن يستقبل الحياة بالبشر والأمل والبشاشة والبهجة، ويكره لأفراده القنوط والعبوس والتشاؤم والحزن، إذ يرى الإسلام أن الاستسلام للكآبة بداية لانهايار شامل في إرادة الإنسان، والترويح يجدد نشاط الفرد المسلم ويجعله يستطيع مواصلة الحياة وقد كان هدي رسول الله ﷺ في الترويح واضح وقد تقدمت الأدلة عليه سابقاً .

الترويج كهدف من أهداف الدولة الإسلامية لابد من خدمته من خلال وسائل الاتصال الجماهيري، ولا سيما وسائل الاتصال المشهورة والمؤثرة كالصحافة والإذاعة والتلفزيون .

وعلى هذا تمثل الصحافة ووسائل الاتصال المقروءة والإذاعة تمثل وسائل الاتصال المسموعة والتلفزيون يمثل وسائل الاتصال المرئية والمسموعة . ولقد تناولنا بالدراسة كيفية خدمة هذه الوسائل لأهداف الدولة الإسلامية في الترويج وقدمنا من خلالها نماذج لما يمكن أن تسهم به هذه الوسائل في مجال الترويج، وقد اصطحبنا معنا طبيعة الرسالة التي لا تسمح بالتفصيل وإنما تقدم بالمبادئ الهامة والأسس والضوابط التي من شأنها أن توضح كيفية إسهام وسائل الاتصال الجماهيري في تحقيق واحد من أهداف الدولة الإسلامية وهو هدف الترويج .

ثالثاً: دور وسائل الاتصال في تحقيق الأمن :

نتعرض هنا لتعريف الأمن وأهميته وأنواعه ومدى إسهام وسائل الاتصال في إشاعته في المجتمع وإشعار المواطن بالطمأنينية والاستقرار كما نحاول أن نوضح مدى مسئولية الفرد في بسط الأمن في بلاده ودعوته إلى تحمل مسئوليته كاملة وبالتالي الإسهام في تحقيق أمن الدولة الإسلامية .

إن للدولة الإسلامية أهدافاً تريد تحقيقها ولا بد لوسائل الاتصال الجماهيري أن تسهم إسهاماً واضحاً في تحقيق هذه الأهداف فالأمن بأنواعه المختلفة يعد من أهم أهداف الدولة الإسلامية، فقد تنوعت النصوص في القرآن والسنة التي تتحدث عن الأمن وأهميته في حياة البشر .

ونورد من هذه النصوص القرآنية بعض الآيات فيما يلي :

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١)، وقال أيضاً: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِن أَمِنَ

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٢) سورة قريش، الآية ٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ»^(١)، وأيضاً: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ»^(٢)، وقال تعالى: «وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»^(٣).

وهكذا نجد أن كثيراً من الآيات في القرآن الكريم تتناول الأمن وأهميته في المجتمع المسلم والدولة الإسلامية .

مفهوم الأمن في اللغة يعني طمأنينة النفس وزوال الخوف ولا يكون الإنسان آمناً حتى يستقر الأمن في قلبه، وأمن البلد واطمئنان أهله فيه .

وأمن فلان على كذا وثق منه واطمان عليه وجعله آميناً عليه، قال تعالى: «قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ»^(٤)، والأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة^(٥)، والأمين الحافظ الحارس أي من يتولى رقابة شيء أو المحافظة عليه، ويقال أمن بكسر الميم أمانة فهو يعني التصديق وضده التكذيب، وقالوا للخليل ما الإيمان؟ قال: الطمأنينة قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا»^(٦).

والأمن اصطلاحاً يعني الاجراءات الأمنية التي تتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشأتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج^(٧)، فعدم الخوف وعدم الحزن هو الأمن والطمأنينة، وقد أكد الإسلام على مسألة الترابط العضوي والتلازم المطرد بين الأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحت وترضي ربنا وربك الله^(٨).

بحيث ان فصل احدهما عن الاخر يؤدي الى اذاقة تلك الامة لباس الخوف والجوع والصنك والهوان^(٩).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٣) سورة النحل، الآية ١١٢.

(٤) سورة يوسف، الآية ٦٤.

(٥) لسان العرب، مادة من، ج ١، ص ١٤٠.

(٦) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٧) على نمري، الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، ط ١، الخرطوم، مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٧ م.

(٨) علاء الدين علي المنقي بن حسام الدين الهندي، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ٧، بيروت، مؤسسة الرسالة،

١٩٨١م، ص ٧٨.

(٩) على بن فانو الجحني، المفهوم الأمين في الإسلام، مجلة الأمن، أمنية محكمة العدد ٢، ذي الحجة، ١٤١٠ هـ، الإدارة العامة

للعلاقات العامة والتوجيه، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، ص ١٥ - ١٦.

والأمن هو إحساس الفرد والجماعة بإشباع دوافعها المعنوية والبشرية والنفسية، وعلى قمة هذه الدوافع دافع الأمن بمظهره المادي والنفسي المتمثلين في اطمئنان المجتمع بتوفير أسبابه المادية كالسكن الدائم والمستقر والرزق الجاري والتوافق مع الغير، والدوافع النفسية المتمثلة في اعتراف المجتمع بالفرد ودوره ومكانته فيه وهو ما يمكن أن يعبر عنه بلفظ السكنينة العامة، حيث تسير حياة المجتمع في هدوء نسبي .

الأمن هو الجهد المنظم الذي يصدر عن الجماعة لإشباع دوافع أفرادها، أو رد العدوان عنهم أو عن كيان الجماعة ككل، وتضطلع به قيادة الجماعة، وهذا الذي يعرف بالأمن الإجرائي وهناك الأمن الجنائي والأمن العام والأمن الداخلي وهو الجهود التي تبذلها الدولة لتثبيت الشعور بالأمن لدى المواطنين بالعمل على منع أو التقليل من فرصة ارتكاب الجريمة وتتبع مرتكبيها وضبطهم وجمع الأدلة وتقديمها للقضاء .

ويمكن أن نقول أن الأمن هو الحالة التي تتوفر حيث لا يقع في البلاد إخلال بالنظام أو في صور جرائم يعاقب عليها أو في صورة نشاط خطر يدعو إلى اتخاذ تدابير الوقاية والأمن حتى يمنع النشاط الخطر من أن يترجم نفسه إلى جريمة من الجرائم .

ولأهمية الأمن في الدولة الإسلامية نجد أن العلامة أبو الحسن الماوردي تعرض لموضوع الأمن في معرض حديثه للوازم حفظ المجتمع والمعتقد حيث قال تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظهر الأعداء بثغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد لإبى أن قال إن إصلاح الإنسانية يقوم على قواعد:

إيمان يكبح شهواتهم . سلطة يرهبونها . أمن عام .

عدل شامل . خصب دائم . أمل فسيح .

والناظر في تدابير الأمن في الإسلام يجد أن الحدود التي شرعها الله والقصاص الذي أوجبه والتعازير التي سنّها إنما تهدف إلى حماية المجتمع ووقايته من المخاطر وجرائم الحدود السبع الحاربة، البغي، الردة، السرقة، شرب الخمر، الزنا، القذف، جرائم القصاص، والديه هي للقتل العمد وشبه

العمد والخطأ، أما جرائم التعازير فمتنوعة ومتفاوتة كلها تهدف إلى حفظ الأمن في الدولة الإسلامية^(١).

لقد تطور مفهوم الأمن في العصر الحديث مما يجعل وسائل الاتصال الجماهيري تسهم فيه إسهاماً واضحاً فهناك الأمن الثقافي الذي يعد أحد جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضاً الأمن الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي يتفرع عنه الأمن الغذائي .

وسوف نتناول بالدراسة كل من الأمن الثقافي والغذائي والعسكري ويمكن لوسائل الاتصال الجماهيري أن تسهم في أنواع هذه الأقسام من الأمن في الدولة الإسلامية .

الأمن الثقافي؛

لعل جانب الأمن الثقافي من أهم جوانب الأمن القومي لأنه يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشخصية القومية ولا شك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود وهذا من مهام وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية^(٢).

إن الأمن الثقافي الإسلامي هو الحافظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والأجنبية المشبوهة وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج، كما يعني الأمن الثقافي حماية المؤسسات والأدوات الثقافية من الانحراف والارتضاع بها عن العجز والقصور وتعزيز التوجهات السلمية وانتقاد التوجيهات الشاذة والمتطرفة وهذا كله يقع على كاهل وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية^(٣).

لذلك لا بد وأن تحقق وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية الأمن الثقافي وذلك بحماية العقل السليم من المؤثرات الأجنبية الضارة وأن تحفظ هذا العقل حتى لا يطال بواسطة موجات خارجية ولا بد من حماية

(١) على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ١٩٨٧، ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) محمود محمد النحري، الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل، الرياض، دار النشر التربوي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٩١م، ص ١٥.

(٣) محمود محمد النحري، الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل، مرجع سابق، ص ١٥.

خبراته الثقافية الأصلية من التشويش والتضليل وكل ذلك من أجل الحفاظ على الشخصية المسلمة في الدولة الإسلامية بسماتها الأصلية وثقافتها العربية الإسلامية التي تكونت على مدى قرون عديدة استندت خلالها على معطيات الحضارة الإسلامية^(١).

الأمن الغذائي:

إلى جانب الأمن الثقافي في الدول الإسلامية هناك مفهوم الأمن الغذائي الذي يقع كذلك على عاتق وسائل الاتصال أن تحميه وتحققه وهو أمر تسعى الدولة الإسلامية إلى تحقيقه وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾^(٢). وفي وقتنا الحاضر تغير مفهوم الأمن التقليدي الذي كان مرتبطاً بالحدود والجيش في العصور والوسطى ليصبح محكوماً بعامل المكان وهو محور الموقع والتاريخ (الزمان) وهو محور الحدث، ومن هنا فإن الأمن ليس حماية الحدود للدولة وضمان سلامة أراضيها فقط إنما يدخل في طبيعة الاستقرار السياسي محكوماً بأبعاد سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية لها تأثيرها على الأمن^(٣).

وهناك الأمن الوطني وهو قدرة الدولة على التنمية في مختلف المجالات في إطار النظام والاستقرار الداخلي بهدف حماية الكيان الذاتي والمنجزات الحضارية للدولة ونمط الحياة الذي اختارته لنفسها بعيداً عن خطر القهر الذي يحاول السعي للنيل من إرادة الدولة والتأثير عليها كي تتخذ موقفاً معيناً أو لفرض أوضاع لا تتفق مع المصالح الوطنية لهذه الدولة، ويمكن تطبيق هذا المفهوم على الأمن في الدولة الإسلامية^(٤).

والأمن في الدولة الإسلامية بكل أنواعه التي ذكرناها هو تأمين كيان الدولة الإسلامية والمجتمع ضد الأخطار التي تهدده داخلياً وخارجياً وتأمين

(١) المرجع نفسه، ص ١٥.

(٢) سورة قريش، الآيات ٣-٤.

(٣) مصطفى الفقي، أمن الوطن وأمن الأمة، ندوة الأهرام في ١٣/١١/١٩٩٠م، القاهرة.

(٤) سيد شوبجي عبد المولى، التغيرات الدولية وانعكاساتها على الأمن العربي، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية، ١٩٩٢م.

مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق هذه الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع^(١).

لقد حرصت الشريعة الإسلامية أن تحفظ للناس المقاصد الضرورية الخمسة وهي حفظ الدين والنفوس والنسل والمال والعقل، أي حفظ حقوق الأفراد وضمان عدم التعدي أو الاعتداء عليها، كل هذا لكي توفر الأمن للإنسان لا سيما في الدولة الإسلامية، قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: [أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا]^(٢).

وقال ﷺ: [أمن أصبح آمناً في سربه معاً في (متمتعاً بالصحة) في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها]^(٣).

لقد ربط الإسلام الاقتصاد بالأمن ربطاً وثيقاً يقوم على الترغيب في توفير حياة كريمة لبني البشر غنيهم وفقيرهم، فالمقتدر آمن على ماله من الاعتداء والمحروم آمن برعاية المجتمع له، فهو شريك في أموال المقتدر بالقدر الذي يكفي حاجته^(٤).

وهكذا نجد أن بين مفهوم الغذاء ومفهوم الأمن تلازماً وشيخاً يتأتى من قيمة الغذاء ذاتها في حياة البشر، فيطرد الأمن لديهم ما توفر الغذاء ويصيبهم دائماً الخوف من نقصه والجزع من انعدامه، ويتجلى تلازم الغذاء والأمن كأوضح ما يكون في الإشارة القرآنية المعجزة على مر العصور: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾^(٥).

ويرتبط الأمن الغذائي ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الأمن المائي، فالماء هو أساس الإنتاج الغذائي، وقد أبانه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٦).

(١) علي هلال، الأمن القومي العربي دراسة في الأصول، مجلة شئون عربية، العدد ٢٥، يناير ١٩٨٤م، ص ١٢.

(٢) نقلًا عن عبد السلام هارون، تهذيب سيرة بن هشام، بيروت، مجمع العربي الإسلامي، بدون تاريخ، ص ٢٩٩.

(٣) الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٨م، ص ٥٩١.

(٤) مأمون السيد إدريس، مفهوم الأمن الشامل في المدينة المنورة، أم درمان، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص ١٨-١٩.

(٥) سورة قريش، الآيات ٣-٤.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

وفي وقتنا الحاضر قد أصبح الأمن المائي بالغ الخطورة مع ما تشير إليه التوقعات من أن المياة ستصبح محوراً للصراعات السياسية والعسكرية بين الدول استناداً إلى تزايد معدلات الاستهلاك البشري من المياة وتسارع الخطط الطموحة بين الدول لامتلاك أكبر قدر من المصادر المائية، كل ذلك في غياب القواعد القانونية الدولية الحاسمة في تسوية قضايا المياة^(١).

إن الأمن بمعناه المتقدم ذكره وأنواعه من أمن ثقافي وأمن غذائي وأمن حدود بالإضافة إلى الأمن الخارجي وكل أنواع الأمن التي تقدم ذكرها يقع على عاتق وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية أن تقوم بدورها في تحقيق أهدافها من خلال تهيئة المناخ المناسب بأن تتوفر كل أنواع الأمن في الدولة الإسلامية وأن تضع وسائل الاتصال لتلك الخطط وتحشد المفكرين ليؤسسوا بدورهم للأمن الذي يحتاج لدعم معنوي والذي يحتاج لدعم مادي أو تجعل المواطن يهتم بأنه عنصر هام في تهيئة المناخ للأمن حتى يستقر ويستمر، وعن طريق وسائل الاتصال يمكن للدولة الإسلامية أن تؤمن الأمن بأنواعه المختلفة الغذائي والقومي والثقافي وأن تحافظ في مجال الثقافة على المكونات الثقافية الأصلية للأمة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والمشبوهة والتي تمثل اللغة ركناً أساسياً من أركانها فقد حث الإسلام والقرآن على التعليم وأشاد بفضل العلوم ورفع من شأن العلماء وجعله نعمة من نعم الله تعالى فيقول سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾^(٢).

تستطيع وسائل الاتصال بأنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية أن تحافظ على الأمن بأنواعه المختلفة فمثلاً في مجال الأمن الثقافي وحماية المجتمع في الدولة الإسلامية من الغزو الفكري الذي يهدد كيان الدولة الفكري وأمنها الثقافي خاصة في عصر الفضائيات الواسعة الانتشار والسهولة تناول بفضل الله ثم التقنية الحديثة^(٣).

(١) على نمري، الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، مرجع سابق، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) سورة العلق، الآيات ١ - ٥ .

(٣) مأمون السيد إدريس، مفهوم الأمن الشامل في المدينة، مرجع سابق.

ولابد أن تخدم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية الأمن بكل أنواعه لأن الأمن غاية من غايات الإسلام الكبرى التي يتحقق من خلالها مفهوم العبادة لله الواحد الأحد ، والأمن نعمة من نعم الله على عباده توجب الشكر لقوله تعالى: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾^(١).

وهو الأمن للجميع ومسئولية كل فرد من أفراد المجتمع وعليه العمل على تحقيق الأمن وشكر الله سبحانه وتعالى على توفره، وضرب الله لنا مثلاً على تبديله نعمة الأمن بالخوف عندما لا يتوفر الإيمان وينعدم الشكر يقول الله تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾^(٢).

ويلاحظ الارتباط بين الأمن والاطمئنان واستبدال ذلك بالجوع والخوف في عجز الآية وهو إشارة واضحة جلية لارتباط الأمن بالغذاء وهو ما يعرف بالإيمان بالأمن الغذائي^(٣).

إن أمن الدولة الإسلامية تتهدده أنماط بحسب تعدد المجالات المرتبطة بالأمن ذاته، إذ يكفي أي منها لإحداث خلل في مسيرة الدولة، لما يترتب على ذلك من تأثير في استقرارها .

ويكون تهديد الأمن بكل أنواعه من الداخل والخارج وعلى وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية أن تتصدى لهذه المهددات وتحفظ أمن الدولة بأن تخلق الوعي لدى جماهير الدولة الإسلامية .

فمثلاً الأمن الثقافي للدولة الإسلامية تهدده أخطار عديدة، ذلك لأن ملة غير المسلمين شديدي العداء للدولة الإسلامية فيما يعرف بالغزو الفكري والثقافي ولا تزال النفسية المعادية للإسلام تحمل نفس السمات والصفات .

وحتى يتحقق الأمن الثقافي في الدولة الإسلامية لابد أن يقوم الاتصال الجماهيري بطرح الأفكار الأساسية في الإسلام مما يكون له عظيم الأثر في

(١) سورة قريش، الآيات ١-٤ .

(٢) سورة النحل، الآية ١١٢ .

(٣) مأمون السيد إدريس، مفهوم الأمن الشامل في المدينة، مرجع سابق، ص ١٩/١٨ .

وحدة الدولة الإسلامية الفكرية التي تؤدي بدورها لوحدة الدولة الإسلامية والدولة المتماسكة ستكون دولة آمنة في كافة المجالات والأوجه المختلفة وتستطيع أن تدفع عن نفسها أسباب الخوف والحزن وأن تعيش في اطمئنان . ولقد حاول أعداء الإسلام وأعداء الدولة الإسلامية تهديد أمنها الثقافى منذ عصورها الأولى ، وذلك بأن تتلقى جماهير الدولة الإسلامية من خارج التصور الإسلامى وهو أمر مضر بالأمن الثقافى .

إن حكاية الثقافة تراث إنسانى لا وطن ولا جنس ولا دين هي حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العملية ، دون أن تتجاوز هذه المنطقة إلى التغيرات الفلسفية (الميتافيزيقية) لنتائج العلوم ولا إلى التغيرات الفلسفية لنفس الإنسان ونشاطه وتاريخه ولا إلى الأدب والتغيرات الشعورية جميعاً ، ولكنها في وراء ذلك إحدى مصادير اليهود العالمية التي يهملها تميمع الحواجز كلها بما في ذلك حواجز العقيدة والتصور لكي ينفذ اليهود إلى جسم العالم الإسلامى بل إلى العالم أجمع وهو مسترخ مخدر لكي يزاول اليهود فيه نشاطهم الشيطانى والربوى ، الذي ينتهى إلى جعل حصيلة كد البشرية كلها تؤول إلى أصحاب المؤسسات المالية والربوية من اليهود .

ولكن الإسلام يعتبر أن هناك في ما وراء العلوم البحتة وتطبيقاتها العملية نوعين من الثقافة ، الثقافة الإسلامى القائمة على قواعد التصور الإسلامى والثقافة الجاهلية القائمة على مناهج ترجع كلها إلى قاعدة واحدة .. قاعدة إقامة الفكر البشرى إلهاً لا يرجع إلى الله في ميزاته ، والثقافة الإسلامى شاملة حقول النشاط الفكرى والواقع الإنسانى^(١) .

ومعروف أن الأمن الثقافى يداهم من قبل أعداء الدولة الإسلامى ولا بد لوسائل الاتصال الجماهيرى في الدولة مواجهة أي تهديد للأمن الثقافى وقد تصدت منذ قديم الزمان لصد الغزو الفكرى وتهديده ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول ، يقول رسول الله ﷺ : **لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تصدقوا بباطل وتكذبوا بحق ، والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني**^(٢) .

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢م، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) علاء الدين على النقي بن حسام الدين الهندى، كثر العمال، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٠٠ .

وهذا دفاع من رسول الله ﷺ عن أمن الدول الإسلامية الثقافى، وقد كان يحمى عقول ذلك الجيل من أن يتهدد أمنه الثقافى ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فى حماية أمن الدولة الإسلامية المعاصرة بواسطة وسائل الاتصال الجماهيرى فى العصر الحديث .

على وسائل الاتصال فى العصر الحديث فى الدولة الإسلامية أن تعيد تشكيل العقل المسلم حتى يساهم فى بناء الدولة الإسلامية ويمكننا أن نضرب مثلاً لمجهودات فى وسائل الاتصال الجماهيرى فى هذا العصر تحاول جادة إعادة تشكيل العقل المسلم وحماية الأمن الثقافى من الغزو الذى يتهدده. لقد دأبت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر على إصدار كتاب الأمة، وجعلت مهمة هذا الكتاب الشهري الحفاظ على الأمن الثقافى فى تقديرى وإعادة تشكيل العقل المسلم وهي مساهمة فى اكتشاف الخلل فى عقل الأمة الإسلامية وهذا الكتاب يمثل وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى التى تسعى لسد ثغرة فى الأمن الثقافى^(١)، وهذه الثغرة فى الأمن الثقافى تقوم عليها سلسلة كتاب الأمة فى مواجهة الغزو الفكرى مستعملة فى ذلك وسيلة من أهم وسائل الاتصال المقروء وهي الكتاب .

والدولة الإسلامية لكي تحافظ على استقلالها الثقافى وبالتالي على أمنها الثقافى فإنه من الأهمية بمكان أن تصبح دولة منتجة لا مجرد دولة مستهلكة تعيش عالية على ما تنتجه الدول الكبرى، ولا بد أن يسمع صوتها دولياً خلال أجهزة الاتصال المختلفة، وبهذا تستطيع أن ترد العدوان عن أمنها الثقافى بل وتشر ثقافتها فى الآفاق عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى التى جعلت من العالم قرية صغيرة .

صد العدوان والغزو الثقافى والفكرى الذى يتهدد أمن الدولة الإسلامية الثقافى ولا يتم إلا بتحصين الجماهير فى الدولة الإسلامية وإصلاح أجهزة الاتصال فيها لتكون فى وضع يمكنها من الوقوف فى مواجهة عمليات الانبهار والجذب الشديد الذى تمارسه قنوات البث الفضائية الأجنبية بكل

(١) محي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامى بين الفوائت والمعطيات العصرية، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٨٨م، ص ١٠.

ما تملك من تقنيات عالية وتكنولوجيا متقدمة إلا أنه على الرغم من ذلك ومع التطور الكبير في تكنولوجيا الأقمار الصناعية فإن الفرصة لا تزال متاحة لإطلاق أقمار البث المباشر التي تخدم الدولة الإسلامية .

والدولة الإسلامية تستطيع أن تستثمر شبكات الأقمار الصناعية والبث المباشر وغير المباشر في مجال تبادل الخبرات وتدرّيس اللغات وتدريب المعلمين وتعليم الكبار ومحو الأمية والتدريب المهني والإرشاد الزراعي والصحي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتبادل البرامج الثقافية والفنية، كما يمكن استخدام إمكانيات هذه الشبكات في تذليل العقبات التي تعترض سبيل الخدمة التعليمية والإعلامية خاصة في المناطق الريفية النائية، ويهدد الأمن الثقافي في الدولة الإسلامية الإذاعات المسيحية الموجهة نحو العالم الإسلامي ولهذه الإذاعات وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيري كالمصحف والكتب والمجلات والتلفزيون دور كبير في مجال الاتصال التصيري الفعال مهددة أمن الدولة الإسلامية الثقافي .

إن الدولة الإسلامية إذا سلمت من مهددات الأمن الثقافي تصبح لها وحدة فكرية وبالتالي تؤدي إلى وحدة عضوية وتكون وسائل الاتصال الجماهيري وقد ساهمت في وحدة الدولة وفي العقيدة والأخلاق والسلوك ووحدة في التشريع والنظام ووحدة في القيم والموازين، وهذه المبادئ تتحقق بفضل الاستخدام الأمثل لوسائل الاتصال الجماهيري إذا ما أحسن القائمون عليها استعمالها واستغلالها⁽¹⁾ وكانوا على دراية واسعة ومعرفة بالثقافة الإسلامية ولهم دراية وخبرة وتدريب .

ومن أهم مجالات الأمن كذلك الأمن الغذائي تستطيع وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تسهم إسهاماً واضحاً في تحقيق هذا النوع من الأمن وتدعمه وتحرسه من المهددات، ذلك لأن الغذاء والأمن بينهما ترابط وتلازم، ومن أكثر مظاهر اضطراب الأمن ذبوعاً في عصرنا الحاضر أن كثيراً من الأفراد والجماعات يموتون جوعاً في حين إن بعضاً من الأفراد والجماعات

(1) موفق الغلابي، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، جدة، دار المنار، ١٩٨٢م، ص ١٩ ص ٢٧ .

يموتون تخمة والرسول ﷺ يقول: لمن أصبح آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فإنما حيزت له الدنيا بحذاقها^(١).

فمجتمع الإيمان أقرب المجتمعات إلى الكفاية في القوت، لذا أمن في الاضطراب الأمني الذي يحدثه الجوع، وما ذاك إلا بوازع القناعة والزهد لأن من ضمن قوت يومه فقد اكتفي، ومن بعد ذا فهو مكلف ضمن المجتمع المسلم بالسعي لترسيخ قيم التكافل، ويرتبط الأمن الغذائي تلازماً بالأمن المائي، فالماء هو أساس الحياة والإنتاج الغذائي، وهذا ما أبانه الحق سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٢).

ويقتضي تأمين حاجة الدولة من المياه أن يتعهد أبنائها مصادر المياه بالرعاية والتنمية، وتكون هذه من أهم وسائل الاتصال الجماهيري التي تصمم برامج الإرشاد التي توضح أهمية المياه وكيفية الحفاظ عليها وكيفية استغلالها في التنمية الاقتصادية وهناك حالتان بالنسبة للدولة والمياه:

الحالة الأولى: تكون الدولة تتمتع بموارد مياة وهنا من مهام وسائل الاتصال الجماهيري أن ترشد إلى توظيف هذه الموارد في التنمية بما يحقق الأمن الغذائي والأمن المائي .

الحالة الثانية: إذا كانت الدولة تعاني نقصاً في الماء وفي مصادره فهنا ما من سبيل أمامها إلا البحث والتتقيب وابتداع السياسات الكفيلة باستيفائها حاجتها من الماء، ومن ناحية الأمن تشير التوقعات من أن المياه ستصبح محوراً للصراعات السياسية والعسكرية بين الدول، استناداً إلى تزايد معدلات الاستهلاك البشري من المياه، وتسارع الخطط الطموحة بين الدول لامتلاك أكبر قدر من المصادر المائية^(٣).

وتستطيع وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح أهمية الماء وعرض المشاكل التي تتجم عن قلة الماء وانعدامه وعدم الإسراف في استعماله وخطورة انعدامه وذلك من خلال التلفزيون والإذاعة والصحف وسائر وسائل

(١) الخافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي النمري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٣) على نميري، الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤.

الاتصال حتى تخلق الوعي لدى المواطن بأهمية الماء، ودعوته إلى أن يحافظ على هذه الثروة التي لا تقوم الحياة إلا بها، وتسطيع وسائل الاتصال أن تطلق النداءات تحذيراً من العواقب التي تنتج من إهدار الماء، ويمكنها من ذلك أن تشرح وتوضح للمواطن في الدولة الإسلامية مهددات الأمن المائي التي يمكن أن نجمل أهمها فيما يلي:

- ١/ طموحات بعض الدول في الاستفادة من مياة الآخرين، كالمطموحات الإسرائيلية في مد مياة النيل إلى صحراء النقب .
- ٢/ وجود بعض منابع الهامة خارج الحدود السياسية للدولة .
- ٣/ غياب القانون الدولي الشامل الذي يغطي مشاكل المياة كافة .
- ٤/ ما يطلبه مجال المياة من استثمارات هائلة غير متوفرة غالباً .
- ٥/ عدم احترام بعض الدول للمصالح المائية لدي الآخرين مثل:
 - أ - إقامة منشآت تستهلك كميات كبيرة من المياة .
 - ب - انتهاك حقوق الملاحة المائية في الأنهار والبحار .
 - ج - التعدي على الثروات المائية في الأنهار والبحار .
 - د - إقامة مشروعات تضر بمصالح دول أخرى .
 - هـ - عدم احترام الاتفاقيات الثنائية أو الجماعية ^(١) .

وهناك وسائل عديدة أمكن عن طريقها تحقيق الأمن الغذائي للدولة الإسلامية منها برامج إرشادية للمواطن حتى لا تقع الدولة الإسلامية تحت الضغوط الخارجية التي تهدد أمنها الغذائي ويمكن لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تدعو المواطن إلى الاعتماد على الإنتاج المحلي في الدولة وتقدم البرامج التي من شأنها أن تعني بالزراعة والري واستصلاح الأراضي، والمحافظة على المياة والتخلص من الطمي، وتوضيح أن الماء مهم في العمران البشري، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)﴾ ^(٢).

(١) على نمري، الأمن والمخاطر نظرة إسلامية، مرجع سابق، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) سورة النحل، الآيات ١٠ - ١١.

ووسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية يمكن أن تقدم للمزارعين والمنتجين في مجال الثروة الزراعية والحيوانية الإرشادات فمثلاً في مجال مكافحة الآفات التي تضر بالزرع في كل أطواره ومعروف أن هناك أقسام في الوزارات خاصة بالإرشاد الزراعي وهو جزء من عمل وزارة الزراعة أن تقوم بالإرشاد والتوعية من خلال وسائل الاتصال وهي الوزارة التي تشرف على تأمين الدول غذائياً مما يدل على أهمية الأمن الغذائي، وكذلك يمكن لوسائل الاتصال الجماهيري أن ترشد المواطن وتحفزه للعمل مستدلة بالقرآن الكريم وأقوال المصطفى ﷺ مع استخدام الفنون في الإخراج في كل وسيلة وما يناسبها من فنون في الإعداد والإخراج خاصة إذا علمنا أن للعمل قيمة هامة من القيم الإسلامية قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١).

وأقوال المصطفى ﷺ كثيرة مثل قوله: لما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده^(٢)، وقد حثنا الإسلام على أن نشجع العامل المنتج حيث قال رسول الله ﷺ: «اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(٣).

كما طالب الإسلام بإتقان العمل في سبيل الحفاظ على الأمن الغذائي قال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(٤). وغيرها من النصوص المثبتة في الكتاب والسنة النبوية والتي تصلح أن تكون مادة وبرامج في وسائل الاتصال الجماهيري والتي من شأنها تشجيع المنتجين حتى يساهموا في تحقيق الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية من المهددات لهذا الأمن مثل الربا الذي حرمه الله وأحل البيع بديلاً له حتى يقلع الناس عن الربا، ويقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية تبصير المواطن بضرر التعامل في الربا، وكيف أنه من مهددات أمن الدولة وخاصة الأمن الغذائي بجانب الأمن

(١) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٢) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٤، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، بدون تاريخ، ص ٣٠٣.

(٣) الحافظ نور الدين بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٣، ج ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، ص ٩٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٩٨.

الاجتماعي، ويمكن لوسائل الاتصال والقائمين على أمرها توضيح أضرار الربا السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية، وكيف أنه من أعظم المنكرات والجرائم وأن الله أعلن الحرب على المرابين في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

وكل هذا بسبب الأضرار التي تترتب على الربا وكيف أنه يهدد الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية^(٢).

وكذلك حارب الإسلام الاحتكار باعتباره ضرب من ضروب تهديد الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية قال ﷺ: **«مَنْ احْتَكَرَ طَعَاماً أَرْبَعِينَ يَوْماً فَقَدْ بَرئَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَرئَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلَ عَرَصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ إِمْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**^(٣).

والاحتكار يؤثر سلباً في الإنتاج وبالتالي يؤثر في الأمن الغذائي وتستطيع الدولة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري محاربة الاحتكار وهي الوسائل الأقوى تأثيراً في شرح المخاطر من جراء الاحتكار الذي هدد الأمن الغذائي.

ومن مهددات الأمن الغذائي الإسراف وهو نقيض القصد والاقتصاد إذ أن القصد أن يساعد في تحقيق الأمن الغذائي قال تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**^(٤) والإسراف ممنوع في الشريعة الإسلامية لأن ضرره مؤكد والقصد مطلب إسلامي يقول تعالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾**^(٥).

في مجال وسائل الاتصال الجماهيري لا بد من محاربة الإسراف والدعوة إلى القصد وذلك من خلال البرامج التي تعد إعداداً خاصاً يستهدف إقلاع الناس عن عادة الإسراف إن وجدت في الدولة الإسلامية، وتوضيح أضرار الإسراف وما يلحقه من ضرر على الأمن الغذائي وحتى يتحقق الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية لا بد من قيام حملات عن طريق وسائل الاتصال تدعو

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

(٢) محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، بدون تاريخ، ص ٣٩٥.

(٣) السيد محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تحف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج ٥، مرجع سابق، ص ٤٧٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

لحماية الإنتاج والاكتفاء الذاتي وترشد المواطن إلى أهمية الاعتماد على ما ينتجه. إن وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لا بد أن تكون الآلية التي تحقق الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية وتحميه^(١).

إن الأمن الاقتصادي متفرعاً عنه واحداً من أكبر مقومات الدولة الإسلامية وواحداً من أكبر أهدافها وهو الأمن الغذائي، وليس أدل على ذلك من أن قريشاً عندما أرادت أن تتال من رسول الله ﷺ شنت عليه حرباً استخدمت فيها سلاح الأمن الغذائي مهددة بذلك وجود الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى في مكة وضاربة عليها حصاراً اقتصادياً بعد الفشل الذريع الذي منيت به قريش حيث الحرب النفسية لم تكبح جماح الدعوي الإسلامية ولم تفلح الاضطهادات في إيقاف تقدمها، ولم تثمر المفاوضات عن شيء بعد كل ذلك أقدم سادة قريش على استخدام أسلوب آخر إذ اجتمعوا في حيف بني كنانة من وادي المحصب (وادي من أودية مكة) واثتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة ولا يخالطوهم ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل ثم تعاهدوا وتواتقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم^(٢).

ويلاحظ أن الاتصال المبكر استخدم في تهديد الأمن الغذائي للدعوة وذلك في كلمة كتبوها في صحيفة ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة واحكم كفار قريش الحرب على أصحاب رسول الله ﷺ مهديين بذلك أمن الدعوة الغذائي حيث جاء في الصحيفة (ولا يدعوا شيئاً من أسباب الرزق يصل إليهم) وبهذا الشرط سد الطريق أمام من يهدي بهم ولا تبقى ذريعة لا يصلح الطعام إلى أصحاب رسول الله ﷺ^(٣).

(١) على نمري، الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، مرجع سابق، ص ٧٤ - ٧٨ بتصرف .

(٢) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص ١٢٥ .

(٣) إبراهيم على محمد أحمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ط ١، الدوحة. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٩٧م، ص ٩٦.

ولكي تأخذ هذه الصحيفة بعداً إعلامياً واسعاً علقوها في الكعبة حتى يعطيها هذا التعليق قدسية ويجعل بنودها تأخذ طابع القداسة التي يجب التقييد والالتزام بها، فالعرب قاطبة تقدر الكعبة وتضع لها مكاناً سامياً من الحرمة والقدسية، لذا عمدت قريش إلى تعليق الصحيفة داخل الكعبة^(١) وهذه دلالة على أن وسائل الاتصال تؤثر سلباً وإيجاباً في الأمن الغذائي الأمر الذي جعل وسائل الاتصال في العصر الحديث تقوم بدورها في حراسة أمن الدولة الإسلامية الغذائي .

لقد خرج المسلمون في ذلك الزمان من محنة الحصار الذي ضربته عليهم قريش وهم أشد تمسكاً بالمبادئ السامية وأعلنوا دعوتهم عن طريق وسائل الاتصال المتوفرة في ذلك الزمان، وكسب الإسلام بعد حادثة الحصار الغذائي أناساً جدداً وتوسعاً هائلاً ذلك لأن الاضطهاد لا يقتل الدعوات بل يزيد جذورها عمقاً وفروعها امتداداً^(٢) .

إن مسئولية وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية كبيرة وعظيمة ومهمة ولذا ينبغي أن تكون بحجم التحدي الذي تتعرض له الدولة الإسلامية في أمنها بكل أنواعه ولا سيما الأمن الغذائي ولا بد أن تخلق المواطن الواعي المزود بالمعرفة والمثقف ثقافة عالية حتى يكون من الذين يستوعبون الأخطار التي تواجه الأمن الغذائي في الدولة الإسلامية وأن تخلق فيه الشعور القومي بقيمة التكافل والتعاون حينما تتعرض الدولة الإسلامية لمهددات الأمن الغذائي .

بالإضافة إلى الأمن السابق وأنواعه هناك أمن حدود الدولة الإسلامية وهو أن حدود الأمن القومي للدولة وتجسدها الحدود السياسية والطبيعية لتلك الدولة وهذه الصيغة أفضل من الصيغة التي تحدد مجال أمن دولة ما بالمدي الذي تصل إليه مدافعها وأسلحتها وهي صيغة سادت في الماضي ثم بادت بقيام عصبة الأمم ثم هيئة الأمم^(٣) .

(١) المرجع نفسه، ص ٩٧ .

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة، ط ٢، الاسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر، ١٩٨٩م، ص ٣٩ .

(٣) على نمري، الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، مرجع سابق، ص ٢ .

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتعريف المواطن بحدود دولته ورسوم الخراط التوضيحية لهذه الدولة، وتجعل برامج تربوية تربي المواطن حتى يدافع عن هذه الحدود ويحفظها وأن يتشبع بالعلم الذي يجعل الدفاع عن حدود أمن الدولة واجباً عليه ولا ينبغي بحال من الأحوال التفريط في الأمن الحدودي بل إذا انتقص شبر من أرض الدولة الإسلامية يعتبر نقصه ثم يحيق بكل سكان الدولة .

تصوغ وسائل الاتصال لذلك الأدلة من القرآن والسنة وتجعل الدفاع عن أمن وحدود الدولة فريضة، وترسم لذلك خطة في كل وسائل الاتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية حتى لا تنتقص الدولة الإسلامية ولا تصاب في أمن حدودها الذي هو جزء من أمنها القومي .

الفصل السادس

الأطر التي تواجه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية

نشأت وسائل اتصال في هذا العصر لا ضابط لها من عقيدة أو شريعة أو أخلاق، وسرت هذه الوسائل في الانفلات من الضوابط تاركه أثراً واضحاً على الجماهير، لذا كان لابد من وجود ضوابط لهذه الوسائل في الدولة الإسلامية ولا بد من أطر توجه وترشد الأداء الاتصالي وهذا ما يعالجه هذا الفصل من خلال ثلاثة أطر: إطار العقيدة وإطار الشريعة وإطار الأخلاق.

أولاً: إطار العقيدة :

نتناول هنا مفهوم وأهمية العقيدة الإسلامية وكيفية ضبط وسائل الاتصال الجماهيري من خلال هذه العقيدة، وأنها يجب أن تكون هي المعيار والإطار لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية، تتعاون في ذلك مع إطار الشريعة والأخلاق حيث يمثل كل منهما مبحثاً قائماً بذاته .

فمفهوم العقيدة ينبغي أن يكون واضحاً أمام القائمين على أمر الاتصال في الدولة الإسلامية، وأن يستصبحوا هذا الفهم أثناء ممارستهم للعمل الإعلامي، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب له عقيدته التي يعتقها أصحابها ويطبقونها عليها نظام حياتهم وهذا أمر ينطبق على الأفراد والجماعات والعقائد منذ بداية الخليقة، وإلى وقتنا الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسماً:

القسم الأول: يمثل العقيدة الصحيحة وهي العقيدة التي جاء بها الرسل الكرام وهي عقيدة واحدة منزلة من العليم الخبير لا يتصور بأي حال من الأحوال أن تختلف من رسول إلى آخر ومن زمان إلى زمان .

القسم الثاني: يشمل العقائد الفاسدة، والتي جاء فسادها من كونها أفكار البشر ومن وضع زعمائهم ومفكريهم، ومهما بلغ علم البشر فإنه سيبقى مقيداً متأثراً بما حوله من عادات وتقاليد وأفكار .

والعقيدة الصحيحة اليوم تمثل الإسلام دون سواه، لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

والأديان الأخرى وإن كان في عقائدها نتماً من الحق فإنها لا تمثل الحق كله لذا تصبح العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء وهو بدون عقيدة ضائع تائه يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني بل تحيره، من أين جاء؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ وما دورنا في هذا الكون؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا؟ وهل هناك عوالم أخرى غير منظورة وراء هذا المشهود؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها. وكيف تكون تلك إن كان الجواب بالإيجاب؟.

لا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية اليوم تجيب إجابة صادقة مقنعة عن تلك التساؤلات، وكل من لم يعرف هذه العقيدة أو لم يعتقها فإن حاله سوف يكون في اضطراب^(١).

ومن هنا تنشأ أهمية العقيدة الإسلامية وضرورتها، وتبني هذه العقيدة في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية.

والعقيد الإسلامية التي تشكل الإطار الضابط لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لها مصدر إذ يعد القرآن الكريم مصدرها الأول وهو منهج الله ودستور الحياة في العقيدة الإسلامية والعبادة وفي الاقتصاد والسياسة وفي التربية والسلوك وفي السلم والحرب، تربية للفرد وبناء للشعب وتمكيناً للأمة لتنهض بمسئوليتها نحو الحق والعدل والسلام.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يارسول الله ما المخرج منها، قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب به الآراء ولا تشعب به العلماء، ولا يملأ الأتقياء، ولا يخلق

(١) عمر سليمان الأشقر، العبادة في الله، ط ١٠، الأردن، دار النفائس، ١٩٨٥م، ص ١٤ - ١٥.

على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم^(١).

والمصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية السنة النبوية وهو ما ثبت عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات تتصل بمعاشه ومعاده وعمله وعلمه وحره وسلمه وعاداته وعباداته وسلوكه وأخلاقه .

والمصدر الثالث هو ما يحفظ التاريخ لنا ويحمل إلينا من سنن الخلفاء الراشدين وأقوال الصحابة وآراء التابعين واجتهادات الأئمة واستنتاجات العلماء وما خلفوا من علم وحكمة^(٢).

العقيدة الإسلامية التي ينبغي أن تضبط الأداء في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية هي العقيدة التي حولت هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم ومن قبائل بدو إلى أمة حضارة، وهيأت لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتحت لها باب السيادة على معظم الدنيا في عشرات من السنين^(٣).

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لا بد أن تنتج البرامج وتخرجها على أساس العقيدة الإسلامية واليقين بوجود الله سبحانه وتعالى وأن تسلك في ذلك مسلك القرآن الكريم، إعلان الإيمان بالله ليس صعباً على العقول ولا بعيداً عن فطرة الإنسان بل إن كتاب الكون المفتوح صفحات واضحة في دلالتها على وجود الله سبحانه وتعالى شاهداً على وحدانيته وكماله، وإنك لتجد هذا المعنى في أكثر سور القرآن الكريم وخاصة السور المكية التي عنيت بتثبيت العقيدة وتأكيد حقائق الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، جزء ٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ٤٨٧.

(٢) كمال محمد عيسى، العقيدة الإسلامية سفينه النجاة، ط ١، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠م، ص ٣٨ - ٤١.

(٣) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط ٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م، ص ٣١٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

هذه الآية تضمنت تعريف العباد بخالقهم العظيم فهو سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض في ستة أيام وهو الذي قدر لهذا الكون أمره ودبر أحواله ، ويكفي أن ينظر العاقل إلى ظواهر الفلك وأن يتأمل تعاقب الليل والنهار في هذه الحركة الدائبة المطردة التي لا تفترو ولا تختل منذ أزمان بعيدة موعلة في القدم ولا يعلم بدايتها إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعلم نهايتها إلا هو فكل هذه الكواكب والنجوم على كثرتها وعظم خلقها وخطر شأنها وكبر حجمها مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ، فهو خالقها ومسخرها ومنظم حركتها لا تستطيع أن تخالف ولا أن تتوقف .

فأي عقل يأبى قبول الإيمان بوجود الله سبحانه وهذه آياته في الأرض وفي السماء ومن ذا الذي ينازع في أمر الكواكب والنجوم أو يدعي أن له شأنًا في حركتها أو نظام سيرها .

ومن هنا يتبني العقل السليم بعد التأمل في هذه الدلائل إلى الإيمان بتلك الحقيقة التي تضمنتها الآية في ختامها: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** .

تستطيع وسائل الاتصال أن تعرض العقيدة الإسلامية وترد أبلغ رد على مزاعم الفلاسفة الذين جادلوا في شأن الألوهية بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير، إذ زعموا أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ثم أهمله وتركه سدى، إذ لا يليق بكماله وعظمته أن يدبر شيئاً من أحوال هذا الكون المتسم بالنقص الصائر إلى الفناء، لكن القرآن الكريم قد نقض مزاعم هؤلاء المفتريين وبين أن الله سبحانه وتعالى لم يترك هذا الكون بعد أن خلقه بل إن من شواهد القدرة الإلهية التي لا يعجزها إنفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر، فكل ظواهر هذا الكون ومقاديره صادرة عن إرادته سبحانه وتدييره لأن الخلق إيجاد من العدم، والأمر هو التدبير والتسخير وبهذا لا يكون لأي من هذه المخلوقات صغيرها وكبيرها وعاقلها وجاهلها إلا أدخل في الخلق والأمر، ولهذا يقطع العقل بعد هذا التأمل والنظر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة وهو المنعم على عباده بالخلق والأمر والتدبير، تبارك الله رب العالمين^(١).

(١) مصطفى عبد الواحد، الإيمان في القرآن، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٧٨م، ص ١٤ - ٦.

إذن الله هو الخالق المدبر لأمر الكون كله، وعلى هذا الأساس لا بد أن تضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بهذا الضابط ولا تتسب لفظ الخالق إلى أحد غير الله وحده الخالق قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١).

لا يشاركه في الخلق غيره، أما ما جاء في القرآن من الأخبار عن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله عليه السلام، أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿أَنْتَى أَخْلَقْ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣) فالمراد بالخلق في الآيتين السابقتين التصوير والتقدير أي صنع تماثيل على هيئة الطير من الطين بإذن الله، فإذا نفخ فيها عيسى كانت طيراً بإذن الله أي بقدرته سبحانه، ولتكون آية نبوة عيسى ومعجزة دالة على صدقه، فلم يكن عيسى ابن مريم في الحقيقة خالقاً لهذا الطير وإنما كان مصوراً لهيئته فقط، أما الخلق بمعنى الإيجاد من العدم ونفخ الحياة في المخلوقات فهو من أمر الله^(٤).

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكون ودبر أمره وهذا جانب مهم ينبغي على وسائل الاتصال عرضه وضبطه بالأطر العقيدية الدالة على هذا التدبير، وقد جاء تدبير الله للكون في كثير من الآيات نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ (٣)﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾^(٦). وفي سورة الرعد قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾^(٧).

(١) سورة الحشر الآية ٢٤

(٢) سورة المائدة الآية ١١٠

(٣) سورة ال عمران الآية ٤٩

(٤) مصطفى عبد الواحد، الإيمان في القرآن، مرجع سابق ص ٢٨

(٥) سورة يونس الآية ٣

(٦) سورة يونس الآية ٣١

(٧) سورة الرعد الآية ٢

وقد كانت دعوة لكل الرسل لهذه العقيدة لا إله إلا الله، وهي عقيدة التوحيد ومعني التوحيد أن يعلم الإنسان أنه لا إله إلا الله وأن يفرده تعالى بالعبادة والاستعانة؛ فلا يشرك معه شيئاً وهذا معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) (١). التي يرددها الإنسان المسلم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة كلما قرأ الفاتحة في الصلاة (٢).

وقد خاطب الله رسوله بهذه الحقيقة ومن ثم أمره أن يعلنها على الملأ وهو المطلوب من وسائل الاتصال أن تعلن هذه الحقيقة آخذة القدوة والأسوة من رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، لا سيما وأن وسائل الاتصال تطورت تطوراً ملحوظاً مما يجعلها قادرة على ترسيخ مفهوم لا إله إلا الله وإعلانها على ملايين البشر بواسطة هذه الوسائل .

قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَعْضُ رِبِّيَّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٦٤) (٣).

هذه العقيدة التي عمادها لا إله إلا الله جاءت أدلتها من القرآن في آيات عديدة .

وقد تناول الإمام الرازي في تفسيره الكبير ثمانية من الأدلة على هذه العقيدة نوردها هنا، قال أعلم أن الله سبحانه وتعالى لما حكم بالفرديانية والوحدانية ذكر ثمانية من الأدلة التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً وعلى توحيدة وبراءته من الأضداد والأنداد ثانياً، وأخذ يعدد هذه الأدلة دليلاً يتلو الدليل وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ

(١) سورة الفاتحة الآية ٥

(٢) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، ص ١٠ - ١١

(٣) سورة الأنعام الآيات ١٦١-١٦٤

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَعْيَزَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴿١﴾

والأدلة الضمانية هي :

- ١- الاستدلال بأحوال السموات.
- ٢- الاستدلال بأحوال الأرض.
- ٣- الاستدلال باختلاف الليل والنهار.
- ٤- الاستدلال بالفلك التي تجري في البحر.
- ٥- الاستدلال بإنزال الماء.
- ٦- الاستدلال بخلق الدواب وبتها في الأرض.
- ٧- الاستدلال بالسحاب المسخر بين السماء والأرض.
- ٨- الاستدلال بتصريف الرياح.

وختم الرازي هذه الأدلة بقوله: أما قوله تعالى (لقوم يعقلون) لأنهم الذين
يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله
وحكمه فيقوموا بشكره وما يلزم من عبادته وطاعته ^(٢).

ومن أهم القضايا التي عني بها القرآن قضية التوحيد وهي قضية العقيدة
الأولى، وكذلك قضية خلق الله للكون وتدييره لأحواله وهي قضية عقيدة
لا بد لوسائل الاتصال وهي نقطة الخلاف الأولى بين دعوة الإسلام وأوهام
الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا
سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ
الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)﴾ ^(٣).

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية توضيح أن القرآن أقام الدليل
الناصح على فساد عقيدة الشرك ونادي البشر جميعا ليعبدوا إلهاً واحداً في

(١) سورة البقرة الآيات ١٦٣ - ١٦٤

(٢) عبد العال سالم مكرم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ، ص ٣١ - ٣٢

(٣) سورة ص الآيات ٤-٦

ذاته وصفاته لا ند له ولا شريك ولا صاحبة ولا ولد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾^(١).

وفي هذا الإطار تقدم وسائل الاتصال الأدلة العقلية والكونية على وحدانية الله سبحانه وتعالى ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢)﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾^(٤).

فقد بينت آية الإسراء أنه لو كان مع الله إله آخر لوقع التنازع والصراع وبنيت آية الأنبياء أنه لو كان هناك آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض، ومن ثم أوضحت آية المؤمنون أن الله سبحانه وتعالى لم يتخذ ولداً وأنه ليس معه إله ولو كان معه آلهة فحينئذ فالأقوى هو الإله والآخرين ليسوا آلهة، وهكذا نرى السور الثلاث قد تكاملت في إيضاح الدليل وتأكيد نفي الشرك عن الله سبحانه وتعالى بحكم العقل إلى جوانب شواهد الكون، ونلاحظ أن آية سورة المؤمنون أقامت الدليل على نفي الشرك عن الله عز وجل قد سبقت بدليل كوني على تلك الحقيقة يعد تمهيداً للحجة العقلية، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ مَنِ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)﴾^(٥).

(١) سورة الإخلاص الآيات ١-٤

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٢

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٤) سورة المؤمنون الآيات ٩١-٩٢

(٥) سورة المؤمنون الآيات ٨٤ - ٩٠

وبعدها تأتي الآية التي تنفي عن الله سبحانه الولد والشريك وتبين ما ينشأ من افتراض وجود الشركاء من فساد ينفيه نظام الكون المحكم ووحدة الخلق في السنن والتكوين، وهذا يبين أن القرآن قد سلك مسلك النظر الكوني وسلك الدليل العقلي في إثبات التوحيد ونفي الشركاء، كما نلاحظ أن هذه الآيات من سورة المؤمنون قد جاءت بأسلوب التشويق الذي نجده في القرآن في المواطن التي تحتاج إلى إيقاظ المشاعر الهامدة وتحريك القلوب الجامدة، وقد أحاطت هذه الآيات بالمعاندین من كل جانب بإثارة هذه الأسئلة المفاجئة التي تستخرج الجواب أسرع ما يكون (لمن الأرض ومن فيها) (من رب السموات السبع)، (من بيده ملكوت كل شيء)، والجواب في كل موضع (الله)، أي ذلك خالص لله سبحانه لا ينازعه فيه أحد، إذن (فأني تسحرون) أي كيف تصرفون عن هذه الحقائق وتتجاهلون دلالة الكون، وهو يناديكم بأوضح منطوق 6، منطوق المشاهدة والعيان وأمام هذا الدليل العقلي الذي أقامة القرآن على نفي الشركاء وإثبات الوجدانية لله سبحانه لم يبق للمشركين المعاندين من حجة، وقد طالبهم القرآن أن يظهروا ما لديهم من برهان على ما ادعوا من دون الله من أنداد فلم يجدوا ما يقولون إلا الزور والبهتان، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ إِنَّتُونِي بَكْتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)﴾^(١).

فهاهم المشركون في صورتهم الحقيقية لا يملكون دليلاً من شواهد الكون على ما يزعمون (أروني ماذا خلقوا من الأرض)، ويكتفي السياق هنا بالأرض، ولا يطالبهم برؤية ما خلقت أصنامهم في السماء، فحسبهم إن استطاعوا أن يدلونا على أثر معبوداتهم الباطلة في الأرض وحدها أو في جزء صغير منها، وأن يدلونا على نصيب معبوداتهم من السماء لكنهم لا يقدرّون على هذا ولا ذاك؛ ثم تطالبهم الآيات بالدليل العقلي إن كان لديهم دليل (ائتوني بكتاب من قبل هذا إن كنتم صادقين)، وأي علم يثبت لهم أن لله

(١) سورة الأحقاف الآية ٤

شركاء فيما خلق ؟ وأي كتاب يقرهم على مسلك الجهالة والجهود ؟. وإذن فليس للشرك من حجة ولا برهان وإنما هي أوهام متسلطة، وقع هؤلاء الأشقياء صرعى بها، فأصبحوا نجساً إذ فارقتهم طهارة القلب وغابت عنهم بديهة العقل وسلامة الوجدان، ولهذا استحقوا أن يوصفوا بهذا الوصف^(١) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾^(٢).

ووسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لا بد أن تتضبط بالمنهج الرباني، وهو المنهج الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ؛ ليلبغه للناس أجمعين؛ وليبينه لهم؛ ولتختم به الرسالات السماوية، وهو عند الله وحدة، وهو إما وحي تنزل على الرسول ﷺ بالمعنى والنص، أو إلهام من عند الله سبحانه وتعالى لرسوله ونبيه بالمعنى، ويصوغ الرسول ﷺ هذا المعنى بأسلوبه النبوي، وبذلك يكون المنهج الرباني هو القرآن الكريم وما صح من حديث الرسول ﷺ، وهذا المنهج على هذه الصفة يتميز على كل ما يمكن أن يصفه البشر من مناهج وصفية بصفات؛ لتبرز علويته وربانيته، وأهم هذه الصفات ما يلي :

١- أنه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ﴿الْمُرْتَلَكُ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١)﴾^(٣)، ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩)﴾^(٤). عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: ثمة أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه^(٥).

(١) مصطفى عبد الواحد، الإيمان في القرآن، مرجع سابق ص ٣٩ - ٤٢

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨

(٣) سورة الرعد الآية ١

(٤) سورة الرعد الآية ١٩

(٥) مالك بن أنس، موطأ مالك، مصر، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٢٩٩

٢- إنه تام كامل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (١).

٣- إنه مفصل بين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) (٢)، ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (٣).

٤- وهو للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) (٤).

٥- وهو هدي ورحمة وبشرى: ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (٥).

٦- وهو شفاء ونور: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) (٦)، ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨) (٧).

٧- لهذه الصفات المتقدمة وغيرها كان معجزاً، فقد تحدى الله سبحانه وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وتحدى الكافرين على أن يأتوا بعشر سور أو يأتوا بسورة: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) (٨).

(١) سورة النحل الآية ٨٩

(٢) سورة سبا الآية ٢٨

(٣) سورة النحل الآية ٨٩

(٤) سورة سبا الآية ٢٨

(٥) سورة النحل الآية ٨٩

(٦) سورة الاسراء الآية ٨٢

(٧) سورة التغابن الآية ٨

(٨) سورة الاسراء الآية ٨٨

٨- وهذا الحق نزل على محمد ﷺ ليبلغه للناس عامة وبيينه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤) (١).

٩- وقد تعهد الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) (٢).

١٠- المنهاج الرباني جاء ميسوراً سهلاً ليناً على القلوب المؤمنة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧) (٣).

على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم مادتها المقروءة والمشاهدة والمسموعة وفقاً لهذا المنهاج الرباني المستوي في من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٤).

وهذا المنهاج الرباني إذا التزمت به وسائل الاتصال فإنه يلبي حاجة العالم فضلاً عن حاجة جماهير الدولة المسلمة، ذلك لأن العالم الآن في حاجة ملء الفراغ في نفوس البشر، ذلك الفراغ الذي أوجدته النزعات المادية كما يسد أيضاً الاحتياجات العاطفية، الذي يدفع إلى الأمراض النفسية المستعصية وغيرها من أمراض الشذوذ التي تؤدي إلى الانتحار بصورة فردية أو جماعية في كل مجتمع من هذه المجتمعات، وتكون الفرصة سانحة أمام وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم المبادئ الإسلامية وعقيدة الإسلام السمحاء التي من شأنها أن تنشر الأمن والاستقرار النفسي الداخلي بين البشر وبين المجتمعات، ولهذا تسعد البشرية كلها في الدنيا والآخرة (٥).

إن حاجة الإنسان إلى الإيمان بوجود الله حاجة أساسية سواء من الناحية العقلية والفطرية أو الناحية العاطفية، الإنسان منذ أن وجد على سطح البسيطة هو يسأل كيف وجد؟ من أين جاء؟ وإلى أين يذهب؟ هذه الأسئلة ذاتية تتبع على لسانه وتتحرك في ذهنة حالماً بدأ يدرك وجوده ويحس بالكائنات حوله، الأمر الذي يجعل الإيمان حياً في النفوس متفاعلاً معها،

(١) سورة النحل الآية ٤٤

(٢) سورة الحجر الآية ٩

(٣) سورة القمر الآية ١٧

(٤) عدنان النحوي، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة الاعتصام، ١٩٧٩م، ص ٢١-٢٤

(٥) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ٦٧

وإذا قارن الإنسان نفسه مع سائر المخلوقات الكونية لأدرك أنه مخلوق صغير بالنسبة للكون ولمظاهر الطبيعة والسنن المستمرة، وهذا يشعره بضعفه فيلجأ إلى الإيمان بالله ليستمد منه القوة في الحياة والعون في التعامل مع السنن الكونية^(١).

إن العقيدة الإسلامية عندما ينضبط بها الأداء في وسائل الاتصال يتعلم الناس أن سكينته النفس لا تكون إلا بالعقيدة الإسلامية وأن هذه السكينة هي ينبوع الأول للسعادة ولكن كيف السبيل إليها إذا كانت شيئاً لا يثمره الذكاء ولا العلم ولا الصحة ولا القوة ولا المال ولا الغني ولا الشهرة ولا الجاه ولا غير ذلك من نعم الحياة المادية .

إن للسكينة مصدراً واحداً ليس هنالك مصدر سواه ألا وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان الصادق العميق، الذي لا يكدره ولا يفسده نفاق وهذا ما يشهد به الواقع الماثل وما أيده التاريخ الحافل وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفي حوله، لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس ضيقاً في الخلق واضطراباً وشعوراً يفقدان الذات والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين .

إن السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها^(٢).

تستطيع وسائل الاتصال أن تعرف المجتمع بوحدانية الله تعالى وتقييم الأدلة على ذلك ليتبصر بها أفراد المجتمع ومن هذه الأدلة ما يلي :

١- إن الإنسان لم يخلق نفسه ولم يخلق أولاده ولم يخلق الأرض التي يدرج فوقه ولا السماء التي يعيش تحتها، والبشر الذي أدعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبراز من العدم لم ينحلها لنفسه إنسان، ولا حيوان ولا جماد، ومن المقطوع به كذلك أن شيئاً لم يحدث من تلقاء نفسه ولم يبق إلا الله وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل: ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ

(١) نادية شريف العربي، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، ص٦٤٧

(٢) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م، ص٦٠-٦١

الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) ﴿١﴾. وبلغت
 أنظار العرب إلى مظاهر الإبداع في المجتمع البسيط الذي يعيشون فيه:
 ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ ﴿٢﴾.
 ويسمى هذا الدليل دليل الإبداع.

٢- لو دخل امرؤ داراً فوجد بها غرفة مهياً للطعام وأخرى للنوم وأخرى
 للنظافة وأخرى للضيافة ... إلخ لجزم بأن هذا الترتيب وهذا الإعداد
 النافع لا بد قد ينشأ عن تقدير وحكمة وأشرف عليه فاعل يعرف ما
 يفعل، والناظر إلى الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف كيف أنها
 محكمة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء
 والنبات والحيوان، والطب وأفاد منها الناس أجمل الفوائد، وما وصل
 إليه علم الإنسان من أسرار العالم حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه
 وجد كيفما اتفق، كلا إن النظام الدقيق في طوايا الذرة مطرد فيما
 بين أفلاك السماء الرحبة من بعاد: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً
 وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
 لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (٦٢)﴾ ﴿٣﴾. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ
 لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
 (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)﴾ ﴿٤﴾. وفي القرآن الكريم آيات شتى تقر هذا
 الدليل ويسمى دليل العناية.

٣- هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة أي هذه الكواكب التي تخرق
 أعماق الجو والتي تلزم مداراً لا تتحرف عنه يميناً ولا يساراً وتلزم شرهة
 واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل، إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا
 تلبث أن تهوى بعد تحليق، أما هذه الكرات الغليظة الحجم الحي منها
 والميت المضيء منها والمعتم فهي معلقة ولا تسقط سائرة لا تقف .. كل في

(١) سورة الطور الآيات ٣٥ - ٣٦

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٩ - ٢٠

(٣) سورة الفرقان الآيات ٦١ - ٦٢

(٤) سورة الجاثية الآيات ١٢ - ١٣

دائرته ولا يعدوها ، وقد يصطدم المشاة على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء فإنها لا تزغ ولا تصطدم قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾^(١).

من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة؟ إنها لا تتركز في علومها إلا على دعائم القدرة الأعلى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٢) (٤١). ويسمى هذا الدليل دليل الحركة .

٤- لا شك أن لوجود كل واحد منا بداية معرفة فنحن قبل ميلادنا أم نكن شيئاً يذكر: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٣) (١). الإنسان وعناصر الكون الذي يعيش فيه كذلك لها بداية معروفة ، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعماراً محدودة مهما طالت فقد كانت قبلها صفراً ، وكان هناك ظن بأن المادة لا تفني اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقديم العالم وما يتبع هذا القول الموهوم من أباطيل إلا أن تفجير الذرة هدم هذا الظن، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن أنه حقيقة ثابتة، فإن المفتاح الذي يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضروري أن يضعه الله في أيدي العلماء، وعدم اعتداء الناس إلى ما يدمر مادة الكون لا يعني أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء، إننا جازمون أن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وإحساسنا يهديننا لذلك وغير معقول أن يتطور العالم إلى وجود ذاتي، إنه إذا وقعت حادثة ولم يدر فاعلها، قيل ان الفاعل مجهول، ولم يقل أحد قط أنه ليس لها

(١) سورة يس الآيات ٣٨ - ٤٠

(٢) سورة فاطر الآية ٤١

(٣) سورة الانسان الآية ١

فاعل، فكيف يراد من العلماء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربيه أننا لم نكن شيئاً فكننا كم كوننا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١) (١).

ويسمى هذا دليل الحدوث (٢).

بمثل هذا العرض للعقيدة الإسلامية والانضباط بها، وتستطيع وسائل الاتصال أن تربط الجمهور في الدولة الإسلامية بخالقه وتصنع منه جمهوراً موحداً صحيح العقيدة وتحرره من عبادة العباد والنظريات إلى عبادة الله وحدة وهي حقيقة هدف لها رجال الاتصال منذ نزول القرآن وفجر الإسلام حينما كانوا يوفدون إلى مقابلة عظماء الفرس والروم، وهم يقومون بمهمة الاتصال فكانوا يسألونهم عن هدفهم الذي أخرجهم من ديارهم، فيقولون الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وأهم ما تحرص عليه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح إن الإسلام جاء لتحرير قلب العبد من تلك العبودية فالقلب هو الركن الأصيل الذي يقود الجسد كله ويسيره ويوجهه، وبصلاح القلب يصلح الإنسان وفي ذلك يقول الرسول ﷺ (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (٣).

والقلب محل الاعتقاد وموضع الإرادة والنية وبصلاح الاعتقاد والعقيدة يصلح القلب وبصلاحه يصلح الإنسان، ولا بد لوسائل الاتصال أن تعرف العبد بربه وصفاته وأسمائه، وأفعاله وتعرفه بملائكة الرحمن وعلى اليوم الآخر وما أعده الله فيه بقصد إطاعته وعصاه، وصلاح القصد بأنه يتوجه المرء نحو خالقه بأعماله كلها فلا يقصد بعمله ملكاً ولا شجراً ولا حجراً، ولا بشراً

(١) سورة الأنعام الآية ٩١

(٢) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ط ٤، دمشق، دار القلم، ١٩٨٣م، ص ٣-١٦

(٣) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٨

وهذا هو الإخلاص في العبادة الذي لا يقبل من أحد دنياه سواء: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) (١)، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) (٢)، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) (٣).

وعلى وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تقدم كل المواد من خلال هذه النظرة نظرة أن الإيمان بالله هدفه تحرير الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله وحده (٤).

وفي إطار تحرير الإنسان من العبودية لغير الله يقع على عاتق وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن توضح للجماهير أولى خصائص الألوهية وهي حق تعبيد الناس وتطويعهم للشرائع والأوامر، حق إقامة النظم والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازن وحمل الناس على اتباعها، وهذا الحق لجميع الأنظمة الأرضية يدعيه بعض الناس في صورة من الصور ويرجع الأمر فيه إلى مجموعة من الناس على وضع من الأوضاع وهذه المجموعة تخضع الآخرين لأنظمتها وأوضاعها ومناهجها وشرائعها وقيمها وموازنها، هي الأرباب الأرضية التي يتخذها الناس في جمع أنظمة الأرض أرباباً من دون الله ويسمحون لها بادعاء خصائص الألوهية والربوبية عن طريق السماح لها بادعاء الحاكمية ومزاولتها ومزاولة ابتداع الأنظمة والأوضاع والمناهج والشرائع والقيم والموازن، كما يسمحون لها برفض ألوهية الله سبحانه وتعالى وربوبيته في الأرض، ذلك عن طريق السماح لها بتتحية شريعة الله عن الهيمنة وحدها على حياة الناس كلها، وهم بذلك يعبدون هذه الآلهة والأرباب من دون الله وإن لم يركعوا لها ويسجدوا ويسلموا لها بأن ترفض ألوهية الله

(١) سورة الزمر الآية ٣

(٢) سورة غافر الآية ٦٥

(٣) سورة الزمر الآية ٣

(٤) عمر سليمان الأشقر، أثر الإيمان في تحرير الإنسان، ط٢، عمان، دار الفنايس، ١٩٩١م، ص١٦-١٧

سبحانه وربوبيته لا يقوم الا حين تقر النفس ربوبيته في السماء وفي الأرض في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، في ضمائر الناس وشعائرتهم وفي حياتهم وواقعهم سواء، بحيث لا تخرج جزئية واحدة من جزئيات الحياة البرشية في الدنيا ولا في الآخرة عن سلطانه إلى سلطان سواه وهذا مدلول قوله ^(١) سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا نُؤْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)﴾ ^(٢).

وبهذا الفهم تكون وسائل الاتصال المنضبطة بالعقيدة الإسلامية قد أدت دورها الحقيقي في ربط العباد بخالقهم ويتم تحريرهم حتى يسلموا القيادة لله سبحانه وتعالى ما تقدم من مقومات العقيدة الإسلامية لا بد أن تصحبها وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية وتضبط بها الأداء في وسائل الاتصال، وسوف تكون ثمرة أداء وسائل الاتصال واضحة في المجتمع ذلك لأن الدولة الإسلامية دولة تقيم بناءها كله السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي وفق العقيدة الإسلامية، ولهذا الانضباط ستكون هناك ثمرات في كافة مجالات الحياة في الدولة الإسلامية، من ثمارها أن العقيدة الإسلامية التي تجعل الإنسان يعيش الأمن النفسي حتى تحقق له السعادة والسكينة ويجعل المؤمن آمناً على رزقه فإن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عنده، وقد خلق الأرض مهاداً وفراشاً وبساطاً وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعل فيها معاش، وعد عبادة بكفالة الأرزاق وعداً كرهه وأكده وأقسم عليه، وعد كريم لا يبخل، قدير لا يعجز، حكيم لا يعبث: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾ ^(٣)، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ ^(٤)، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾ ^(٥).

(١) سيد قطب، مقومات التصوير الإسلامي، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٦م، ص ١٨-١٩

(٢) سورة الزحرف الآية ٨٤

(٣) سورة الكهف الآية ٩٨

(٤) سورة الروم الآية ٦

(٥) سورة هود الآية ٦

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمناً على رزقه، مطمئناً إلى أن الله لن يهلكه جوعاً وهو الذي يطعم الطير في الوكنات والسباع في الفلوات والأسماك في البحار والديدان في الصخور .

وقد كان المؤمن يهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كتفه متمنياً الموت في سبيل الله وفي سبيل عقيدته ومن خلقه ذريته ضعاف وفراخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم في رعاية كريم وهو أبر بهم وأحن عليهم منه .

وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب في سبيل الله: (إني عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً، ولئن ذهب الأكال فقد بقي الرزاق) (١).

والعقيدة الإسلامية سوف تقود إلى التغيير الاجتماعي وإلى الإصلاح إذ أن إصلاح الجماعات والشعوب لا يجئ جزافاً ولا يتحقق عفواً إن الأمم لا تهض من كبوة ولا تقوي من ضعف ولا ترتقي من هبوط إلا بعد تربية أصيلة حقة وإن شئت فقل بعد تغيير نفسي عميق الجذور، يحول الهمود فيها إلى حركة والغفوة إلى صحوة والركود إلى يقظة والفطور إلى عزيمة والعقم إلى إنتاج والموت إلى حياة، تغيير في علم النفس أشبه ما يكون بثورة أو إنقلاب في عالم المادة، يحول الوجهة والأخلاق والميول والعادات تغيير نفسي لا بد أن يصاحب كل حركة أو نهضة وثورة سياسية أو اجتماعية ومن غيرة تكون النهضة أو الثورة حبراً على ورق أو كلاهما أجوف تبدد في الهواء .

وهي سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون قررها القرآن في عبارة وجيزة بليغة: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)﴾ (٢). ولكن هذا التغيير المنضبط بالضوابط والأطر العقيدية أمر ليس بالمهين أو اليسير أنه عبء ثقيل تنوء به الكواهل والإنسان مخلوق مركب معقد، ومن أصعب الصعب تغيير نفسه أو قلبه أو فكرة . إن صنع هذا الإنسان أمر عسير غير يسير ولكن الإيمان وحده هو

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص ١٥١ - ١٥٢

(٢) سورة الرعد الآية ١١

صانع العجائب لذلك كان لابد لوسائل الاتصال أن تضبط بهذا الإيمان والعقيدة الإسلامية في أدائها مهامها في مجال التغيير الإنساني^(١)، وحتى يحصل التحول الأول بالعقيدة الإسلامية التي حولت القبائل البدوية إلى أمة ذات حضارة سادت على كل الحضارات في ذلك الزمان في زمن قصير وذلك كله بفضل أن الذين قدموا العقيدة الإسلامية كان يضبطون دعوتهم وحركتهم بأطر العقيدة الإسلامية .

والدولة الإسلامية في العصر الحاضر أحوج ما تكون إلى أن تضبط وسائل اتصالها بالضوابط العقيدية وفي مقابل العقيدة الإسلامية الصحيحة لابد لوسائل الاتصال أن تبين فشل المذاهب والنظريات المادية وإظهار الحلول المناسبة والملائمة للتخلص من الويلات والمشكلات التي خلقتها تلك المذاهب الداعية للإلحاد والعلمانية والرافضة للأديان السماوية وأنها فشلت في كل مكان في العالم، وسوف يلقي هذا الاتجاه قبولاً لدى الجماهير والشعوب المختلفة والتي تعاني من أفكار تلك النظريات خاصة وأن جمهور وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية ليس هو جمهور المسلمين فقط، وإنما هو البشر جميعاً في كل زمان ومكان، ذلك لأن الإسلام رسالة عامة لا يختص بها شعب دون شعب، وإنما هي رسالة إلى البشر بالإجماع ولإسعاد البشرية جميعاً^(٢). إن القائمين بالاتصال في الدولة الإسلامية يرفضون نشر أو إذاعة المواد التي تزلزل العقيدة الإسلامية أو تستهين بالعبادات والمعاملات الإسلامية أو التقاليد والأخلاق كما يبرز القائم بالاتصال المواد التي من شأنها أن تزكي هذه المعاني^(٣). وتوضح الأهداف التي من أجلها خلق الله الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤).

وللعقيدة المعروضة من خلال وسائل الاتصال ثمار كثيرة وتعد العبودية ثمرة من ثمار العقيدة، إن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها، وبها أرسل الله كل الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿لَقَدْ

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص ٣٠٦ - ٣٠٨

(٢) عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية للإعلام الإسلامي، ط ١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ٨٤ - ٨٥

(٣) محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ط ١، المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٨م، ص ١٠٣

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾^(١).

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢)^(٢). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢)^(٣).

وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩)^(٤). وبذلك وصف ملائكته وأنبياؤه فقال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩)^(٥).

وقد وصف خلقه بالعبودية فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْذِرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢)^(٦).

وقال في وصف رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢٦)^(٧).

ونعت الله رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)^(٨).

قال تعالى في الدعوة: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ (٩)^(٩). والدين حقيقة كل عبادة بل معاني العبادة التوحيد، أود أن أشير في نهاية هذا المبحث الذي خصصته لمناقشة أهمية تقديم العقيدة الإسلامية من خلال وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية إلى أن انضباط وسائل الاتصال لأن الدولة الإسلامية يجب أن ينضبط الأداء فيها بالعقيدة الإسلامية ولا سيما وسائل الاتصال لأهميتها في نقل الأفكار

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢

(٣) سورة النحل الآية ٣٢

(٤) سورة الحجر الآية ٩٩

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٩

(٦) سورة الفرقان الآية ٦٢

(٧) سورة الأنبياء الآية ٢٦

(٨) سورة الإسراء الآية ١

(٩) سورة الجن الآية ٩

الصالحة ومحاربة الأفكار الطالحة وتقف العقيدة على رأس الأفكار الصالحة، والعقيدة الإسلامية هي التي من خلالها تقيس إسلامية الدولة إذ أنها هي المركز الأول والمنطلق الأساسي .

ثانياً: إطار الشريعة :

الشريعة الإسلامية هي المنهج العلمي الذي يطبق في الدولة الإسلامية، وعليه فإن وسائل الاتصال لا بد أن تضبط بالأطر الشرعية وأحكام الفقه الإسلامي .

نتعرض هنا لمعان الشرعية الإسلامية وأهميتها وكيف تؤدي وسائل الاتصال وظائفها في إطار هذه الشريعة في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية والتعليمية والاقتصادية .

وفي البداية يجدر بنا أن نوضح ما هي الشريعة التي نريدها ضابطاً وإطاراً لوسائل الاتصال في الدولة الإسلامية .

الشرع في اللغة العربية مصدر شرع بالتخفيف والتشريع مصدر شرع بالتشديد والشريعة في الأصل اللغوي مورد الماء الذي يقصد للشرب باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة للأبدان، وكذلك الشأن في الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير ففيها حياة نفوسهم وري عقولهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) ﴿١﴾ .

ويقال شرعت الإبل أي وردت شريعة الماء وشرع له في الأمر بمعنى سنه وبين طريقته قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) ﴿٢﴾ .

وسميت الشريعة تشبيهاً بشرعية الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة المعروفة روي وتطهر، والشريعة في الاصطلاح ما شرعه الله لعباده

(١) سورة الجاثية الآية ١٨

(٢) سورة الشورى الآية ١٣

من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وتتنظم الحياة في شعبها المختلفة الذي يشفي علاتها ويحيي نفوسها وترتوي به عقولها ولهذا كانت الغاية من تشريع الله استقامة الإنسان على الجادة لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة .

والشريعة بهذا المعنى خاصة بما جاء من الله تعالى وبلغه الرسل للعباد، والله هو الشارع الأول وأحكامه تسمى شرعاً، فلا يجوز إطلاق هذا على القوانين الوضعية لأنها من صنع البشر، وقد جرى عرف كثير من الكتاب على تسمية القوانين الوضعية بالتشريع الوضعي وتسمية الوحي الإلهي بالتشريع السماوي، والحق أن الشرع أو الشريعة لا يجوز إطلاقها إلا على الطريقة الإلهية دون سواها من طرائق وأنظمة^(١).

الشريعة الإسلامية هي الاصطلاح الشرعي هي الأحكام التي شرعها الله لعبادة سواء كان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أو السنة وهي قول رسول الله ﷺ أو أفعاله أو تقريره^(٢).

ومن هنا يمكن القول بأن الشريعة الإسلامية هي كل ما جاء به محمد ﷺ من عند الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والتقليد والخرافات أو ما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الناس من زيغ الأهواء أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفضى والاستبداد، ومن أجل هذا كله جاءت الشريعة بنظام مدني ينظم علائق الناس بعضهم مع بعض وعلائقهم بالسلطة الحاكمة، ويصون للجميع مصالحهم ويحقق في الأرض عزتهم وسيادتهم^(٣).

وبهذا المعنى تكون الشريعة الإسلامية صمام أمن للمجتمع وهي الطريق الوحيد لعودة المسلمين إلى القوة والعزة، وبدون تطبيق الشريعة الإسلامية فلا أمل في أن يخرج المسلمين من واقعهم المرير والمؤسف والمذل الذي أوصلهم إلى هذا الدرك من الجهل والضعف والتخلف والرشوة والفساد والتمزق، وهذا

(١) مناع القطان، التشريع والفقعة في الإسلام، ط٨، بيروت، مؤسسة الحياة، ١٩٨٧م، ص١٥-١٦

(٢) محمد يوسف موسى، الفقه الإسلامي، ص ٧

(٣) عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصدرها، ط١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٤م، ص ٩

مما جعل أهمية خاصة لضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بالضوابط الشرعية^(١).

والتشريع الذي ينبغي أن نضبط به وسائل الاتصال تشريع شامل، لا يشرع للفرد دون الأسرة ولا للأسرة دون المجتمع ولا للمجتمع منفرداً عن غيره من المجتمعات، إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبدته وصلاته بربه، وهو أمر مشروح ومفسر في فقه العبادات الأمر الذي لا نجد له نظيراً في القوانين الوضعية .

ويشمل التشريع للفرد في سلوكه الخاص والعام وهذا يشمل (الحلال والحرام) أو الحظر والباحة ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقة ورضاعة وميراث وولاية على النفس والمال ونحوها، وهذا يشمل ما يسمي في عصرنا بالأحوال الشخصية، ويشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع، بعبء أو غير عبء من البيوع والإيجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفاية والضمان، وغيرها مما تضمنته في عصرنا القوانين المدنية والتجارية، وشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوبتها المقدره شرعاً كالحقوق والقصاص والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير، وهذا يشمل ما يسمي بالتشريع الجنائي أو الجزائي، وقوانين العقوبات ويشمل التشريع الإسلامي وما يتعلق بواجب الحكومة نحو الحكام وتنظيم الصلة بين الطرفين ما عنيته به السياسة الشرعية والخراج والأحكام السلطانية في الفقه وتضمنه في عصرنا الحاضر للتشريع الدستوري أو الإداري أو المالي ويشمل التشريع الإسلامي ما ينظمه عصرنا القانون الدولي .

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا وبرز التشريع الإسلامي أمراً ونهاياً مما يتيح الفرصة لوسائل الاتصال أن تجد مادة لضبط الأداء الاتصالي في الدولة الإسلامية، وحسبنا أن أطول آية نزلت في كتاب الله تعالى نزلت في تنظيم شأن من الشؤون المدنية، وكتاب الدين يبدو شمول التشريع الإسلامي

(١) محمد الشويعر، تطبيق الشريعة طريق الأمن والعزة، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧م، ص٦

في النفاذ إلى إعمال المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها وما يتأثر بها والنظر إليها نظرة محيطية مبنيه على معرفة النفس الإنسانية، وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها، وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها لا يكون بأي حال من الأحوال معولاً لهدمها .

ومن عرف هذا جيداً استطاع أن يفهم موقف التشريع الإسلامي وروعه من قضايا كثيرة، كالطلاق والربا والحدود والقصاص وغيرها، وقد أثبتت الدراسات فضل الإسلام في هذه النواحي وأنه متفوق على كل تشريع سابق ولاحق، إن عيب البشر الذي هو من لوازم ذاتهم المحدودة أنهم ينظرون إلى الأمور والأشياء من جانب واحد غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى، والحقيقة أنهم لا ذنب لهم في القصور ولا حيلة لأن النظرة المحيطة الشاملة التي تستوعب الشيء من كل جوانبه وتعرف كل احتياجاته وتدرك احتمالاته وتوقعاته لا يقدر عليها إلا رب البشر وخالق الكون^(١) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾^(٢).

من الطرح المتقدم يتضح لنا أن التشريع الإسلامي وهو ما يعبر عنه باسم الشريعة الإسلامية هو تشريع يغطي جميع أنشطة الحياة حيث نجده ينقسم إلى أنظمة كالنظام الاجتماعي والنظام السياسي والنظام التعليمي والثقافي والنظام الاقتصادي تمثل هذه النظم في مجموعها الإسلام وأنظمة المجتمع، ومن هنا تتاح الفرصة واسعة أمام أجهزة ووسائل الاتصال الجماهيري لكي تخدم كافة أهداف وأغراض الدولة الإسلامية منضبطة بهذا التشريع الإسلامي ومقيدة بالشريعة الإسلامية .

ولابد لوسائل الاتصال الجماهيري أن تحقق من خلال أدائها أهداف الشريعة الإسلامية ذلك أن الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيق مجموعة من الأهداف التي تحقق مجتمعاً فاضلاً، غير منفرطة في المثالية التي لا يمكن تحقيقها كما حدث في النظريات الوضعية الزائفة ولكنها تجمع بين السمو

(١) يوسف القرظاوي، الخصائص العامة للإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، بدون تاريخ، ص ١٢١ - ١٢٣

(٢) سورة الملك الآية ١٤

الروحي والإشباع الإنساني في غير ما تطرف، ونوجز فيما يلي أهم أهداف الشريعة الإسلامية التي ينبغي أن تتضبط بها وسائل الإتصال الجماهيري في الدولة الإسلامية:

أولاً: تهذيب الإنسان بالعبادات لفضلها في شفاء النفوس والتخلص من وسوسة الشيطان يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠).^(١)
وقد جعل الله تعالى بقية العبادات من صوم وذكاه وحج تطهيراً للنفس والمال وتقرباً إلى الله لنيل رضاه سبحانه .

ثانياً: إقامة العدل في الجماعة إذ ينشد الإسلام تحقيق المجتمع الصالح الذي تسوده علاقات التعاون والتكامل والحب، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر الجميع بالعدل واختفي من بينهم الشعور بالظلم أو الاستغلال يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠).^(٢)، ويقول أيضاً: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩).^(٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)^(٤).

ثالثاً: المصلحة: جميع أحكام الشريعة الإسلامية تستهدف تحقيق المصلحة وقد حددها الفقهاء وأطلقوا عليها مقاصد الشريعة (أ) حفظ الدين (ب) حفظ العقل (ج) حفظ العرض (د) حفظ النفس (هـ) حفظ المال .
جميع الشرائع السماوية لم تختلف على هذه الأهداف الخمسة وقد رتبت الشريعة الإسلامية هذه المقاصد الخمسة حسب الأهمية .

وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية لا بد أن تحقق هذه الأهداف وتضبط بما يحققها فلا تعرض أو تنشر مثلاً ما يتعرض مع حفظ الدين كهدف هام

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

(٣) سورة الحجرات الآية ٩

(٤) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ١٤٥٨

من أهداف الشريعة الإسلامية بل تعمل على نشر الدين وتعميق منهجه وسط المسلمين وتدعو غير المسلمين للدخول فيه، وتبتعد عن كل ما يقلل من العقل أو يؤدي إلى فقدانه لأن العقل هو مناط التكليف في الإسلام، وهكذا سائر مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة لابد أن تعمل وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية على تحقيق هذه المصالح التي عن طريقها يصلح المجتمع^(١).

لقد جاءت الشريعة الإسلامية في مجال المجتمع بنظام اجتماعي متوازن يؤثر التكافل بين الفرد والجماعة ولا يحابي الفرد على حساب الجماعة ولا الجماعة على حساب الفرد، وهو نظام وسط قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾^(٢).

والأمة الوسط تحرص على إطلاق جميع الطاقات الفردية والعامية من غير إفراط ولا تفريط لإيجاد التوازن في المجتمع نتيجة لتوزيع التبعات على الجميع بالقسط المستقيم مصداقاً لقوله ﷺ: (كلكم رع وكلكم مسئول عن رعيته)^(٣).

وليس في نظام الإسلام الاجتماعي غلو ولا تقصير، فلا يتشدد في دين الله حتى يحطم نشاطه الفردي وميوله ونوازعه، فتحرم الجماعة من أن تنتفع بطاقته الصالحة، والمصر يتجاهل المجتمع مثلما يحطم نفسه أيضاً، ودين الله هو دين الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾^(٤). لا هو غلو الاجتماعيين ولا تقصير الفرديين بل تكافل بين الفرد والجماعة يوجب كل منهما تبعات ويلقي عليه مسؤوليات^(٥).

(١) نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهاج الإسلامي في دراسة المجتمع، ط ٢، دار الشروق، ١٩٨٥م، ص ١٦-١٨

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٣) محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، ط ٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٠٤

(٤) سورة الروم الآية ٣٠

(٥) صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م، ص ٤٣٥

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح أن الإسلام في نظامه الاجتماعي قد قرر العدل والمساواة والتعاون والتواصي بالصبر وقرر في ذلك كله مسئولية الجماعة عن الفرد ومسئولية الفرد عن الجماعة، وقد كان له في ذلك الجانب كثير من العناية والاهتمام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) ﴿١﴾. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) ﴿٢﴾، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) ﴿٣﴾، ﴿مَنْ قَبِلْ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤) ﴿٤﴾.

وهذه المعاني إذا تمت إشاعتها في وسط المجتمع سوف يكون الناتج مجتمعاً متماسكاً وتكون وسائل الاتصال قد أدت دورها الاجتماعي^(٥). ومن القضايا الاجتماعية التي ينبغي أن تأخذ حظاً وافراً في وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية قضية المرأة وأن توضح وسائل الاتصال كيف أن الإسلام رفع من شأن المرأة وأزال عنها المظالم التي لحقت بها في المجتمعات الجاهلية الأولى، فوضع نظاماً عاماً شاملاً يحمي المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع ونورد هنا ما قام به الإسلام تجاه المرأة.

أولاً: قرر الإسلام أن المرأة إنسان وهي شقيقة الرجل ووجودها يساعد على بقاء الفرع الإنساني وتربية الأجيال الصالحة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله ما كنا نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل لهن ما قسم)^(٦). وقد قرر القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) ﴿٧﴾.

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

(٣) سورة ال عمران الآية ٢

(٤) سورة ال عمران الآية ٤

(٥) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص ٨٩

(٦) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، ج ٢، ص ١١٠٨

(٧) سورة الحجرات الآية ١٣

ثانياً: قرر الإسلام أن على النساء ما على الرجال من الواجبات والفرائض لا فرق بين الذكر والأنثى إلا ما كان من بعض الأحكام الخاصة بها في أيام حيضها أو نفاسها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٣٥) (١).

ثالثاً: قرر الإسلام أن مسئولية المرأة مستقلة عن مسئولية الرجل فلا ينفع صلاح الرجل زوجته إذا فسدت، ولا ينفع صلاح المرأة زوجها إذا فسد، فكل واحد منهما مسئوليته الخاصة عن عمله قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً تُوْحٍ وِامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١) (٢).

ومن أجل هذا سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الجزاء والثواب على الأعمال في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) (٣).

رابعاً: إشراك الإسلام المرأة في النشاط الاجتماعي لبناء المجتمع وإقامة الحياة وذلك فيما يناسبها من أعمال بعيدة عن الاختلاط والتبرج .
خامساً: أباح الإسلام للمرأة المسلمة أن تجير الأعداء، فهذا أم هانئ تجير يوم فتح مكة رجلين من أحمائها وتخبر رسول الله ﷺ صنيعها .
سادساً: قرر الإسلام للمرأة حق التعليم وقد ثبت أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية كان رسول الله ﷺ يأتيها يقبل عندها وطلب منها

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٥

(٢) سورة التحريم الآيات ١٠-١١

(٣) سورة النحل الآية ٩٧

أن تعلم حفصة بنت عمر أم المؤمنين رقية النمل كما علمتها الكتابة والنمل جروح تخرج من الجنب .

سابعاً: منح الإسلام المرأة حق التملك بخلاف ما كانت عليه في الجاهلية وفي غيرها من الأمم السابقة وجعل لها حق التصرف المستقل في الأشياء التي تملكها وجعل لها حق الولاية على مالها وإبرام العقود متى بلغت سن الرشد .

ثامناً : جعل الإسلام للمرأة حق الميراث قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢) (١).

وجعل صداقها حقاً ليس لأحد أن يشاركها أو يأخذه منها كما كانت العادة في المجتمعات السابقة، قال تعالى: ﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (٤) (٢) فلا يحق لأحد من أوليائها أن يأخذ منه شيئاً ولا يهبه لزوجها (٣).

على وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز أن الإسلام دين اجتماعي وهو يسعى لإنشاء المجتمع الصالح سعيه لتكوين الفرد الصالح، بل يرى أن صلاح المجتمع لازم لإصلاح الفرد، ولا يتصور الإسلام الفرد المسلم منعزلاً في خلوى أو راهباً في صومعة، بل يتصوره دائماً في جماعة حتى في عبادته لربه فقد دعا إلى أداء الصلاة في صورة جماعية، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام، وتأكدت أهميتها ولو تخلف مسلم عن الجماعة وصلّى وحده، فإن روح الجماعة تظل متمثلة في ضميره، جارية على لسانه حين يناجي ربه قارئاً:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) (٤).

والزكاة والحج كذلك عبادتان اجتماعيتان والقرآن يخاطب المكلفين بصيغة الجماعة (يا أيها الذين آمنوا) ليشعرهم بأنهم متضامنين في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي وأداء التكليف في جماعة .

(١) سورة النساء الآية ٢

(٢) سورة النساء الآية ٤

(٣) محمد الأمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ط١، الأردن، مكتب الدارن، ١٩٨٣م، ص ٢٧٨ - ٢٨٢

(٤) سورة الفاتحة الآية ٥-٦

والشريعة الإسلامية التي نود لها أن تكون الإطار الذي يضبط وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية نجدها بجانب النظام الاجتماعي تطور ما يسمى بنظام الإسلام السياسي، ووسائل الاتصال في تقديمها للجوانب السياسية لا بد أن تضع نصب عينها ما يمكن أن تقدم من نواحي سياسية منضبطة بالشريعة الإسلامية، ومعروف أن الشريعة الإسلامية تشمل النظام السياسي في الإسلام وهي سياسة توجه المسلمين في شؤون الحكم. والإسلام سياسة وتدبير لشؤون المجتمع الإسلامي، وهو تحديد للأصول العامة التي يجب أن يكون منهاج الأمة الإسلامية قائماً عليها في مجالات العلاقات والروابط التي تشد المؤمنين بعضهم إلى بعض والتي تقيهم سوء أنفسهم واعتداء غيرهم عليهم.

على وسائل الاتصال أن تخدم مفهوم الشرع في نظام الإسلام السياسي وتوضح أن الحكم في نظر الإسلام أمانة في أعناق الحكام من رئيس الدولة إلى حامل أدنى رتبة بين العاملين في أجهزة الدولة المختلفة، وكل واحد من هؤلاء مسئول بمقدار حظه من السلطة والنفوذ، وللأمانة في الإسلام مفهوم خاص فوق ما يتصوره الناس ففي التنزيل المجيد ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١).

إن أمانة الحكم أثقل الأمانات كلها لأنها تتعلق بحقوق العباد، ولهذا كان أكبر واجب ملقى على عاتق رئيس الدولة تطبيق أحكام الدين ورعاية مصالح الأمة، وفي أمر إلهي يطالعنا هذا النص القرآني أمراً كل حامل أمانة أنى كان موقعه في الحياة حاكماً كان أو محكوماً، رئيساً أو مرئوساً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٢).

وتكشف السنة المطهرة عما في نصوصها من تنبيه المسلمين إلى عظيم أمانة الحكم ومسئولية من يقوم عليها حتى يكونوا على بينة من الأمر فقد

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

روي عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأتت الذي هو خيراً) ^(١) وفي حديث آخر رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فاضرب يده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها) ^(٢).

قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، ولا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً لها ولم يعدل فيها يخزيه فيها الله ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله ^(٣).

تقوم وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية بتوضيح رسالة الدولة الإسلامية وهي تتمثل في أن الدولة كل ما تتمتع به من حقوق وسلطة، لم تكن إلا لتحقيق غاية وأداء رسالة وليس لها في ذلك بين دول الأرض من نظير ولكي تكون على بينة من مجمل تلك الرسالة يتعين أن نقف عند بعض النصوص: قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ ^(٤).

وفي السنة المطهرة نقراً صدر الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، وقد جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ^(٥) عهد من محمد النبي رسول الله إلى عمرو بن حزام حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوي الله في أمره كله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ^(٦) (١٢٨).

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بيروت، دار إحياء التراث، ج ٣، ص ١٢٧٣

(٢) المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٤٥٧

(٣) سعدي أبو حبيب، دراسة في منهج الإسلام السياسي، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص ١٠٥-١٠٩

(٤) سورة الحج الآية ٤١

(٥) سورة المائدة الآية ١

(٦) سورة النحل الآية ١٢٨

وأمره أن يأخذ بالحق أو يبشر بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس أمر دينهم ويفقههم فيه، ويقرئهم القرآن ويعلمهم ألا يمسهوا إلا وهم على طهارة ويخبرهم بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق ويشدد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم وينهي عنه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) (١)، ويبشر الناس بالجنة وما فيها وكيفية العمل لها وحذرهم من النار وما يقرب إليها .

من هذا المعين النبوي نهل الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وعلموا أن لدولة الإسلام رسالة واضحة المعالم لا بد من القيام بها فكان لهم ما أرادوا.

مما تقدم يظهر لنا أن الدولة الإسلامية لم تكن إلا دولة رسالة ذات أهداف (٢) فما دامت الدولة الإسلامية تقوم على أصول ونظم هي جزء من منهج الإسلام السياسي، فعلي وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية أن تبرز هذه الأصول .

وقد أوجزها صاحب كتاب أصول الفكر السياسي فيما يلي:

قضية الحلال والحرام التي تشغل المسلم عند اقدامه على معاملة من المعاملات ويبدو اخيرا في عنصر الرقابة الذي يحسه امسلم من عالم الغيب .

ان ارتباط نظام الاقتصاد في الاسلام بعقيدة الاسلام وبشريعته هو الذي يجعل النشاط الاقتصادي في الاسلام على خلاف النشاط الاقتصادي في النظم الوضعية له طابعا تعبديا ساميا والرقابة عليه تكون رقابة ذاتية.

ويتضح لنا ان النشاط الاقتصادي في الاسلام له طابع تعبدى وهناك ادلة كثيرة اذ ان كل عمل يقوم به المسلم يتحول الى عبادة يثاب عليها المسلم اذ قصد بعمله هذا وجه الله سبحانه وتعالى وابتغى مرضاته وانصرفت نيته الى ذلك. ونظام الاقتصاد في الاسلام له هدف سام فاذا كان يسعى الى النفع المادي فهو لا يسعى اليه وحدة ولا يستهدفه كفاية في حد ذاته وانما يعتبره

(١) سورة هود الآية ١٨

(٢) سعدي أبو حبيب، دراسة في منهج الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ١٢٤ - ١٢٧

وسيلة لغاية اكبر وهدف اكبر واسمي هو اعمار الارض وتهيتها للعيش الانساني امتثالا لامر الله ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) (١)، وتحقيقا لخلافته في ارضه ايماننا بان الانسان سوف يقف بين يدي خالقه يسال عن هذه الخلافة واما قدم لها والرقابة في النظام الاسلامي رقابة ذاتية فانه يوجد جوار ربه وجوار الرقابة الشرعية التي تمارسها السلطة العامة رقابة اشد واكثر فاعلية هي رقابة الضمير القائمة على الايمان بالله والحساب في اليوم الاخر، هذا الضمير نتاج التربية الاسلامية والمنهاج الاسلامي، ورقابة الله هي اكبر ضمان لسلامة السلوك الاجتماعي وعدم انحراف النشاط الاقتصادي .

ثانياً : نظام الاقتصاد في الاسلام يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة: الاسلام يعترف بكل مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة طالما لم يكن ثمة تعارض بينهما او كان التوفيق بينهما ممكنا اذ ان الاسلام في مجال الملكية يعترف بالملكية ويعترف كذلك في نفس الوق بالملكية الجماعية فلا يلغي اي منهما في سبيل الاخرى .

وفي مجال الحرية ، فانه يعترف للفرد بحريته ولكنه لا يغالي في ذلك الى حد اطلاقها بغير قيود مما يضر الجماعة ، والنظام الاقتصادي في الاسلام قديم قدم دعوة الاسلام وقد بدأت قواعده ترسخ مع بدء نزول القرآن في مكة المكرمة قبل ان يعرف العالم شيئاً اسمة علم الاقتصاد هذا العلم الذي لم يظهر في الغرب بنظرياته الا منذ قرنين من الزمان (٢).

ففي مكة نزلت سورة المطففين ومطلعها: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ﴾ (٣٩) (٣) فالربا يضعف الاموال ولا يزيدها الا زيادة غير حقيقية والزكاة تزيد الاموال زيادة ظاهرة وحقيقية وعندما هاجر رسول الله ﷺ توالى التشريع الاسلامي للمجتمع الجديد ينظم كل شيء في حياة المسلم

(١) سورة البقرة الاية ١٦٨

(٢) احمد العسال النظام الاقتصادي في الاسلام ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٩٢) ص ١٨ - ٣١

(٣) سورة الروم: الآية ٣٩ .

الاجتماعية والاقتصادية والتربوية^(١). تستطيع وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية من خلال فهم اهداف نظام الاقتصاد في الاسلام وفهم خصائصه ان تقدم برامج عن طريق كل الوسائل منضبطة بهذه الاهداف والخصائص .
وإذا انضبطت وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية في اداءها وفقا لهذه النظم الاجتماعية والسياسية والتربوية التعليمية والاقتصادية يكون تم ضبطها بالاطر الشرعية اذ ان الشريعة الاسلامية هي مجموعة هذه النظم .
قدم الباحث في هذا المبحث اشارات هامة في مجال النظم الاسلامية يمكن ان تستهدي بها وسائل الاتصال في اداؤها بانواعها المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية ، واذا ضبطت هذه الوسئل تؤدي دورها وفقا لاطر الشريعة بهذا تكون وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية تختلف اختلافا واضحا عن وسائل الاتصال في غير الولة الاسلامية ، ومتميزة بسبب الضبط بهذه الاطر الشريعة بالاضافة الى الاطر العقيدية التي تم نقاشها في المبحث الاول من هذا الفصل والاطر الاخلاقية يتم نقاشها في المبحث الثالث ، ولهذا تكون الاطر التي تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ثلاثة .

ثالثاً: إطار الأخلاق :

تعد الاخلاق الناتج والمردود الحقيقي للعقيدة والشريعة وهي التي تميز السلوك الانساني ومن هنا تبرز اهميتها في ضبط مسار وسائل الاتصال لذا يتناول الباحث في هذا المبحث اهمية الاخلاق وكيفية استخدامها كمعيار لضبط حركة وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ، وما يعود على المجتمع من مصلحة من خلال ذلك .

من اهم الضوابط التي ينبغي ان تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية اطار الاخلاق في هذا المبحث يوضح الباحث ما هي الاخلاق على ضوء الاسلام وما هي النصوص التي وردت فيها واهمية الاخلاق في توجية المجتمع وصياغته وضبطه . في اللغة العربية الخلق هو السجية والطبع ويقول الامام الغزالي ان الخلق هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة نها تصدر

(١) عبد السميع المصري ، معركة الاقتصادي الاسلامي ، الطبعة الاولى (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٩٢ م) ص ٩ - ١٠

الافعال في سهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث الصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر عنها الافعال لاقبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا .

ويقول ابن الاثير الخلق لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها ولها اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب مما يتعلقان باوصاف الصور الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصور الظاهرة وهناك اختلاف بين الخلق والتخلق فالاخلاق سجايا وطبائع ولكن التخلق تكلف الانسان يحاول ان يظهر من اخلاقه خلاف ما يبطن ومن السلف ما يعد الدين هو الاخلاق الكريمة ويعد الاخلاق الاخلاق الكريمة هي الدين ولذلك تعرض ابن عباس لتفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) (١) فقال ان المعني لعلي دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضي عندي منه وهو دين الاسلام ، ولذلك يقول ابن القيم الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وقد اقبل رجل على رسول الله ﷺ فصار بين يديه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فاجاب رسول الله ﷺ : الخلق ، فاتاه الرجل من قبل يمينه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فاجابة الرسول ﷺ ثانية حسن الخلق ثم اتاه الرجل من قبل شماله وساله يا رسول الله ما الدين ؟ فاجابة الرسول مرة ثالثة حسن الخلق ثم جاءه الرجل من ورائه وساله يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه رسول الله ﷺ وقال له اما تفقه ؟ هو الا تقضب (٢) وهذا يتفق وما يراه علماء الاخلاق من ان الاخلاق ترجع الى قيم ثلاثة هي الجمال ولخير والحق ، وانه هو الدين القوام على هذه القيم والداعي لها والحارس لها (٣).

والاخلاق التي ينبغي ان تضبط الاداء في وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الانسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق

(١) سورة القلم الاية ٣

(٢) نقلا عن احمد الشرباصي ، موسوعة اخلاق القران ، مجلد ١ (بيروت : دار الرائد العربي / ١٩٨٧م) ص ي

(٣) انجوع نفسه ، ص ي

الغاية من وجوده في العالم على اكمل وجه. والاخلاق نظام من العمل من اجل الحياة الخيرة وطريقة التعامل الانساني مع الغير ايا كان هذا الغير ما دام كائنا حيا من حيث ما ينبغي ان يكون عليه هذا السلوك كسلوك انساني خير تجاه الاخرين وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئوليته فيه التي يجب ان ينهض بها وبناء على ما وضع له خالقه من اهداف في هذه الحياة^(١).

كما تعني الأخلاق القوى والسجايا النفسية الراسخة التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي من خلال إرادة حرة وهي تمثل الصورة الباطنة للإنسان كما أن الخلق يمثل الصورة الظاهرة وكلاهما يكون حسناً أو قبيحاً والأصل في الخلق أن يكون اختيارياً يكتسب بالجهد والمثابرة على التزام التسامي وذلك يمدح به الإنسان أو يذم ويثاب عليه أو يعاقب عليه بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة محددة لا دخل فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاتها مدح ولا ذم يترتب عليها ثواب ولا عقاب .

على أننا ننبه أن الله تعالى قد فطر الإنسان من حيث هو على الخير وركز في فطرته اصول الاخلاق والفضائل السامية وركب فيه حب موافقتها وبغض اليه مخالفتها الا من انتكست فطرته تحت وطأة البيئة وضلال التربية واغواء الشيطان والاختيار الخلقي حينئذ يكون اتجاه الانسان من اصول فطرته ومقاومة عوامل التدني والتضليل المذكورة والى ذلك يسير قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾^(٢).

والإلهام القاء الشيء في نفس والمعنى افهم النفس امرين وعرفها حالهما وما يؤدي اليه كل منهما ومكناها من إختبار ايهما شاءت فيفوز من تطهر من الدنيا ويخيب من طمس فطرته، ومعنى دسها اخفاها بالفجور والمعاضي، والآيات الكريمة تجمع بين ما قلنا من الالهام للانسان بمقتضي فطرته والجهد الاختياري له في التزكية او التدسية وواضح ان الله تعالى يدعو الى طريق الخير الذي وصفه بالتقوي وفلاح صاحبه، ويكره الطريق الاخر بما وصفه بالفجور، وخيبة صاحبه، ولو شاء منعه قهرا ولكنه حكيمته اقتضت

(١) عباس محجوب، اصول الفكر التربوي في الاسلام، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٧ م ص ٤٥

(٢) سورة الشمس الايات ٧ - ١٠

الاختيار ، ولان امر الترقى بالاخلاق امر هام كان لابد لوسائل الاتصال ان تعمل في الاطار الذي يؤدي الى اشاعة الاخلاق الفاضلة في الدولة الاسلامية ذلك لان الاخلاق تمثل جانبا خطيرا في الحياة الانسانية ، وهي احدي الخصائص الكبرى التي تميز الانسان وتجعل له معنى اكبر من حدوده الحيوانية وقد كانت صياغة الاخلاق في المنهاج الالهي صياغة وفق لاعتقاده وبناء على اساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة وغاية الجنس الانساني وماله ، ومهمة وجوده من حيث هو خليفة الله في الارض يقيم فيها شريعة الله ومنهاجه ، وبين القران الكريم مهمة الاخلاق الخطيرة مع الانسان منذ النشأة الاولى حيث ذكر توبه ابينا ادم والانكسار بين يدي مولاه فقال هو وزوجة: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمْنا اَنْفُسَنا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ (٢٣) ﴿١﴾ ، فكان لهما في ذلك النجاه والقبول (٢).

المطلوب من وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ان تعمل جادة وان تركز على تربية المجتمع على الاخلاق الاسلامية وهذا هو منهج القران والوحي . لقد ركز الوحي نصف مدته على تربية الامة الاسلامية على العقيدة والاخلاق وشاد نظام الدولة على هذا الاساس المتين ، وترتبت الامة المسلمة الاولى على العقيدة والاخلاق ولم تكن بعد عرفت الصلاة كفريضة ولا الزكاة ولا الحج ولا الجهاد. واستطاعت هذه الامة بعد ذلك ان تهزم امبراطوريتين على وجه الارض وان تقيم على انقاض حضارتهما اكبر حضارة عرفها التاريخ ، جاء في القران قول الله لرسوله : ﴿وَاِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) ﴿٣﴾ مع قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿٤﴾ .

وجاء في الحديث : (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) (٥) وجاء في الحديث كذلك : (ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق) (٦) وجاء قوله : (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (٧) .

(١) سورة الاعراف الاية ٢٣

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد، المنهاج القراني في التشريع، ط١، دار الطباعة والنشر الاسلامية، ١٩٩٢ م) ص ٤٨ - ٤٩

(٣) سورة القلم الاية ٣

(٤) سورة الاحزاب الاية ٢١

(٥) احمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مكة، مكتبة دار المنار، ١٩٩٤ م، ص ١٩١

(٦) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، بيروت، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ، ص ٣٦٢

(٧) سليمان بن الاشعث ابي داود، سنن ابي داود، ج ٤، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ص ٢٥٢

لقد كانت اخلاق رسول الله ﷺ هي الترجمة للقران حتى ان السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : (ان خلقه كان القرآن) (١).

كان رسول الله ﷺ واصحابه مثلا تتحرك وفتحو القلوب بما لم تفتحه السيوف، ودخلت قارتان الاسلام باخلاق المسلمين الذين كانوا ينتقلون خلالها للتجارة دون ان تراق الدماء (٢).

وواضح من ذلك ان الذين كانوا يقومون بالاتصال بهذه الشعوب كانوا منضبطين بالاخلاق الاسلامية وهو منهج يجب ان تستفيد منه وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية المعاصرة حتى تكسب انصار للاسلام وان تربي افراد المجتمع على الاخلاق الاسلامية من خلال ما يراه الانسان ويشاهده ويقراه .

نجد وسائل الاتصال بمختلف انواعها تشملها الاخلاق الاسلامية اذ ان الاخلاق في الاسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية روحية او جسمية، دنية أو حيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو جماعية، الاسمت له المنهج الامثل للسلوك الرفيع ، فما فرقه الناس في مجال الاخلاق باسم الدين وباسم الفسفة وباسم العرف او المجتمع قد ضمه القانون الاخلاقي في الاسلام في تناسق وتكامل وزاد عليه فيما يلي :

١/ وان من اخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد في كافة نواحية :

أ / جسما له ضروراته وحاجاته بمثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) (٣) وقول رسول الله ﷺ: (إن لبدنك عليك حق) (٤).

ب / وعقلا له مواهبه وآفاقه ، يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) (٥)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى ثَمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦) (٦).

(١) محمد بن احمد بن ابي بكر بن فوج القرطبي، تفسير القران، ج ١٨، ط ٢، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٢م، ص ٢٢٧

(٢) علي جريشة، المشروعية الاسلامية العليا، المنصورة، دار الوفاء، بدون تاريخ، ص ٦١

(٣) سورة الاعراف الاية ٣١

(٤) علي بن ابي بكر القيشمي، مجمع الزوائد، الجزء السابع (القاهرة : دار الكتاب العربي ١٤٠٧ هـ -) ص ٢٣٩

(٥) سورة يونس الاية ١٠١

(٦) سورة سبأ الاية ٤٦

٢ / ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالاسرة :

أ / كالعلاقة بين الزوجين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ﴿١﴾.

ب / ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ
وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿٢﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ
وَأَيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ أَنْ كَانُوا خَطِيئًا كَبِيرًا﴾ (٣١) ﴿٣﴾.

ج / والعلاقة بين الاقارب والارحام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(٩٠) ﴿٤﴾، ﴿وَاتِّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ
تَبْدِيرًا﴾ (٢٦) ﴿٥﴾.

٣ / ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالمجتمع :

أ / في ادابه ومجاملاته مثل ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ﴾ (٣٢) ﴿٦﴾.

ب / وفي اقتصاده ومعاملاته: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ
أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)
كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ (٧)﴾ (٧) ﴿٧﴾، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا

١ سورة النساء الاية ١٩
٢ سورة الاحقاف الاية ١٥
٣ سورة الاسراء الاية ٣١
٤ سورة النحل الاية ٩٠
٥ سورة الاسراء الاية ٢٦
٦ سورة النور الاية ٣٢
٧ سورة المطففين الايات ١ - ٦

كَاتِبًا فَرَهَانَ مَقْبُوضَةً فَإِنَّ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلَیُّوْذُ الَّذِیْ اؤْتِمنَ اَمَانَتَهُ وَلِیَتَّقِ
اللّٰهَ رَبَّهٗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ یَكْتُمْهَا فَاِنَّهٗ اِثْمٌ قَلْبُهٗ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِیْمٌ
(٢٨٣) ﴿١﴾ .

ج / وفي سياسته وحكمة: ﴿انظُرْ كَيْفَ یَفْتُرُونَ عَلَی اللّٰهِ الْكُذِبَ وَكَفَى
بِهٖ اِثْمًا مُّبِیْنًا (٥٠)﴾ ﴿٢﴾ .

٤/ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير كما في
الحديث: (اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكاوها
صالحة) ﴿٣﴾ ، وفي الحديث: (في كل كبد رطب اجر) ﴿٤﴾ .

٥/ ومن اخلاق الاسلام ما يتعلق بالكون من حيث انه مجال التأمل
والاعتبار والنظر والتفكير والاستدلال بما فيه من ابداع وابتكار ووجود
مبدعه وقدرته على علمه وحكمته قال تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
وَاللّٰهُ عَلٰی كُلِّ شَيْءٍ قَدِیْرٌ (١٨٩) اِنَّ فِی خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّیْلِ
وَالنَّهَارِ لَاٰیٰتٍ لِّاُولِی الْاَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِیْنَ یَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِیَامًا وَقُعُوْدًا وَعَلٰی
جُنُوْبِهِمْ وَیَتَفَكَّرُوْنَ فِی خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا
سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ ﴿٥﴾ . ومن حيث انه مجالاً للانتفاع والاستمتاع
بما اودع فيه من خبرات وما بيث فيه من قوي مسخرة لمنفعة الانسان وما اسبغ
فيه من نعم تستوجب الشكر لو اهبها والمنعم بها قال تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ
سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلَیْكُمْ نِعْمَهٗ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یُجَادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدٰی وَلَا كِتَابٍ مُّبِیْنٍ (٢٠)﴾ ﴿٦﴾ ﴿یٰ
اَیُّهَا الَّذِیْنَ اٰمَنُوا كُلُوا مِن طَیِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ اِنَّ كُنْتُمْ اِیَّاهُ
تَعْبُدُوْنَ (١٧٢)﴾ ﴿٧﴾ .

٦/ وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق الذي منه كل
النعم وله كل الحمد: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِیْنَ (٢) الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (٣)

(١) سورة البقرة الاية ٢٨٣

(٢) سورة النساء الاية ٥٠

(٣) محمد بن اسحق بن خزيمة ، صحيح بن خزيمة ، الجزء الرابع (بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٩٧٠ م) ص ١٤٣

(٤) يعقوب بن اسحق ، مسند ابي عوانه ، الطبعة الاولى (بيروت : دار المعرفة ١٩٩٨ م) ص ٢٦٨

(٥) سورة ال عمران الايات ١٩٠ - ١٩١

(٦) سورة لقمان الاية ٢٠

(٧) سورة البقرة الاية ١٧٢

مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ (٦) ﴿١﴾

فهو وحده المستحق بان يحمد الحمد كله ، وان نرجو رحمته الواسعة
وان يخشي عقابة العادل يوم الجزاء ، وهو وحده الذي يستحق ان يعبد
ويستعان وان تطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم وبهذا يتجلى شمول
الاخلاق الاسلامية من حيث وموضوعها ومحتواها ، ولكن الشمول في
الاخلاق الاسلامية يبدو كذلك اذا نظرنا الى فلسفتها ومصدر الالتزام بها ،
لقد شاء الله للاسلام ان يكون رسالة الأمة الخالدة فهو هداية الله للناس
كافة من كل الامم وكل الطبقات ، كل الافراد وكل الاجيال والناس
تختلف مواهبهم وطاقتهم الروحية والعقلية والوجدانية وتتفاوت مطامحهم
وامالهم ودرجات اهتمامهم ولهذا جمعت الفكرة الاخلاقية وتفسيرها المصدر
الالتزام الخلقى ، فلم يكن عيب كل نظرية انها نظرة من زاوية واغفلت
اخرى وهو امر لازم لتفكير البشر الذي يستحيل عليه ان ينظر في قضية
نظرا يستوعب كل الازمنة والامكنة فلا غرو اذا كانت نظرة الاسلام
جامعة محيطية مستوعبة لانها ليست نظرة بشر بل وحي من احاط بكل شيء
علما واحصي كل شيء عددا ، لهذا اودع الله في هذا الدين ما يشبع كل
نهمه معتدل ، وما يقنع كل ذي وجة ويلانم كل تطور فمن كان مثاليا ينوع
الى الخبرات لذات الخير وجد في اخلاق الإسلام ما يرضي مثاليته ، ومن كان
يؤمن بمقياس السعادة وجدة في الفكرة الاسلامية ما يحقق سعاداته وسعادة
المجموع معه ومن كان يؤمن بالترقي الى الكمال وجد فيه ما يحقق طلبه ،
ومن كان همه التكيف مع المجتمع وجد فيه ما يلائم اجتماعيته ، حتى الذي
يؤمن باهمية اللذة الحسية يستطيع ان يجدها فيما اعد الله للمؤمنين في الجنة
من نعيم مادي وحسي: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا
تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)﴾^(٢). هذا الشمول في
الاخلاق الذي يتمتع به الاسلام يجب على وسائل الاتصال ان تبرزه وعلى

(١) سورة الفاتحة الاية ٢-٦

(٢) سورة الزخرف الاية ٧١

القائمين على هذه الوسائل معرفة هذا الشمول في محاوره المختلفة حتى يستطيعوا ان يحموا المجتمع من الاخلاق السيئة التي تقعد بالمجتمع ولا يستطيع ان يؤدي مهامه وفق المبادئ الاسلامية .

وإذا التزمت وسائل الاتصال في عرضها على هذا الشمول في مجال الاخلاق سوف تحقق الانضباط المرجو على ضوء الاسلام^(١) .

والاسلام كما جاءت الاخلاق فيه شاملة كذلك كانت هذه الاخلاق واقعية اذ ان الاسلام جاء بالاخلاق الواقعية التي اعدت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس فاعترفت بالضعف البشري والدوافع البشرية والحاجات البشرية والنفسية .

أ / لم يوجب الاسلام على من يريد الدخول فيه ان يتخلي عن ثروته وامور معيشتة كما يحكي الانجيل عن المسيح انه قال لمن اراد اتباعه دع مالك واتبعني ، ولا قال القرآن ما قال الانجيل .

بل راعي الاسلام حاجة الفرد والمجتمع الى المال فاعتبره قواما للحياة وامر بتتميته والمحافظة عليه وامتن القران بنعمه الغني والمال في غير موضع وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٨)^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ: (ما نفعني مال كمال ابي بكر)^(٣) . وقال لعمر بن العاص: (نعم المال الصالح للرجل الصالح)^(٤) .

ب / لم يجيء القرآن ولا السنة ما جاء في الانجيل من قول المسيح احبوا اعدائكم باركوا لاعينكم من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر ومن سرق قميصك فاعطه ازراك^(٥) .

قد يجوز هذا في مرحلة محدودة ولعلاج ظرف خاص ولكنه لا يصلح توجيهها عاما خالدا لكل زمان ولكل الناس في كل ا عصر، وفي كل بيئية وفي كل حال فان مطالبة الانسان العادي بمحبه عدوه ومباركة لاعنه قد

(١) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ص ١٧ - ١٢١

(٢) سورة محمد الآية ٨

(٣) رواه احمد عن ابي هريره واسناده صحيح كما في التيسير للمناوي

(٤) رواه احمد في مسنده والطبراني في الكبير باسناد صحيح

٥ يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

يكون فوق ما يحتمله ، لذا اكتفى الاسلام بمطالبته بالعدل مع عدوه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨)^(١) وقد تجلت واقعية الاسلام حين شرع مقابلة السيئة بمثلها بلا حيف ولا عدوان فاقر بذلك مرتبة العدل ودرء العدوان، ولكنة حث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء على ان يكون ذلك مكرمة يرغب فيها لا فريضة يلزم بها ، وهذا واضح في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)^(٢).

والرجوع الى الله كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥)^(٣).

ومن واقعية الاخلاق الاسلامية انها راعت الظروف الاستثنائية كالحرب فباحث من اجلها ما يباح في ظروف السلم كهدم المباني وتحريق الاشجار ونحوه ومثل الكذب لتضليل العدو عن حقيقة الجيش الأسماء وعدد وعتاده وخطبه فان الحرب كما جاء في الحديث خدعة^(٤).

وبما ان الاخلاق في الاسلام اخلاق واقعية قابلة للتطبيق كان لابد لوسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الالتزام بالمنهج الاخلاقي الاسلامي، والاخلاق كما تقدم شاملة لكل انواع الحياة مما يجعل لوسائل الاتصال مادة متنوعة تعالج من خلال هذه المادة كل البرامج من منظور اخلاقي اسلامي .

ولم تقتصر الاخلاق الاسلامية التي تدعوا لها الدولة الاسلامية من خلال وسائل الاتصال على الحياة الانسانية الظاهرة والباطنة والفردية والجماعية ، الداخلية والخارجية والمحلية والعالمية ، بل اضافت لها بعدا جديداً وخطيراً تمثل في اقامة دولة عالمية على اساس اخلاقي متين ، فكان شيئاً فريداً في

١ سورة المائدة الاية ٨

٢ سورة الشوري الاية ٤٠

(٣) سورة ال عمران الاية ١٣٥

(٤) يوسف القرظاوي ، الخصائص العامة للاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ - ١٦٨

نوعه ان يستوي الحاكم والمحكوم وان يقتص الحاكم من نفسه لادني رعاياه ، وان يعف عن اموال الدولة حتى الجوع والاستدانة ، وان يحرم الغدر ولو بالعداء وتحترم المعاهدات معهم حتى ننبذ اليهم على سواء ، وغير ذلك كثير مما لم يكن للدولة به عهد ولا اعتبار ، وربما كان لديهم مبادئ نظرية في هذا لكنها لم ترق الى مواقع التنفيذ ، فضلا عن ان يصبح واقعا عمليا لحياة الناس الواسعة المتقلبة ، ومن هنا ندرك معني قوله ﷺ : (انما يعثت لاتمم مكارم الاخلاق)^(١). ذلك لان الاخلاق من قبله لم تظفر بها التأسيس النظري والتطبيق العملي مع مدة الى افاق شاسعة من الحياة وارجاء واسعة من الارض حتى اصبح للاخلاق ثقلها العظيم في الناس بعد ان كانت تتواري وغدت للدولة اخلاق ردت للانسان معني انسانيته فيه بعد ان جردته مناهج الجاهليات واضاليلها من خير معاينة وجماع الاخلاق الاسلامية يعود الى امرين هما (الخير والحق) وينبغي لوسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الاهتمام بها ، ولم يترك الله تعالي شيئا من خلال الحق وخصال الخير الا قرره واكده وامر به ، وبغض لنا نقيضه وانذر من فعله^(٢).

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية عندما يتم ضبطها بالاخلاق الاسلامية فهي تحقق اهداف عليا وهي نفس الاهداف التي هدفت لها الرسائل السماوية ، اذ ان هدف الرسائل السماوية كلها هدف اخلاقي لانها تستهدف ارشاد الانسان الى طريق الخير وبعاده عن الشر في الدنيا وسواء العاقبة في الآخرة وهذا هو موضوع الاخلاق ، ولهذا قال رسول الله ﷺ (الدين حسن الخلق)^(٣). وكانت عائشة رضي الله عنه تفهم هذا المعني من الدين الاسلامي ولهذا فهي عندما سئلت عن اخلاق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)^(٤) ويؤيد هذا قول رسول الله ﷺ : (الدين حسن خلق)^(٥).

(١) رواه احمد والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبخاري في الادب للفرد من حديث ابي هريره

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد ، المنهاج القرآني في التشريع ، مرجع سابق ، ص ٤٠٨ - ٢٠٩

(٣) احمد بن حنبل ، المسند ج ٢ ص ٣٨١ مختصر صحيح البخاري ، زين الدين الزبيدي (دار النفائس ، ١٤٠٥هـ) ج ١ ص ٢٧

(٤) محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي ، الجزء ١٨ ، مرجع سابق ص ٢٢٧

(٥) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٣٦٢

وقوله كذلك الاسلام (حسن الخلق) وقال ﷺ: (ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق) ^(١) وروي انه قال: (حسن الخلق خلق الله الاعظم) ^(٢).
وعندما سئل رسول الله ﷺ اى الاسلام افضل قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) ^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٤) اى على دين فيه اخلاق عظيمة، لان الدين عبارة عن واجبات نحو المخلوقات الحية الاخرى واذا علمنا ان الله لم يصف احدا من انبيائه بالخلق العظيم وانما وصفهم باوصاف مثل رشيد وصالح وحليم علمنا السر في اهمية الاخلاق ^(٥).
وللرسالة الإسلامية غايات من هذه الغايات التي تريد الرسالة الاسلامية تحقيقها الغاية الانسانية السامية وهي ان يكون للانسان خلق كريم وسلوك نظيف يليق بكرامة الانسان ويتفق مع ما خلق من خلافة عن الله في الارض وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون عبر قرون مضت ولم يبلغوا منها شأواً أن يصلوا الى تحقيق هذا الامل المنشود وجعلها الاسلام غاية وحرص على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة يقصد بها ايجاد عناصر قوية وافراد صالحين كي يستطيعوا ان يسهموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة واعلاؤها وليكونوا اهلا لجوار الله ورضوانه فيما وراء هذه الحياة .
ان المثل الاعلى للافراد هو الشرف والنزاهة والاستعلاء على الهوى وعرفان الحق والصواب والامسك باهداب الفضيلة والاندماج في جو روعي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح والمثل الاعلى للجماعة هو التعاون والايثار والنصيحة وانكار الذات والمحبة والمودة والصدق والاخلاص والامانة والتسامح وسلامة الصدر .
اذا سارت وسائل الاتصال وفق الاطر الاخلاقية التي جاء بها الاسلام فانها بترسيخ الاخلاق السامية تصل الانسان الى الكمال المتمثل في :

(١) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٣٦٢

(٢) ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الاوسط، ج٨، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ، ص ١٨٤

(٣) محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، الجزء الاول ، مرجع سابق ص ١٣

(٤) سورة القلم: الآية ٤ .

(٥) مقداد يالجن ، علم الاخلاق الاسلامية ، الطبعة الاولى (الرياض : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦ م) ص

١ / تفجير طاقات الانسان كلها في طريقها الصحيح العلمية، والروحية، والنفسية والجسدية، فلا تبقى طاقة معطلة فيصبح العلم فريضة والتفكير فريضة والصفاء الروحي فريضة والاخلاق اكتسابها والتخلق بها فريضة وتدريب الجسم فريضة والزواج في الاسلام افضل من التفرغ للعبادة كما نص عليها فقهاء الحنفية .

٢ / ان كثير من اخلاق النفس الانسانية تكون لعدم استعمالها وتميئتها اما في الاسلام فلا يبقى خلق للنفس الا وقد نمي من الحنان الى الكرم الى الحل الى الهداية الى الرحمة الى اللطوق وما من خلق للنفس الا نمي التنمية الصحيحة السليمة .

٣ / عن كثير من الظواهر المرضية تنمو عند الكافرين، كالحسد والغل والحقد والكبر والتعالي، اما في الاسلام فان هذه الظواهر تجتث اجتثاثاً .

٤ / ان بالاخلاق الاسلامية وحدها يحقق الانسان حكمة وجودة ويعثر بها على محله الصحيح في الوجود وهو سيد الكون عند الله .

٥ / ان الاخلاق الاسلامية وحدها التي تجعل الانسان يؤدي الى كل ذي حق حقه حيوانا كان او انسانا او جمادا او نباتا فضلا عن قيامه بحقوق رب العالمين.

وبهذا يكون المسلم وحده هو الانسان في وضعه السليم الصحيح وما عداه فلا نطلق عليه صفة الانسانية الا تجاوزا .

ان الله خلق رسوله ﷺ مستجمعا لكل الكمالات الانسانية التي لا يبقى معها مزيدا للمستزيد. فاذا ما فرض الله على كل مسلم ومسلمة ان يقتدي لرسول الله ﷺ فشيء عادي ان يكون المسلم الحق مستجمعا من الكمال ما لا يستجمعة احد^(١).

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية تستطيع ان تصل بالانسان الى الكمال في مجال الاخلاق وان تقدم ان رسول الله ﷺ هو المثل الاعلى وقد كملت اخلاقة ، وان تقود وسائل الاتصال افراد المجتمع في الدولة الاسلامية

(١) سعيد حوي ، الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩١ م ، ص ٣١٩

حتى تقنعهم بان يجعلوا الرسول ﷺ اسوتهم في مكارم الاخلاق ، ذلك ان الرسول ﷺ هو الذي استجمع كل الكمالات لا سيما في الاخلاق والاخلاق التي ينبغي ان تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية في نظام من العمل من اجل تحقيق الحياة الخيرة وطريقة التعامل الانساني مع الغير ايا كان هذا الغير ما دام كائنا حيا ، من حيث ما ينبغي ان يكون عليه هذا السلوك كسلوك انساني خير تجاه الاخرين وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئوليته فيه التي يجب ان ينهض بها وبناء على ما وضع له خالقه من اهداف في هذه الحياة ، والسلوك الاخلاقي في الاسلام يمثل روح الاسلام وحقيقته ونظامه وتتميز الاخلاق الاسلامية عما عرفته البشرية في الماضي والحاضر بخصيتين :

الاولي : ان الاخلاق الاسلامية وحي من الله سبحانه وتعالى والمسلم مطالب بتطبيقه والاخذ به ظاهرا وباطنا بحريته واختياره .

الثانية : ان الاخلاق الاسلامية طابعا انساني لا تتقيد بحدود الزمان والمكان وهي اخلاق صالحة للبشرية ما دامت على الارض وان طابعا الثبات وعدم التحول او التبدل لانها ايضا إلهية مستمرة فيها صلاح العباد^(١) .

فما احوج وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الى ان تضبط بالضوابط الاخلاقية الاسلامية وهي تحمل هذه الميزات وتتفرد بها عن غيرها من المذاهب ، فلا بد لهذه الوسائل ان تدعو للخير كميزة وهي اسمي الغايات وانبل المقاصد وأن يحرص الانسان على الخير ويسارع اليه .

والانسان يسمو بالدعوة الى الخير ويتشبه بالملائكة ويتخلق باخلاق الله البار بعباده الرحيم يخلقه ، ومن ثم فان الله يامر بفعل الخيرات والمسابقة اليها فيقول: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللّٰهُ جَمِيعًا اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ (١٤٨)^(٢) .

ان غايات الانسان مختلفة واهدافهم شتى فمنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية كالحياء وادناسه والعلو في الارض وهو ما يسمي عندهم بالكرامة والشرف ، اما الاسلام فانه يجعل وجهة المسلم متجهة الى فعل

(١) عباس محجوب ، اصول الفكر التربوي الاسلامي ، مرجع سابق ص ٤٥

(٢) سورة البقرة الاية ١٤٨

الخير والمسابقة اليه دائما وقد اكثر الله سبحانه وتعالى من الدعوة الى الخير وجعله احد عناصر الفلاح والفوز: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) (١).
 واخيرا اوحى الى انبيائه ورسله فعل الخيرات فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٣) (٢). ومدح المسارعين اليه والحريصين عليه فقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٩٠) (٣).

وجعل الله جزاء الخير الجنة فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٠) (٤).

وروي ابن ماجه عن سهل بن سعيد ان رسول الله ﷺ قال: (ان هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى (الخير الكثير) لعبد جعله الله مفتاحا للخير، مغلاقا للشر وويل لعبد جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٥).

وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية مطلوب منها ان تقوم بالعمل الذي ذكره الحديث في حق الافراد وان تكون هذه الوسائل مفتاحا لهذا لخلق الكريم الخير ، والله سبحانه وتعالى يوازن بين المثل العليا والاتصاف بالمكارم وبين الفضائل ابقى واعظم زخرا واجدر بالاهتمام وخير له في الدنيا والاخرة. يقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦) (٦) ويقول: ﴿فَمَا أُوتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ

(١) سورة الحج الاية ٧٧

(٢) سورة الانبياء الاية ٧٣

(٣) سورة الانبياء الاية ٩٠

(٤) سورة المزمل الاية ٢٠

(٥) محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني ، سنن ابن ماجه ، الجزء ١ (بيروت : دار الفكر) ص ٨٧

(٦) سورة الكهف الاية ٤٦

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
(٣٦) ﴿١﴾ .

من الاخلاق التي تضبط وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الحياء والا تقدم وسائل الاتصال ما يتعارض مع المبادئ الاسلامية في الحياء لانه من اقوي البواعث على الاتصاف بما هو حسن واحتثاث ما هو قبيح ، واذا تخلق به المرء سارع الى مكارم الاخلاق وبعد عن رذائل الصفات وكان سلوكه نظيفاً مهذباً فلا يكذب في القول ولا تطاوعه نفسه في اقرار الاثم ولا تطارده الميول الفاسدة ولا يستبد به الهوي او تتقلب عليه نزوات الشيطان ، والحياء بهذا المعني هو الذي عناه الرسول ﷺ وهو يحض صحابته على الاستمسك بالحياء بقوله: (استح من الله استحياء رجل ذي هيبه من اهله) (٢). والاستحياء من الله بينه رسول الله ﷺ فقال: (استحوا من الله حق الحياء، قالوا يا بني الله ان تحفظ الراس لنستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعي وتحفظ البطن وما حوي وتذكر الموت والبلي ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء) (٣).

الحديث يشير الى ان الحياء ليس هو الانكسار الذي يعتري الانسان من خوف وما يذم عليه ولكن يتمثل في امور هي :

١/ حفظ الحواس السمع والبصر واللسان من ان تاتي منكرا او تفعل ما تقدم عليه .

٢/ حفظ البطن من الشراهة وكثير تناول الطعام وحفظها من اكل ما حرم الله وحفظ الفرج من الزنا والرفث .

٣/ ترك ما حرم الله من زينة الدنيا فهذا هو الحياء الكامل والخلق الذي يريده الله للناس هو الامر الذي يجب ان تسعى وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية الى اشاعته والانضباط به والانسان اذا تحلي به يبلغ نهاية الكمال

(١) سورة الشوري الاية ٣٦

(٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ، ص ٦١

(٣) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، الجزء ٤ ، مرجع سابق ص ٦٣٧

وإذا تخلي عنه سارع الى الشر والحياء من الخلق يقول رسول الله ﷺ: (ان لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء)^(١).

ان تعاليم الاسلام في الحياء يجب ان تتضبط بها وسائل الاتصال كواحدة من الضوابط الاخلاقية ولا تعرض عنها لان الاعراض عن هذا الخلق وهذه التعاليم ، لذا نجد نقشي الاستهتار في المجتمع بالقيم الرفيعة والاستهانة بالتقاليد الحسنة والتحرر من الفضائل المورثة ، وانتشرت الرذائل ، واخذت طريقها الى افساد القلوب والعقول فمن مناظر التبرج وعرض مفاتن الجسد الى اغاني رخيصة مبتذلة الى كتب جنسية مثيرة الى قصص عابثة الى صور فاضحة على شاشات التلفزيون الى افلام سينمائية خليعة تغري بالفسق والفجور وكثير من امثال هذه النقائص التي تسلب الانسان الحياء وتزين له الشر وتغمسه في الشهوات والآثام .

في الدولة الاسلامية يقع على عاتق وسائل الاتصال وضع خطة محكمة لتطهير افراد الدولة الاسلامية من هذه المفاسد وتخليصهم من دعاه الاباحية والتحلل^(٢).

مما تقدم يتضح لنا اهمية الحياء في الاسلام وكيف انه من الاخلاق الاساسية لتقويم مسار المجتمع ، وكذلك تقويم وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية .

بجانب خلق الخير والحياء هناك خلق هام ينبغي ان تتضبط به وسائل الاتصال وهي تمارس دورها في التغيير الاجتماعي في الدولة الاسلامية ، وهو خلق الامانة اذ لا بد لوسائل الاتصال ان تشيع خلق الامانة في المجتمع وان ينضبط الاداء في وسائل الاتصال بهذا الخلق ، والامانة واحدة من المبادئ الاسلامية الهامة قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) ﴿٣﴾.

(١) رواه مالك في الموطأ ومرسلا ورواه ابن ماجه

(٢) السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ - ١٦٠

(٣) سورة الاحزاب الاية ٧٢

الامانة خلق ايجابي لا يستحق ان يوصف بها الا من منحت له فرصة الخيانة من غير ضرر يلحق به فإظهر المناعة وقوة الارادة والعفة المبنية على سمو في النفس والروح والامانة في المجتمع لا تكون بقوة السلطان وانما هي اخلاق يربي عليها المجتمع ولذلك اوجب على وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ان تقوم بواجب توجيه افراد الدولة على الامانة وعرض مواقف وبرامج توضح اهمية الامانة في المجتمع وكيف ان المجتمع الذي تتوفر في افراده الامانة يمكن ان يكون مجتمعا فاضلا^(١).

إن الآيات الواردة في الاخلاق وشمولها كثيرة ومبثوثة في السور المكية والمدنية وقد احتوت قواعد وتوجيهات اخلاقية شخصية امرا ونهيا وحثا وتحذيرا لان النظم السياسية والاقتصادية في الاسلام انما تقوم على الافراد وتتأثر هذه النظم بالافراد صلاحا وفسادا وقوة وضعفا وآيات لم تترك صغيرة ولا كبيرة من فاضل الاخلاق ورزيلها الا وضحتها.

تجد وسائل الاتصال العديد من الاخلاق التي يمكن ان تضبط بها الاداء في مجالات شتى كالصبر والصدق والحب والامانة، والتواضع والاخلاص، واللين والعفو، والتسامح، والاحسان والعفة، والاعتدال والبذل، وقول الحق وفعله ونصرتة، والبر بالفئات الضعيفة، وجعل الحسنی قاعدة التعامل ودرء السيئة والعدل والانصاف المجريدين من كل شائبة ونزوة وعاطفة والتعاون على البر والتقوي، والدعوة الى الخير والحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر والرحمة والاستمتاع بالطيب والحلال في حدود الاعتدال والطهارة في البدن والثياب واحترام الغير ودمه، وعرضه وماله وكالجزع والكذب، والنكث والخيانة، وشهادة الزور، والكبر والزهو، والنفاق والرياء والفضاظة والحقد والفحش، والاسراف والبخل، وكنتم الحق وخذلة واضطهاد الفئات الضعيفة ومقابلة الاحسان بالاساءة والبغي والانانية، والاثرة والانهماك في الذات والشهوات والتعاون على الاثم والعدوان والامر بالمنكر واشاعة الفاحشة والعدوان على حق الغير ودمه وعرضه وماله، الا اشارت

(١) عبد لاغني الدفر، نحات من الكتاب والنبوة والحكمة، ١٩٩٨ ن، ص ٢٩

اليها منوهة بالاولي وفاعليها ومنددة بالثانية ومقترفيها وزاجرة عنها ، ومبينة في ذات الوقت ما للاخلاق الفاضلة من اثر في صلاح الانسان وعادته وطمانينته وصلاح الانسانية كذلك وسعادتها وطمانينتها وما لاضدادها من اثر سيء في حياة الانسان والانسانية مما انفرد به القرآن على الوجة الذي عليه ، عن سائر الكتب السماوية شمولاً واسلوباً^(١) .

في هذا المبحث الهام استعرض الباحث اهمية الاخلاق في الاسلام وكيف تكون هذه الاخلاق احدي الضوابط التي تسيير عليها وسائل الاتصال في الدولة الاسلامية ؟ وكيف تتضبط بهذه الضوابط والاطر حتى تحقق الفوائد المرجوة منها ؟ .

(١) محمد عزة دروزة ، في شئون الحياة ، دار احياء الكتب العربية ، ص ٥١٣ - ٥١٤

النتائج والتوصيات

اولا : النتائج

خلص الباحث الى نتائج من خلال البحث يوردها فيما يلي :

- ١- وضح جليا من خلال البحث ان وسائل الاتصال على عهد الرسول ﷺ كان اثرها واضحا في نشر الوعي الديني .
- ٢- ما من وسيلة متاحة على عهد رسول الله ﷺ الا واستخدمها لنشر الاسلام .
- ٣- كان الاتصال الشخصي من اقوي وسائل الاتصال على عهد رسول الله ﷺ
- ٤- ارسل رسول الله رسلا لنشر الاسلام كانوا على درجة عالية من الفهم والكفاءة
- ٥- كان المسجد اهم وسائل الدعوة في عهد رسول الله ﷺ
- ٦- اتصل رسول الله ﷺ بكافة قطاعات الشعب في ذلك الزمان العامة والملوك وزعماء القبائل .
- ٧- في العهدين الاموي والعباسي كانت وسائل الاتصال تسهم اسهاما واضحا في ربط العالم الاسلامي وكان لها اثرا واضحا في وحدة الدولة لا سيما في العهد العباسي
- ٨- اصبح الكتاب من اهم وسائل الاتصال في الدولة العباسية وبه تم نقل التراث من جيل الى جيل
- ٩- اسهم التجار والبريد في ربط اجزاء الدولة العباسية
- ١٠- برزت اهمية وسائل الاتصال في العصر الحديث في البلاغ المبين ونشر الوعي الديني .
- ١١- للدولة الاسلامية اهداف لا يمكن ان تتحقق الا باستغلال وسائل الاتصال
- ١٢- تؤدي وسائل الاتصال دورا هاما في مجال الترويج
- ١٣- لا يتحقق المن بانواعه المختلفة الا باستغلال وسائل الاتصال
- ١٤- تستطيع وسائل الاتصال ان تؤدي دورها بواسطة ضوابط عقديدة وشرعية واخلاقية .

ثانياً : التوصيات

- ١- الاهتمام بوسائل الاتصال والعمل على تطويرها
- ٢- الاهتمام بالاتصال الشخصي وان تدرب الدولة الاسلامية القائمين بالاتصال على فنون الاتصال الشخصي ذلك لان الاتصال المباشر هو اقوي انواع الاتصال .
- ٣- تكثيف دراسة الفكر الاسلامي وسط دراسي وسائل الاتصال
- ٤- طرح عناوين لدراسة الاتصال ووسائله مربوطه بالاسلام ودعم البحث العلمي في مجالها بهدف التاصيل .
- ٥- ادخال مادة في كليات الاعلام باسم ضوابط الاتصال في المجتمع الاسلامي
- ٦- تعرية المد العلماني وذلك بتخصيص دار شرتتخصص في رد كيدهم
- ٧- ان تلتزم وسائل الاتصال بعدم عرض اي مواد من شأنها ان تقلل من قدر القيم الاسلامية
- ٨- الاهتمام بالتدريب العلمي لدراسي الاتصال ولا سيما كيفية التعامل مع الاجهزة الحديثة
- ٩- ان تهتم وسائل الاتصال بتعميق العقيدة الاسلامية وتجعلها اولوية
- ١٠- المسجد من اهم وسائل الاتصال وهو وسيلة مستمرة ينبغي الاهتمام بها شكلا ومضمونا لانه مؤسسة اعلامية ذات خصائص هامة لنشر الوعي الديني .

المصادر والمراجع

القران الكريم

بحوث عربية غير منشورة

اولاً
ثانياً

احمد ناجي مشرح، الاساليب والضوابط الاعلامية في سورة يوسف عليه السلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، الخرطوم، جامعة ام درمان الاسلامية، كلية الدعوة والاعلام، ١٩٨٨م

جمعة شعبان منصور، وظيفة الارشاد من خلال سورة المائدة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القران الكريم والعلوم الاسلامية، ١٩٨٨م
سليمان عثمان محمد، فن التحرير الصحفي الاسلامي وتطبيقاته العلمية في مجلة الامان في عامين ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض، المعهد العالمي للدعوة الاسلامية، ١٤٠٥ هـ

كتب عربية ومعربة

ثالثاً

ابراهيم امام، الاعلام والاتصال الجماهيري، ط٢، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤م

ابراهيم ابو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط١، عمان، دار مجدلاوي للنشر، ١٩٩٣

ابراهيم على محمد احمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحر والحماية، ط١، الدوحة، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية، ١٩٩٧م

ابو بكر الجزائري، هذا الحبيب، ط٤، جدة، مكتبة الشعراوي للتوزيع، ١٩٨٥م

ابو الحسن على الحسيني الندوي، السيرة النبوية، جدة، دار الشروق، ١٩٨٨م

ابو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، مكتبة الكليات الازهرية، بدون تاريخ

اجلال خليفة، الوسائل الصحفية، ط١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ٩٨٠م

احمد امين، ضحي الاسلام، ج٢، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م

احمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الاعلام والتطويع والتنمية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م

احمد بن على حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، بدون تاريخ

احمد بن حنبل، المسند، المجلد الثالث، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٠م

احمد العسال، النظام الاقتصادي في الاسلام، ط٢، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م

احمد نوفل، في الثقافة الاسلامية، ط١، عمان، دار عمار، ١٩٨٤م

الحسيني سليمان جاد، وثيقة السكان والتنمية رؤية شرعية، الدوحة، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية، ١٩٩٦م

احمد الشرباصي، موسوعة الفداء في الاسلام، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٢هـ

الشريف الرضي، نهج البلاغة شرح الامام محمد عبده، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ

اكرم ضياء العمرو، المجتمع المدني في عهد النبوة، ط١، ١٩٩٤م
 جمال محمد احمد عبده، دور المنهج الاسلامي في تنمية الموارد البشري، ط١،
 عمان، دار الفرقان، ١٩٨٤م
 حسين ابراهيم عيد، دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، الاسكندرية، دار
 المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م
 حسن احمد حسن، تاريخ الاسلام، ط٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،
 ١٩٦٤م
 حسن احمد محمود، العالم الاسلامي في العصر الحديث، القاهرة، دار الفكر
 العربي، بدون تاريخ
 حمدي حسن، الوظيفة الاخبارية لوسائل الاعلام، القاهرة، دار الفكر العربي،
 بدون تاريخ
 حسن عمارة مكاي، انتاج البرامج للراديو، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية،
 ١٩٨٩م
 الحافظ ابي داود سليمان بن الأشعث، سنن ابي داود، ط٢، اسطنبول، دار
 سحنون، ١٩٩٢م
 خليل صابات، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، ط٧، القاهرة، دار النهضة،
 ١٩٩٦م
 رفعت العوض، في الاقتصاد الاسلامي، ط٧، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية
 والشئون الدينية، بدون تاريخ
 زين العابدين الركابي، النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات العامة، الرياض،
 شركة العبيكان، ١٤٠٥هـ
 زيدان عبد الباقي، وسائل الاتصال في المجالات الاجتماعية والادارية
 والاعلامية، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م
 سعيد اسماعيل صيني، قواعد اساسية في البحث العلمي، بيروت، مؤسسة
 الرسالة، ١٩٩٤م
 سعيد ابو حبيب، دراسة في مناهج الاسلام السياسي، ط١، بيروت، مؤسسة
 الرسالة، ١٩٨٥م
 سعيد حوي، الاساس في السنة وفقهها، ط١، القاهرة، دار السلام للطباعة،
 ١٩٩٨م
 سعيد شويحي عبد المولي، المتغيرات الدولية وانعاساتها على الامن العربي،
 الرياض، المركز العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٩م
 سليمان بن الاشعث ابي داود، سنن ابي داود، بيروت، دار الفكر العربي، بدون
 تاريخ
 سليمان صالح، مقدمة في علم الصحافة، القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٩٩٤م
 سمير محمد حسين، بحوث الاعلام، عالم الكتب، ١٩٧٦م
 سيد قطب، معالم في الطريق، القاهرة، دار الشروق، ١٩٥٦م
 سيد قطب، مقومات التصور الاسلامي، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٦م
 سيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المشهور بمرتضي، اتحاف المتقين بشرح

احياء علوم الدين، بيروت، دار الفكر، بدون تايرخ
شوقي ابو خليل، الحضارة العربية الاسلامية، ط١، طرابلس، منشورات كلية
الدعوة الاسلامية، ١٩٨٧م
صالح احمد العلي، العراق في التاريخ، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢م
صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشاتها وتطورها، بيروت، دار العلم للملايين،
١٩٧٦م
صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، ط١، جدة، مؤسسة الطباعة
والصحافة والنشر، ١٩٨٠م
طلعت همام، مائة سؤال عن الاعلام، ط١، بيروت، دار الفرقان، ١٩٨٣م
عاطف عدلي العبد، المدخل الى الاتصال والرأي العام، القاهرة، دار الفكر
العربي، ١٩٩٧م
عباس محجوب، اصول الفكر التربوي في الاسلام، ط١، دمشق، دار ابن كثير،
١٩٨٧م
عباس محجوب، نحو منهج اسلامي في التربية والتعليم، ط١، دمشق، دار ابن
كثير، ١٩٨٧م
عبد الحليم عويس، بنو امية، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧م
عبد الحميد الغزالي، حول المنهج الاسلامي في التنمية الاقتصادية، ط١،
المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٩م
عبد الغني الدقي، لمحات من الكتاب والنبوة والحكمة، بدون ناشر وتاريخ نشر
وطبعة
عبد الله بن ناصر السدحان، الترويج وعوامل الانحراف رؤية شرعية، ط١،
الدوحة، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية، ٢٠٠٠م
عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الاسلامية وفقهها ومصادرها، ط١،
القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٧م
عبد المجيد شكري، الفن الاذاعي، ط١، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع،
١٩٩٨م
عبد الكريم سيد محمد الرافي القزويني، التدوين في اخبار قزوين، جزء ١،
بيروت، دار الكتب، ١٩٨٧م
عبد الوهاب كحيل، الاسس العلمية والتطبيقية للاعلام الاسلامي، ط١، القاهرة،
مطبعة الاعتصام، ١٩٧٩م
عز الدين بليق، منهاج الصالحين من احاديث وسنة خاتم الانبياء والمرسلين،
ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م
علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال
والافعال، م٧، بيروت، مؤسسة الرسالة
على النميري، الامن والمخابرات نظرية اسلامية، ط١، الخرطوم، مركز
الدراسات الاستراتيجية، ١٩٧٨م
على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية،
القاهرة، المكتبة التوفيقية، ١٩٧٨م

على جريشة، المشروعية الاسلامية العليا، المنصورة، دار الوفاء، بدون تاريخ
على عبد الرحمن العمرو، اثر الغرس السياسي في العصر العباسي الاول،
القاهرة، مطابع الرجوي، ١٩٧٩م
على شمو، الاتصال الدولي، القاهرة، دار القومية العربية للثقافة، بدون تاريخ
عمر سليمان الاشقر، لماذا حرم الله الربا، ط٣، الكويت، دار النفائس، ١٩٩٠م
عمر سليمان الاشقر، العقيدة في الله، ط١٠، الاردن، دار النفائس، ١٩٨٥م
عطيات خطاب، اوقات الفراغ والترويح، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ
فاروق ابو زيد، مدخل الى علم الصحافة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٦م
فضل الهي، التدابير الواقية من الربا في الاسلام، ط١، باكستان، ترجمان
الاسلام، ١٩٨٦م
فؤاد بن حالة، الحرب الازداعية، ترجمة انشراح الشال، القاهرة، دار نهر النيل،
١٩٨٨م
كرم شلبي، الازداعات التنصيرية الموجهة الى المسلمين العرب، القاهرة، مكتبة
التراث الاسلامي، ١٩٩١م
كمال محمد عيسي، العقيدة الاسلامية سفينة النجاة، ط١، جدة، دار الشروق،
١٩٨٠م
الحافظ نور الدين على بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٤،
بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م
الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، او التفسير الكبير
ماجي الحلواني، مدخل الى الازداعات الموجهة، ط١، الكويت، دار الكتاب الحديث،
١٩٨٣م
مالك بن انس، موطا مالك، ج٢، مصر، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ
مأمون السيد ادريس، مفهوم الامن الشامل في المدينة المنورة، ام درمان، دار
جامعة ام درمان الاسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م
محمد الامين حسن، خصائص الدعوة الاسلامية، ط١، الاردن، مكتبة المنار،
١٩٨٣م
محمد الخضر بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، بدون ناشر وتاريخ ودار
نشر
محمد خضر بك، تاريخ الامم الاسلامية، الدولة الاموي، القاهرة، المكتبة
التجارية الكبرى، ١٩٦٩م
محمد الشويعر، تطبيق الشريعة طريق الامن والعزة، القاهرة، دار الصحوة،
١٩٨٧م
محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم، ط١، بيروت،
دار العلم، ١٩٨٥م
محمد الغزالي، فقه السيرة، ط٢، الاسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر، ١٩٨٩م
محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٩٨٣م
محمد سيد محمد، الاعلام والتنمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م
محمد عبد المجيد، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير، ط١، القاهرة، عالم الكتب،

١٩٩٧م

محمد عبد الكريم خيال، من دستور الوحدة العفائية الفكرية لدعاة الاسلام، الاسكندرية، دار الدعوة، بدون تاريخ

محمد عزة دروزة، الدستور القراني في شئون الحياة، دار الكتب العلمية

محمد على الصابوني، تفسير آيات الاحكام، دمشق، مكتبة الغزالي، بدون تاريخ

محمد فتحي عبد الهادي، مركز المعلومات الصحفية، ط١، القاهرة، دار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م

مقداد يالجن، علم الاخلاق الاسلامية، ط١، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٩٨٢م

محمد كامل عبد الصمد، التلفزيون بين الهدم والبناء، ط٢، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٩٩٣م

محمد معوض، المدخل الى فنون العمل التلفزيوني، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ

محمد منير حجاب، الاعلام والتنمية الشاملة، ط١، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

محمد يحيي، ورقة ثقافية في الرد على العلمانيين، ط١، القاهرة، الزهاء للاعلام العربي، ١٩٨٥م

محمد يوسف النجرامي، العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م

محسن عبد الحميد، الاسلام والتنمية الاجتماعية، ط٣، جدة، الدار العلمية للكتاب الاسلامي، ١٩٩٥م

محمود شلتوت، من توجيهات الاسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م

محمود شيت، خطاب الرسول القائد، ط٣، الكويت، دار القلم، ١٩٦٤م

محمود محمد النجيري، الامن الثقافي العربي التحديات وافاق المستقبل، الرياض، دار النشر التربوي للدراسات الامنية والتدريب، ١٩٩١م

محمود كرم سليمان، التخطيط الاعلامي في ضوء الاسلام، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨م

محي الدين عبد الحليم، اشكاليات العمل الاعلامي بين الثابت والمعطيات العصرية، الدوحة، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية، ١٩٨٨م

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار احياء التراث الاسلامي، بدون تاريخ

مصطفى الدميري، الصحافة في ضوء الاسلام، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٧م

مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الاسلامية، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م

محمد منير حجاب، الاعلام والتنمية الشاملة، ط١، القاهرة، دار الفجر للنشر، ١٩٩٨م

مناح القطان، التشريع والفقه في الاسلام، ط٨، بيروت، مؤسسة الحياة، ١٩٨٢م

موفق الغلايني، وسائل الاتصال واثرها في وحدة الامة، جدة، دار المنار، ١٩٨٢م

نبيل محمد توفيق السمالوطي، المنهاج الاسلامي في دراسة المجتمع، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٩٨٥م

نعمت عبد اللطيف مشهور، الزكاة الاسس الشرعية والدور الانمائي والتوزيعي، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م

نوال محمد عمر، دور الاعلام الديني في تغيير الاسرة الريفية والحضرية، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة، بدون تاريخ

ولتر كيسنجستون: ترجمة نبيل بدر، الاذاعة الراديو والتلفزيون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥م

يحيي مصطفى بسيوني، التلفزيون الاسلامي ودوره في التنمية، جدة، دار عالم الكتب، ١٩٨٥م

ياسر عثمان جاد الله، وسائل الترفية ما يحل منها وما يحرم، ط١، الاسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م

يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م

يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للاسلام، الدار البيضاء، دار المعارف، بدون تاريخ

رابعاً دوريات

مجلة الامن، مجلة امنية محكمة، العدد الثاني، ذي الحجة ١٤١٠هـ، الادارة العامة للعلاقات العامة والتوجيه، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية

مجلة شئون عربية، العدد ٢٥ يناير ١٩٨٤م، القاهرة، جمهورية مصر العربية

خامساً الندوات

ندوة الاهرام بعنوان: امن الوطن وامن الامة ١٣/١١/١٩٩٠م، القاهرة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٧	الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة
١٦	الفصل الثاني: أنواع الاتصال ووسائله في عهد الرسول ﷺ
١٧	• وسائل الاتصال في مكة
١٧	- الاتصال الشخصي
٢٠	- الاتصال الجماعي
٢٥	• وسائل الاتصال في المدينة
٢٥	- مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار
٢٥	- إرسال الرسل خارج المدينة
٢٦	- الاتصال الشخصي
٢٦	- الوفود التي جاءت إلى المدينة
٢٩	- مكاتبة الملوك والأمراء
٣١	الفصل الثالث: وسائل الاتصال في العهدين الأيوبي والعباسي
٣١	أولاً: وسائل الاتصال في العهد الأموي
٣٢	• الخطابة
٣٣	• الكتابة
٣٤	• إرسال العمال إلى الأمصار
٣٤	• ديوان البريد
٣٥	ثانياً: وسائل الاتصال في العهد العباسي
٣٦	• إنتشار الدعاة
٣٧	• الكتابة والمراسلات
٣٨	• المسجد كوسيلة اتصال
٣٩	• العلم والتعليم
٤٥	الفصل الرابع: وسائل الاتصال في العصر الحديث

الصفحة	الموضوع
٤٥	أولاً: الوسائل المقروءة (الصحافة)
٥٢	ثانياً: الوسائل المسموعة (الإذاعة)
٥٨	ثالثاً: الوسائل المرئية والمسموعة (التلفزيون)
٦٧	الفصل الخامس: استخدام وسائل الاتصال في تحقيق أهداف الدولة الإسلامية
٦٧	أولاً: دور وسائل الاتصال في التنمية الاقتصادية والبشرية
٨١	ثانياً: دور وسائل الاتصال في الترويج
٩٩	ثالثاً: دور وسائل الاتصال في تحقيق الأمن
١١٧	الفصل السادس: الأطر التي تواجه وسائل الاتصال في الدولة الإسلامية
١١٧	أولاً: إطار العقيدة
١٣٨	ثانياً: إطار الشريعة
١٥٢	ثالثاً: إطار الاخلاق
١٧١	النتائج والتوصيات
١٧١	أولاً: النتائج
١٧٢	ثانياً: التوصيات
١٧٣	المصادر والمراجع
١٧٩	الفهرس